

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسم التاريخ

قسنطينة

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

النشاط التجاري بين الجزائر وتونس في القرن 18/هـ

من خلال رحلات المغاربة.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير.

إشراف الأستاذ الدكتور:

إعداد الطالب:

أحمد صاري

سمير مشوشة

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الدرجة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	د. أحميدة عميراي
مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	د. أ. أحمد صاري
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ محاضر - أ -	د. عبد المجيد قدور
عضوا	جامعة قسنطينة - 2 -	أستاذ محاضر - أ -	د. جميلة معاشي

السنة الجامعية: 2014/2013

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكراً وتقديراً

الشكر لله العلي القدير، وانه ليسعدني ويشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل وكامل التقدير

للأستاذ الدكتور: **صاري أحمد**، أولاً على قبوله الإشراف على هذا البحث، وثانياً النصائح والتوجيهات والتصويبات القيمة من طرفه، والتي ساعدتني كثيراً على تذليل الصعوبات خلال فترة البحث والتنقيب عن المعلومات، ولم يبخل علي بوقته الثمين وجمده المقدر، فكان نعم المشرف فجزاه الله عني كل الجزاء.

ومن الزملاء أخص بالذكر والشكر: عبد القادر مباركية، رشيد حقيان، وكل زملاء

الدفعة دون استثناء، وأيضاً لكل من ساعد على إنجاز هذا البحث من قريب ومن بعيد.....

أقرباء عاشقنا

"... رب أوزعني له أشكر نعمتي، التي أنعمت علي وعلى والدي وأه
أعمل صالحا ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين...".

﴿سورة النمل - الآية 19﴾

إلك من ربباني صغيرا وحرما ففببها الكثير من لزلج الحجاة لبوفرا لي كل
الراسمة قصر إكمال متواربي التعليمي، أهدي باكورة بعثي هذا إلك أبي وأمي
حفنهما الله ورحاهما.....

إلك أخواني الأربعة كل باسمها.....

إلك أخوتي حاول وختار.

إلك زوجتي، والتي كانت لي العند الكامل للإعجاب هذا البحث.

إلك كل الأقارب والأصدقاء كل باسمه.....

إلك كل هؤلاء وغيرهم أهدي هذا العمل المتواضع سائلا الله القبول

بالتواضع
بالتواضع
بالتواضع

والتواضع.

- قائمة المختصرات :

- باللغة العربية:

- ج : الجزء

- ط : الطبعة

- ص : الصفحة

- تح : تحقيق

- تر : ترجمة

- د.ط : دون طبعة

- د.ت : دون تاريخ

- د.ن : دون نشر

- مج : مجلد

- ت : توفي

- ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

- باللغة الفرنسية :

- R.A : Revue africaine

- R.H.M :Revue d'Histoire Maghrébine

-C.R.O.M.A :Centre des Recherches Ottoman et Mauresque-
Andalouse

جامعة الأميرة
عبد العزيز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مقدمة
مادة مسكيات

الإسلامية

مقدمة :

1/- التعريف بموضوع البحث وأهميته:

لقد أسهب غالبية المؤرخين في عرض أوضاع بلاد المغرب بعد سقوط الموحدين خاصة ما تعلق بظهور الدويلات الثلاث ببلاد المغرب: الحفصية في تونس، الزيانية في الجزائر والمرينية في المغرب الأقصى، وكانت كل منها ترى أن لها الأحقية في وراثتها، وأدى هذا الصراع المتزايد إلى اندلاع بعض الحروب بينها⁽¹⁾، ساهمت في تدهور أوضاعها الداخلية، خاصة وأن مشكلة الحدود والصراعات القبلية كانت السبب الرئيس لهذا التنافس، بالإضافة إلى التحرشات الإسبانية والبرتغالية التي من خلالها تم احتلال أغلب سواحل بلاد المغرب⁽²⁾، فظهر العثمانيون في المنطقة كطرف فاعل في هذا الصراع، وكانت نتيجته ضم كل من الجزائر سنة (1519/هـ 925م)⁽³⁾، طرابلس الغرب سنة (1561/هـ 968م) وتونس سنة (1574/هـ 981م)، وأصبحت من ممتلكاتها، وبدورها -الدولة العثمانية- كانت في صراع دائم مع الأسر الحاكمة بالمغرب الأقصى، لكن كل هذه الظروف لم تكن حاجزا أمام إقامة علاقات اقتصادية مختلفة⁽⁴⁾.

وإن الإهتمام بدراسة العلاقات الاقتصادية بين الجزائر ودول المغرب الكبير خلال العهد العثماني لم يكن بجديد في ساحة البحث التاريخي، فقد برز العديد من الباحثين في تاريخ الجزائر العثمانية في إطارها الاقتصادي، وشغلت دراساتهم حيزا كبيرا من أحداثها التاريخية، وهذا من خلال مصادر هامة متمثلة في رحلات المغاربة الذين عاصروا فترة القرن 12/هـ 18م، خاصة وأهم قاموا بتدوين أخبارهم تدوينا سرديا كرونولوجيا، فجاءت بوقائع تاريخية هامة تثبت وجود علاقات اقتصادية بين دول بلاد المغرب، وفي هذا الإطار عرفت الجزائر وتونس نشاطا وحركية تجارية متباينة .

وانطلاقا من هذه المعطيات التاريخية، حاولنا تقديم نظرة مختلفة وذلك من خلال دراسة اقتصادية متواضعة وقع اختياري عليها - وبتوجيه من المشرف - فجاءت بعنوان " (النشاط التجاري بين الجزائر وتونس في القرن 12/هـ 18م من خلال رحلات المغاربة) ."

(1) شوقي عطاالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص. 35 وما بعدها .

(2) يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (1-2) الجزائر القديمة والوسيلة والجزائر الحديثة، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص-ص. 176-178 .

(3) نفسه، ج2، ص. 6 .

(4) عبد الخليل التميمي، دراسات في التاريخ العثماني المغربي خلال القرن السادس عشر، السلسلة (01) : الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، 2009، ص-ص. 20-107 .

فهذا الموضوع يعالج الجانب التجاري في العلاقات الجزائرية - التونسية من خلال مصادر محلية هامة متمثلة في رحلات المغاربة خلال القرن 12/هـ 18م نذكر منها : الرحلة الناصرية، رحلة الورتيلاني، رحلة المكناسي....، وبذلك سيكون هذا البحث نتاجا لرؤية تؤرخ للتجارة بين البلدين، وقد استلزم هذا العمل استنباط واستخراج كل ما اتصل بالجانب التجاري من خلال ما تم تدوينه في رحلات المغاربة في الفترة المذكورة، وكذلك كمحاولة مني لتتبع أخبار الطرق التي سلكوها في رحلاتهم، وبذلك فإن الهدف من خلال جمع الروايات والنصوص المتعلقة بالتجارة والموجودة في متون الرحلات، هو بناء حلقة من تاريخ النشاط التجاري بين الجزائر وتونس في القرن 12/هـ 18م، ورسم شبكة الطرق التجارية الرابطة بين الإيالتين، وإبراز دور ومساهمة رحلات المغاربة في التعريف بها .

2- أسباب و دوافع اختيار الموضوع :

- هذا البحث جاء نتيجة مجموعة من الدوافع والأسباب التي اقنعتني بتناول هذا الموضوع ويمكن تلخيصها في مايلي :
- الميول الشخصي لدراسة الجوانب التجارية في تاريخ الجزائر العثمانية مع دول المغرب خاصة مع جارها تونس، وهذا في ظل الصراع الكبير القائم بينها في هذه الفترة .
 - اطلاعي على بعض رحلات المغاربة والمصادر والمراجع في مرحلتي التدرج وما بعد التدرج، والتي وجدت فيها بعض المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع .
 - محاولة إزالة بعض الغموض والإبهام الذي يسود هذا الموضوع ، خاصة في جانبه التجاري.
 - تشجيع المشرف على تناول هذا الموضوع، خاصة في ظل نقص الدراسات المتعلقة بالموضوع وبنفس الطريقة والمنهج المتبع .
 - محاولة وضع صورة للنشاط التجاري للإيالتين خلال القرن 12/هـ 18م وانعكاساته ومقارنتها بالعلاقات الاقتصادية الحالية.

3- الدراسات السابقة :

من الدارسين الذين اهتموا بجانب العلاقات الاقتصادية للجزائر العثمانية وكانت دراساتهم قريبة لموضوع هذا البحث ومثال ذلك نذكر : عمار بن خروف⁽¹⁾، المنور مروش⁽²⁾، ناصر الدين سعيدوتي⁽³⁾،

(1) // العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10/16م، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 .

(2) // دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار والمداخليل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009 .

(3) //أذكر منها : - النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 - 1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .

- وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 .

- قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117/1695-1705م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006 .

الشيخ المهدي البوعبدلي⁽¹⁾، عبد الجليل التميمي⁽²⁾، يمينة درياس⁽³⁾، عائشة غطاس⁽⁴⁾، أبو القاسم سعد الله⁽⁵⁾، خليفة حماش⁽⁶⁾، محمد العربي الزبيري⁽⁷⁾، كل هؤلاء وآخرون قدموا مساهمة كبيرة لا يمكن تجاوزها لكل من يرغب في البحث عن الجانب الاقتصادي للجزائر العثمانية وعلاقتها التجارية ببلاد المغرب.

4/- إشكالية البحث:

تهدف إشكالية هذا البحث في معرفة مساهمة رحلات المغاربة - باعتبارها من المصادر الهامة - في بناء صورة عن علاقات الجزائر العثمانية مع دول بلاد المغرب خاصة علاقتها التجارية مع جارتها تونس، وهذا انطلاقا من استغلال المادة التاريخية للنشاط الاقتصادي في هذه الرحلات، وإحصاء ماتضمنته هذه الرحلات من إشارات ونصوص إخبارية ووصفية تتحدث عن وجود اتصال وتفاعل تجاري بين الإيالتين، فكان لابد أن نعزز كل هذا من خلال إجابتي على التساؤلات التالية :

****** انتصاب الحكم العثماني في الجزائر وتونس شكل قطيعة مع الماضي السياسي لهاتين الإيالتين وأعطاهما معنى الدولة بالمفهوم الحديث : فما هي آثار هذا التطور السياسي على الجوانب الاقتصادية بين الإيالتين؟ وماهي الصعوبات التي اعترضت العلاقات الاقتصادية بين البلدين في بدايات التواجد العثماني ؟ وهل كان للخلافات والصراعات الحدودية أثر على عملية التواصل التجاري بينهما ؟ وإلى أي مدى ساهم التقارب الجغرافي (التخوم) بين الإيالتين في تسهيل الحركة التجارية؟ وماهي أبرز السلع والمنتجات المتبادلة بين البلدين خلال القرن 12/هـ 18م ؟ وما مدى مساهمة القوافل ورحلها في عملية نقل السلع والمنتجات بين أسواق الإيالتين؟ وهل كان للنظام الضريبي المتبع في البلدين تأثير على الحركة التجارية ؟ وماهي انعكاسات ذلك على علاقتها الاقتصادية ؟ وماهي أهم المحاور والطرق التجارية التي تربط الإيالتين ؟ وإلى أي مدى ساهم تداول العملات في تفعيل النشاط التجاري بين الإيالتين خلال القرن 12/هـ 18م؟.

(1)/ الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

(2)/ **La Marine et les routes commerciales Ottomanes**, Actes des symposiums sur les provinces Arabe à l'Epoque Ottomane, N° 12, Série 1 (A), Publications de la fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et L'Information, Zaghouan, 2000 .

- **المجلة التاريخية المغربية** : الأعداد (37-38)،(39-40)،(71-72) .

(3)/ **السكة الجزائرية في العهد العثماني**، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .

(4)/ **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)**، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2007 .

(5)/ **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 .

(6)/ منها: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010، وكذلك : **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني وأحمد باي والأمير عبد القادر في الأرشيف الوطني التونسي**، منشورات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، د.ت.

(7)/ **أذكر منها** : **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 و1830**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

5/- منهج الدراسة :

من أجل الإجابة عن إشكالية هذا البحث و مختلف تساؤلاته، اعتمدت على منهجية علمية قائمة على استقراء وتحليل مختلف النصوص التاريخية المستقاة من رحلات المغاربة المعتمدة في هذه الدراسة، وطبيعة الموضوع كذلك فرضت علي اتباع المنهج الكمي بغرض عرض مختلف الجداول التي شكلتها لتبيان ما تعلق بالحركية التجارية بين الإيالتين خلال القرن 12هـ/18م، ثم التعليق عليها وتحليلها ومحاولة استقراء نتائجها، وإن كانت كلها تقوم على مقاربات بين معطيات ما جاءت به مختلف النصوص التجارية .

6/- الإطار الزماني والمكاني للبحث :

بخصوص الإطار الزمني لموضوع البحث، فمن خلال العنوان يتضح لنا أنه ينحصر في القرن 12هـ/18م، باعتبار أن أهم رحلات المغاربة والتي اهتمت بالجانب الاقتصادي بين الجزائر وتونس دونت في هذا القرن فعلى سبيل المثال لا الحصر: " الرحلة الناصرية (1121هـ/1709م)"، " رحلة الورتيلاني (1179هـ/1765م)"، " رحلة المكناسي (1200هـ/1785م)"، أما الإطار المكاني فهو يشمل المجال الجغرافي لإيالي الجزائر وتونس والحدود بينهما، وهذا في ظل عدم وضوحها بسبب الخلافات والصراعات الكبيرة بين البلدين، خاصة وأنه ما تميزت به قبل سنة 1037هـ/1628م كانت عبارة عن حدود متحركة (تخوم)⁽¹⁾ .

7/- هيكل الدراسة :

تضمن هيكل البحث مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة :

حاولت في مدخل هذه الدراسة إبراز ما تميزت به العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر وتونس ونتائجها على الحركية التجارية بين الإيالتين في بداية العهد العثماني .

أما عن الفصل الأول فجاء بعنوان " رحلات المغاربة تؤرخ للعلاقات التجارية بين الجزائر وتونس"، وفيه أوردت احصائيات لعدد نصوص رحلات المغاربة المتعلقة بالتجارة وكذلك الأصول الجغرافية للرحالة، فرأيت في كتب رحلاتهم أنها بمثابة مصادر هامة لدراسة العلاقات التجارية بين الجزائر وتونس .

وفي الفصل الثاني والموسوم بعنوان " الرحالة المغاربة وكتبهم خلال النصف الثاني من القرن 12هـ/18م"، خصصناه للحديث عن أهم الرحالة المغاربة وكتبهم خلال هذه الفترة الزمنية، وهذا انطلاقا من تحليل مختلف النصوص الواردة فيها والتي تحمل بين طياتها إشارات وإيحاءات عن التجارة، ومن هذا حاولت تتبع الرحالة من بداية رحلته وصولا إلى تونس ونفس الشيء في رحلة عودته، وهذا في إطار المجال الجغرافي الذي أنا بصدد دراسته - الجزائر وتونس-، كل هذا وأكثر بهدف الوصول إلى رسم شبكة تجارية بين الإيالتين.

(1) "وادي صرات" كان هو الحد الفاصل بين حدود الجزائر وتونس (التخوم)، للمزيد ينظر: احميدة عمراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002، ص-ص. 16-17 .

وبخصوص الفصل الثالث فقد تضمن "قراءة في معطيات النصوص التجارية الواردة في رحلات المغاربة"، ومن خلالها توصلت إلى بعض الإحصائيات التجارية من: إشارات للتجارة، مناطق الأنشطة التجارية في الإيالتين، الطرق والمحاور التجارية، السلع، العملات، وسائل الرحلة، وهذا كله كمحاولة مني لرسم بعض معالم الحركة التجارية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م .
وأتميت دراستي هذه بخاتمة تضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها .

8-/: أهم المصادر المعتمدة في الدراسة :

اعتمدنا في إنجاز هذا الموضوع على مجموعة من المصادر التاريخية وأهمها :

8-1/ كتب الرحلات :

أبرزها :- رحلة الدرعي (1121هـ/1709م)⁽¹⁾، رحلة بن حمادوش الجزائري (1156هـ/1743م)⁽²⁾، رحلة بن عمار الجزائري (1166هـ/1752م)⁽³⁾، رحلة الورتيلاني (1179هـ/1765م)⁽⁴⁾، رحلة المكناسي (1200هـ/1785م)⁽⁵⁾، رحلة أبي راس الناصري (1204هـ/1791م)⁽⁶⁾، رحلة أبو القاسم الزياني (1205هـ/1791م)⁽⁷⁾، فاعتمدت عليها أساسا في استخراج النصوص المتعلقة بالتجارة وتحديد ما تضمنته من شخصيات وأسماء، وأيضا في تحديد الطريق التجاري بالربط بين مكان الإنطلاق ومكان الوصول، واستخراج السلع التجارية والعملية وما يستخدم في الرحلة من وسائل نقل، بالإضافة إلى رحلات أخرى هامة مثل، الرحلة العياشية (1071-1073هـ/1661-1663م)⁽⁸⁾، وقد تطلب مني الموضوع أيضا الإطلاع والبحث في مؤلفات بعض الرحالة الأجانب والمكتوبة باللغة الفرنسية والذين زاروا الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م وعاشوا أحداثها ومنهم :

-
- (1) // أحمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية (1121هـ/1709م)، ج1، المطبعة الحجرية، فاس، 1320 .
 - (2) // عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، المسماة: "رحلة ابن حمادوش الجزائري"، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007 .
 - (3) // أبي العباس أحمد بن عمار الجزائري، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة بيبير فونتانا، الجزائر، 1902 .
 - (4) // الحسين بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، "الرحلة الورتيلانية"، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908 .
 - (5) // محمد بن عبد الوهاب المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب "المسماة "رحلة المكناسي"، تح: محمد بوكبوت، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003 .
 - (6) // محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982 .
 - (7) // أبو القاسم بن أحمد الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا...، تح: عبد الكريم الفيلاي، ط2، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1991 .
 - (8) // أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (1661-1663م)، ج2، تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006 .

- Jean André Payssonnel تحت عنوان :
"Voyage dans La Régence de Tunis (1724) " .

- Thomas Shaw والتي جاء تحت عنوان :
"Voyage dans la régence d'Alger au XVIIIe siècle "

2-8 / كتب الجغرافيا:

- اعتمدت عليها في تعريف الأماكن والمواقع الجغرافية واستخلاص أبرز الطرق والمسالك التي تربط الإيالتين وأهمها مايلي :
- تقويم البلدان : لأبو الفداء (إسماعيل بن علي، ت 732/هـ 1331م) .
 - نزهة المشتاق في اختراق الأفاق : للإدرسي (أبو عبد الله، ت 560/هـ 1165م) .
 - مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : للبغدادي (صفي الدين، ت 739/هـ 1339م) .
 - المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، "المسالك والممالك" : للبكري (أبو عبيد، ت 487/هـ 1094م).
 - معجم البلدان: للحموي (شهاب الدين، ت 574/هـ 1178م) .
 - الروض المعطار في خبر الأقطار : للحميري، ت 900م/1495م) .
 - كتاب الجغرافية : للزهري، ت ق 6/هـ 12م) .
 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : للمقدسي، ت 380/هـ 990م) .
 - الإستبصار في عجائب الأمصار: لمجهول (ت ق 6/هـ 12م) .

9- صعوبات البحث :

أما عن الصعوبات، في الحقيقة ما يعترض طريق الباحث من عقبات هي جزء من البحث، وعوائق لا بد من اجتيازها وإلا لماذا يسمى البحث بحثا؟ لولا أنه جهد متواصل لحل إشكاليات اعتمادا على فرضيات مسبقة تحتاج إلى تعميق وتأکید، غير أنني أفضل أن أذكر في هذا المقام بعض الصعوبات التي اعترضني على سبيل تحفيز الدارسين والمهتمين بالدراسات المتعلقة بتاريخ الجزائر الاقتصادي في جانبه التجاري، فالمشكلة الأولى تتمثل في ضيق المدة الزمنية لإعداد وإخراج هذا البحث في صورته الحالية، والمشكلة الثانية هي صعوبة ما تتميز به كتب البيوغرافيا والرحلات عامة والتي لا توحى للقارئ بطبيعة المحتوى، ما فرض علي قراءتها حرفيا من البداية إلى خاتمة الكتاب للحصول على النصوص التجارية هذا من جهة، وصعوبة التعامل مع المادة الخيرية التي

توفرها كتب هذه الرحلات خاصة في ظل غياب الإطار الزمني من أغلبها من جهة أخرى، ولا يتأتى ذلك إلا بعد ترجمة الأعلام الواردة فيها وتحديد على الأقل تاريخ وفاتها، بالإضافة إلى صعوبة أخرى واجهتني تتمثل في أنه عند الترجمة لمؤلفي الرحلات وعلى الرغم من الجدية في البحث إلا أننا لم نعثر على ترجمة للبعض منهم، وربما يرجع هذا إلى عدم شهرة هؤلاء أو بروزهم في مجالات معينة، لذا لم تتوفر لهم ترجمة أو سيرة ذاتية خلافاً لبقية الرحالة، وأن مصنفى الرحلات لم يتبعوا منهجاً معيناً في مؤلفاتهم ولم يخضعوا كتاباتهم لضوابط محددة، كما دون عدد منهم مؤلفاتهم بأسلوب أدبي وهذا ما أدى أحياناً إلى اختلاط المعلومات والتداخل بينها أو تأتي المعلومات مبعثرة في ثنايا الكلام لا يجمع تفرقها رابط معين، وهذا ما استلزم مني جهداً إضافياً مع الدقة في استخراج المادة العلمية -النصوص التجارية - وتنظيمها موضوعياً، لكنها عقبات جعلتني أتحدى كل الظروف وبتوفيق من الله عز وجل وجهد كبير من الأستاذ المشرف - (الدكتور **أحمد صاري**) - أتمت هذا البحث، والذي أتمنى من خلاله أن يكون سنداً للملء زاوية من زوايا تاريخ الجزائر الاقتصادي خلال القرن 12هـ/18م، ومن خلال كل هذا أقدم شكري أيضاً لأعضاء لجنة الخبرة والمناقشة الذين بذلوا مجهودات كبيرة وتحملوا متاعب قراءة هذه المذكرة وتسجيل ملاحظاتهم حولها ثم مناقشتها، وأنا بطبيعة الحال إن شاء الله أذان صاغية لهم لسماع تلك الملاحظات وتسجيلها وأخذها بممثابة توصيات هامة للإستفادة منها في المستقبل .

- مدخل إلى العلاقات بين الجزائر وتونس في براية العهد العثماني

1- الصراع السياسي والعسكري بين الإيالتين:

1-1 / التواجد العثماني في الجزائر وتونس .

1-2 / الصراعات والخلافات بين الإيالتين .

2- أثر الصراعات على العلاقات التجارية:

2-1 / الأوضاع الإقتصادية بالإيالتين في بدايات التواجد العثماني .

2-2 / تأثير الخلافات الحدودية والصراعات العسكرية على الحركة التجارية

1- الصراع السياسي والعسكري بين الولايتين :

1-1- التواجد العثماني في الجزائر وتونس :

عرفت بلاد المغرب بعد الموحدين تفككا سياسيا وجغرافيا فظهرت ثلاث دويلات بالمغرب الثلاث⁽¹⁾ فأهم ما ميز علاقتهما هو الصراع السياسي والعسكري بهدف توسيع مجالها الجغرافي على حساب بعضها، وإذا ما أمعنا النظر في الوحدة السياسية داخل الدولة الواحدة فهي الأخرى مقسمة إلى إمارات صغيرة متناحرة فيما بينها وهذا ما نجده مثلا في الجزائر من خلال إمارات: كوكو بمنطقة القبائل والحفصية بإقليم قسنطينة وبني جلاب بتقورت ووادي ريغ والثعالبة بجزائر بني مزغنة، وهو ما جعل قدراتها الدفاعية ضعيفة و جعلها مستهدفة من طرف الحملات الصليبية الأوروبية خاصة الإسبانية والبرتغالية⁽²⁾، فبعد سقوط غرناطة سنة 1492م نقل الإسبان حروبهم ضد المسلمين إلى شمال إفريقيا-حروب الإسترداد- فتم خلاله إحتلال أغلب سواحل المغرب الأوسط⁽³⁾، فاحتلوا المرسى الكبير سنة 1505م ووهران عام 1509م وبجاية سنة 1510م ووجهوا حملاتهم بعد ذلك إلى مدينة الجزائر وجيجل ودلس واحتلوها سنة 1511م⁽⁴⁾.

وقد عرفت تونس هي الأخرى أوضاعا مشابهة للجزائر وهذا من منطلق الموقع الجغرافي الإستراتيجي الذي تتمتع به، فقد تم إحتلال أغلب سواحلها سنة 1535م، وبعدها تم استرجاعها من قبل حاكم الجزائر سنة 1569م، ولكن الإسبان لم ييأسوا فعاودوا إحتلالهم لتونس سنة 1573م، وبالمقابل عرفت سيطرة القبائل على مختلف المناطق التونسية وزادت من نفوذها فيها⁽⁵⁾، وأمام هذه الأوضاع التي كانت

(1) علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 1998، ص-ص. 378-235 .

(2) يحي بوعزيز، مرجع سابق، ج2، القسم الثالث، ص-ص. 9-7 .

(3) H.D.De Gramment, *Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515-1830)*, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1887, p-p. 1-4 .

(4) خليفة حماش، العلاقة بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830)، رسالة ماجستير، إشراف: خليل عبد الحميد عبد العال، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1988، ص. 23 .

(5) محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجيبة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص-ص. 66-65 .

كانت القاسم المشترك بين الجزائر وتونس، قام أهالي الجزائر سنة 1519/925م بالإستنجاد بالسلطان العثماني سليم الأول⁽¹⁾.

وبالمقابل لكل هذه الأحداث التي عرفتها بلاد المغرب وخاصة الجزائر، برز الأخوان عروج وخير الدين بربروس⁽²⁾ المشهوران بالجهاد البحري ضد القراصنة الأروبيين وهذا انطلاقا من قاعدتهما العسكرية بجزيرة جربة التونسية، فبعد خلافات كبيرة مع السلطان الحفصي بتونس تم تحويلها إلى جيجل⁽³⁾ والتي اعتبرت بمثابة قاعدة انطلاق لتحرير سواحل الجزائر من الإسبان، فتم ذلك لأغلب سواحلها⁽⁴⁾، وكان هذا كله خلال سنتي (1514/920م) - (1519/925م)، وآخرها المرسى الكبير سنة 1792/1206م⁽⁵⁾ وأعلن بعدها أهالي الجزائر رغبتهم في الإنضمام إلى الدولة العثمانية، فأرسلوا وفدا لطلب ذلك وكان رد فعل السلطان العثماني إعلان القبول، وبداية من سنة 1520/926م أصبحت الجزائر إيالة عثمانية⁽⁶⁾ وعين خير الدين بربروس بايلربايا لها، وبعدها تحققت الوحدة الإقليمية والسياسية للجزائر ودخلت فيما بعد مرحلة جديدة من تاريخها العثماني⁽⁷⁾، وفي المقابل عقدت السلطة العثمانية عزمها لتحرير تونس من الإسبان فتم توجيه حملة عسكرية لتحرير سواحلها ودارت معارك كبيرة بينهما وعلى محاور عديدة، انتهت باسترجاع تونس سنة

(1)/ للمزيد ينظر : عبد الجليل التميمي، «رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سنة 1519م»، *المجلة التاريخية المغربية*، 6(1976)، ص-ص. 120-116 .

(2)/ للمزيد حول الأخوين بربروس ينظر : خير الدين بربروس، *مذكرات خير الدين بربروس*، تر : محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 . وكذلك :

- Roy (J.J.E), *Histoire de L'Algérie depuis les temps les plus anciens jusqu'a nos jours*, Alfred Mame et Fils-Editeurs, Tours, 1880, p-p. 91-107.

- F.D.Haédo, *Histoire des Rois D'Alger*, traduite :Grammont, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger, 1881, p-p, 3-61 .

(3)/ للمزيد حول الصراع الحفصي العثماني ينظر : ابن قنفذ القسنطيني، *الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية*، تح : محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968. وكذلك : هنري دونان، *الإيالة التونسية*، تر : محمد فريد الشريف، المطبعة العصرية، تونس، 2012، ص-ص. 18-17 ، وكذلك : بوعزيز، مرجع سابق، ج2، ص-ص. 11-10 .

(4)/ De Grammont, op.cit, p-p. 22-25 .

(5)/ دلندة الأرقش وآخرون، *المغرب العربي الحديث من خلال المصادر*، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003، ص-ص. 39-38 .

(6)/ عبد الجليل التميمي، *دراسات في التاريخ العثماني المغربي* ...، مرجع سابق، ص-ص. 20-18 ، وكذلك : آرجنت كوران، *السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر*، تر : عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص. 21 .

(7)/ Haédo.op.cit, p-p. 35-37 .

1574/981م فأصبحت تحمل لقب إيالة عثمانية⁽¹⁾، فدخلت هي الأخرى مرحلة جديدة من تاريخها الحديث⁽²⁾، ومن منطلق ما قام به العثمانيون في بلاد المغرب تكون مجال جغرافي عثماني واسع ويبقى أن الفرق الملاحظ هو الاختلاف في درجة الحضور الجغرافي والزمني في هذه الإيالات وتباينت معها درجات عثمنتها⁽³⁾.

2-1 / الخلفاء والصراعات بين الإيالات:

بعد انتصاب الحكم العثماني بالجزائر وتونس تباعا، حاول سلاطين آل عثمان تكوين تكتل سياسي وجغرافي واحد ببلاد المغرب⁽⁴⁾ يكون بمثابة امتداد لمشروع الإمبراطورية العثمانية وتوسيع نفوذها فيه، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك فاصطدموا بواقع آخر أساسه التوتر والخلافات والصراعات، وقد بدأت ملامح الصراع بين الإيالات في بدايات القرن 10هـ/16م خاصة في ظل حكم الحفصيين لتونس والذين عجزوا عن مواجهة الأطماع الإسبانية، وكان من الطبيعي أن يتجه تفكير خير الدين بربروس -حاكم الجزائر- إلى تحريرها وضمها إلى الممتلكات العثمانية، فكان رد فعله تجاه ما يجري في تونس الاستيلاء عليها وقام بضمها إلى إيالة الجزائر سنة 1534/940م، لكن ذلك لم يدم طويلا فتم استرجاعها من طرف الإسبان سنة 1535/941م⁽⁵⁾، وأمام هذه الظروف أعدت حملة عسكرية ضخمة بقيادة حاكم الجزائر العلي وحاكم طرابلس سنان باشا قائد الأسطول البحري العثماني⁽⁶⁾ وتم خلالها القضاء على الوجود الإسباني والحفصي بتونس سنة 1574/981م واخضاعها من جديد للحكم العثماني⁽⁷⁾ فأصبحت أمورها الإدارية والسياسية مرتبطة بالجزائر والدولة

(1) / أحمد قاسم، إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظيم (1574-1600م)، تقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004، ص-ص. 62-66.

(2) / Sadek Boubaker, *La Régence de Tunis aux XII^e siècle : ses relations commerciales avec les ports de L'Europe méditerranéenne, Merseille et Livourne*, publications de la R.H.M et de C.E.R.O.M.A, Zaghuan, 1987, p. 38 .

(3) / للمزيد ينظر تقديم: العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطة، تنسيق: عبد الرحمن المودن وعبد الرحيم بنحادة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 123، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005، ص. 7.

(4) / إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995، ص. 238.

(5) / عبد الرحيم بنحادة، المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1998، ص-ص. 30-33.

(6) / محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المطبعة الإعلامية، القاهرة، 1884، ص-ص. 133-135.

(7) / للمزيد ينظر: أندريه بيسونال، الرحلة إلى تونس، تر: محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص. 117، وكذلك: محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص-ص. 64-66.

العثمانية⁽¹⁾، وقد كان الداي عثمان هو أهم داياتها من خلال ممارسة سيادته المطلقة على البلاد التونسية⁽²⁾، وانتهجت بعد هذا الإنتقال السياسي الهام منهج توسيع مجالها الجغرافي حتى وإن كان على حساب الدول المجاورة لها، ونفس السياسة اتبعتها الجزائر بعد الإعلان عن عثميتها، ومن هذا المنطلق لاحت مشكلة في الأفق تمثلت أساسا في الصراعات الحدودية بين الإيالتين وهذا في ظل الظروف السائدة خلال هذه الفترة والتي تميزت جغرافيا بعدم وضوح معالم الحدود السياسية بينهما سواء كانت برية أو بحرية⁽³⁾، وقد كانت القبائل الحدودية الحدودية هي السبب الرئيسي في ذلك، وهنا طرح الأستاذ أحمد قاسم إشكالية مفادها "هل كانت الجزائر هي التي تتحرش بتونس أم العكس؟. وقد علل وأجاب عن ذلك من خلال ما جاء في احدى الوثائق التي وردت عند ابن عظوم من طرف الجيش التونسي سنة 1589/998م أن عسكر تونس كان يهدف إلى اتقاء عسكر الجزائر ويعمل على تفادي الإضطدام معه وأن دوره -الجيش التونسي- يكمن في المحافظة على العلاقات الحسنة وهذا عكس عسكر الجزائر الذي إن شهد على واقعة يكون أحد أطرافها تونسيين فسيقابلها بالتقبل والتعذيب"⁽⁴⁾ لكن التساؤل الذي يطرح نفسه في كل هذا : هل أن هذا المؤرخ - ابن عظوم- بهذا الموقف كان حياديا في سرد هذه الأحداث التاريخية؟.

أغلب الدراسات التاريخية تذكر عكس ذلك، فالحروب التي قامت بين الإيالتين جاءت بسبب القبائل الحدودية المتمردة على نظام الحكم السائد وأبرزها قبيلة الحنانشة⁽⁵⁾ التي كان يمثلها "حنانشة تونس (أولاد شنوف) وحنانشة الجزائر كله بسبب أراضي الرعي، بالإضافة إلى عامل هروب بعض المطلوبين من إيالة اتجاه أخرى ورفض تسليمهم من الطرفين" فكان نفوذها قوي داخل تخوم الإيالتين، بالإضافة إلى قبيلة النمامشة هي الأخرى من القبائل التي كان لها نفوذ كبير في شرق الجزائر⁽⁶⁾، وبعد كل الخلافات التي عرفتها إيالتي

(1)/عزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص. 237.

(2)/رشاد الامام، سياسة حمودة باشا في تونس(1782-1814)، رسالة دكتوراة، دائرة التاريخ، الجامعة الأمريكية، بيروت، دت، ص-ص. 47-44.

(3)/ Berbrugger (A), « Des frontières de L'Algérie », **R.A, Vol n°4**, Alger, 1860, p-p. 401-438.

(4)/ للمزيد ينظر: أحمد قاسم، مرجع سابق، ص. 120 .

(5)/تنسب إلى الجد حناش من قبيلة هواة البربرية، للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ص. 405 . وكذلك :

-Féraud (Ch), « Les Harars Seigneurs Des Hanancha », **R.A, Vol.n° 18**, Alger, 1874, p-p.11-32 .

(6)/أحمد قاسم، المرجع السابق، ص. 121 .

الجزائر وتونس توصلوا سنة 1023هـ/1614م إلى اتفاق بينهما⁽¹⁾، لكن هذا التقارب لم يستمر طويلا وعادت العلاقات إلى حالة التآزم من خلال خرق التونسيين لبنود المعاهدة المبرمة بينهما بعد قيام جيش مراد باي تونس شن حملة عسكرية ضد الجزائر سنة 1037هـ/1628م ووقعت معركة كبيرة بينهما قرب مدينة الكاف التونسية⁽²⁾ انتهت بهزيمة التونسيين لكن هذا لم يكن عائقا أمام إبرام معاهدة صلح جديدة بين الإيالتين سنة 1037هـ/1628م، فقد جاء في "منشور الهداية" أن المكان الذي عقد فيه الصلح هو "قصر أو منزل جابر وعن أعضاء الوفد التونسي الذين حضروا منهم : محمد العامري، علي الشرقي، محمد الأندلسي، الحاج عون الله و إبراهيم الغرياني وبالمقابل لم يذكر من حضر من الوفد الجزائري إلا أحمد بن الحاجة" وتم فيه رسم الحدود بين البلدين⁽³⁾، وفي نهاية القرن 11هـ/17م أصبحت الإيالة التونسية تملك نفوذا مستقلا في تسيير أمورها بنفسها بعيدة عن أوامر الباب العالي وخلالها عرفت أيضا صراعات كبيرة على الحكم⁽⁴⁾، وقد عرفت الجزائر أيضا تدهورا لأوضاعها السياسية الداخلية خاصة ظاهرة اغتياالات البايات والدايات وعلى رأسهم الداوي مصطفى الذي خسر حربه ضد تونس عام 1117هـ/1705م⁽⁵⁾، ومن هذا يتضح لنا أن أوضاع الإيالتين سياسيا وعسكريا كانت من أهم العوامل التي أدت إلى زيادة التباعد والتنافر بينهما⁽⁶⁾، مما جعلها تؤثر وبطريقة سلبية على اقتصاد البلدين وتواصلهما التجاري⁽⁷⁾.

(1) /أرزقي شويتم، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926-1246/1519-1830م)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2009، ص. 19 .

(2) /محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، ط2، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1915، ص. 92 .

(3) /عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص-ص. 216-217 . وينظر أيضا :

«R.A, La Frontière Algéro-Tunisienne dans le Tell et dans la Steppe», (Ch) Monchicourt - . Vol.n°82, 1938, p-p. 31-59 .

(4) /جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص-ص. 373-374 .

(5) /محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحميمة، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص. 124 .

(6) /محمد الصالح العنتري، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تقديم ومراجعة: يحي بوعزيز، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص-ص. 75-76 ، وكذلك ينظر: حسين بن رجب شاوش بن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص. 70 وما بعدها .

(7) /أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص-ص. 96-97 .

2- أثر الصراعات على العلاقات التجارية:.

- 2-1 / الأوضاع الإقتصادية بالإيالتين في بدايات التواجد العثماني .
- 2-2 / تأثير الخلافات الحدودية والصراعات العسكرية على الحركة التجارية .

2- أثر الصراعات على العلاقات التجارية .

2-1- الأوضاع الاقتصادية بالإيالتين في بدايات التواجد العثماني :

2.1-1 الجزائر :

كان الهدف من التدخل العثماني ببلاد المغرب هو دحر الأطماع الصليبية خاصة الإسبانية منها وكذلك تحصين نفوذها في هذه المنطقة، فجعلوا من الجزائر منطلق لبدايات تواجدهم في هذا المجال الجغرافي من خلال ضمها وجعلها تحمل صفة إيالة عثمانية بداية من عام 1519/925م⁽¹⁾، فبعد استقرار الأتراك فيها تغير واقعها السياسي والإقتصادي مما جعل جوهر دراسة أوضاعها الإقتصادية يقتصر على مميزات قطاعاته الثلاث: الزراعة والصناعة والتجارة، بالإضافة إلى الأنظمة الضريبية الجديدة كالرسوم المالية والضرائب الجبائية على المنتوجات الزراعية⁽²⁾ والتجارية والصناعية وكذلك موارد الدولة الجزائرية خاصة عائدات القرصنة البحرية⁽³⁾.

فالزراعة تعد أهم قطاع يركز عليه إقتصاد الجزائر خاصة خلال بدايات التواجد العثماني والذي عرف تراجعا كبيرا قبل ذلك، وهذا من خلال المنتوجات الزراعية التي كانت تنتج نذكر منها: القمح، الشعير، الصوف والجلود...، وفيه من يذكر أن إنتاج بعضها بلغ مرحلة الإكتفاء الذاتي⁽⁴⁾، ومن ناحية أخرى تذكر جل المصادر التاريخية أن مساحة الأراضي الزراعية والسهول كانت شاسعة وتتميز تربتها بالخصوبة ومتوزعة على مختلف المناطق خاصة الساحلية منها بجاية وعنابة وجيجل والبليدة، وقد كانت ملكياتها متنوعة بين ملكية

(1) / سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص. 21 .

(2) / ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية -الفترة الحديثة-، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص. 295 وما بعدها .

(3) / لمعرفة المزيد عن مصادر دخل الدولة الجزائرية ينظر: عبد القادر حلبي، دراسة في جغرافية المدن، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص. 317 وما بعدها، وكذلك: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القدم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد بن مبارك الميلي، ج3، مكتبة النهضة العربية، الجزائر، 1964، ص-ص. 128-129 .

(4) / الزبيري، التجارة الخارجية...، مرجع سابق، ص-ص. 57-59، وكذلك: سعيدوني، دراسات تاريخية...، المرجع السابق، ص-ص. 32-34، وكذلك ينظر:

-Thomas Shaw, *Voyage dans la régence d'Alger au XVIIIe siècle*, Traduit : E.Mac Carthy, éditions Grand-Alger Livres, Alger, 2007, p-p. 34-36 .

خاصة و ملكية مشاعة وأحباس ملك للدولة وغيرها⁽¹⁾، وفي الجانب الآخر لهذا القطاع نجد الثروة الحيوانية من: أبقار، أغنام، ماعز وبغال حيث كانت أثمانها تختلف من منطقة إلى أخرى حسب درجة أهميتها، وتمتاز بالتنوع والإهتمام بها في الحياة الفلاحية، فهي من أولويات السلطة الحاكمة سواء كانت محلية على مستوى البايلاكات أو مستويات أعلى منها، فمن خلالها انتقلت إلى الإنتاج الزراعي ذو الطابع التجاري⁽²⁾، وقد كانت الثروة السمكية هي الأخرى معتبرة ومن اهتمامات سكان المناطق الساحلية لكنها لم تكن من أولوياتهم⁽³⁾، لكن هذا لم يمنع بعض الحكام الأتراك في الجزائر من فرض مايسمى نظم إقتصادية جديدة قائمة على أساس الإقطاع خاصة في المنتوجات الزراعية وأهمها عن طريق المحل -الحملات العسكرية- لجمع رسوم المحاصيل الزراعية والقيام بعمليات الإحتكار لأهمها، وكذلك تحصيل الضرائب المختلفة من البايلاكات⁽⁴⁾، وقد مرت الجزائر في بدايات القرنين 10-11هـ/16-17م بفترات قحط وجفاف وكوارث طبيعية أثرت كثيرا على الثروة الزراعية والحيوانية⁽⁵⁾، وهو ما أدى إلى نقصانها وإرتفاع أسعارها خاصة الحبوب وكانت لها تبعات أهمها انتشار المجاعات والأوبئة المختلفة⁽⁶⁾.

أما الصناعة فلم يكن الإهتمام بها مثل الزراعة، فهي كانت تشمل بعض المصنوعات التقليدية اليدوية وما يمكن تمييزه عن أهمها خلال بدايات التواجد العثماني هو ما تنتجه بعض الحرف اليدوية مثل صناعات النسيج والجلود و النجارة والفخار والحدادة...، بالإضافة إلى وجود بعض الورشات لصناعة الأسلحة والسفن و المنتشرة في أغلب المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان، كل هذا جعل منتوجات هذا القطاع تجد

(1) للمزيد حول أنواع الأراضي الزراعية ومنتوجاتها في الجزائر خلال العهد العثماني ينظر: سعيدوني، دراسات تاريخية...، مرجع سابق، ص-46-37. وكذلك ينظر:
- فاطمة الزهراء سيدهم، «موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر»، دورية كان التاريخية، 13(2011)، ص-21-28. وكذلك:

-Nacereddine Saidouni, *Le Waqf en Algérie a'lepoque Ottomane XVIIe-XIXe siècle*, Ouvrage publié par la Fondation des AWqaf du kuwait, kuwait, 4(2007).

(2) سعيدوني والبوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، مرجع سابق، ص-60-61.
(3) الزبيري، مرجع سابق، ص-57-61. وكذلك سعيدوني و البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 61.
(4) سعيدوني، دراسات تاريخية...، المرجع السابق، ص. 68.
(5) عمار بن خروف، مرجع سابق، ص-45-47.
(6) للمزيد عن تأثير ارتفاع الأسعار في المنتوجات الزراعية على الحياة الإجتماعية للفرد. ينظر: صالح العتري، مجاعات قسنطينة، تج: رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974. وكذلك: عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ العثماني المغربي...، مرجع سابق، ص-165-166.

صعوبة في منافسة المصنوعات الأخرى خاصة الأجنبية منها⁽¹⁾، ويعود ذلك أساسا إلى ثقل الضرائب التي يفرضها الحكام وتشجيعهم لعمليات استيراد المنتوجات القادمة من الصحراء أو أوروبا، هذه السياسات التي انتهجها الحكام كانت نتيجتها نقص في صادرات المنتوجات الصناعية وإهمال الصناعات المختلفة باعتبارها من أساسيات اقتصاد دول المغرب⁽²⁾، لكن هذا القطاع عرف بعض التطور خاصة بعد هجرات الأندلسيين إلى الجزائر، فاستطاعت هذه الفئة الاندماج السريع في المجتمع الجزائري وأصبحت تمثل أساس حركية اقتصاد إيالة الجزائر⁽³⁾.

وبخصوص التجارة فقد كانت تتم على مستويين داخلي وخارجي، فتأثرت مباشرة بأوضاع القطاع الزراعي والصناعي، وهنا يذكر الأستاذ الزبيري ما جاء حول التجارة الداخلية "بأنها كانت تقوم على أساس الأسواق المحلية أو الجهوية و تكون يومية أو أسبوعية"⁽⁴⁾ وقد دعم هذا الرأي أيضا الأستاذين سعيدوني والبوعبدلي من خلال مظهر تجاري هام تميزت به أغلب المراكز التجارية مثل الجزائر وقسنطينة وتلمسان وهو مظهر "أسواق الرحبة"، وأن أغلب المنتوجات الزراعية والصناعية كانت تباع وتشتري فيها أو تتم عن طريق المقايضة (سلعة بسلعة)⁽⁵⁾، وقد كانت فيها بعض الإجراءات التجارية والهادفة إلى تنظيم الأسواق نذكر منها فرض بعض الرسوم "المكوس"⁽⁶⁾ على التجار، أما عن العملات المتداولة في عمليات البيع والشراء في بدايات العهد العثماني كانت أغلبها عملات موجودة قبل عثمنة الجزائر وأهمها العملة الزيانية والتي كان يتم التداول بها في الغرب الجزائري ووسطه، بالإضافة إلى العملة الحفصية في شرق الجزائر وعملات أخرى أبرزها: السلطاني، نصف سلطاني، زر محجوب نصف زر محجوب، وهي من العملات الذهبية وكذلك ريال بوجو ونصف ريال بوجو، وهي من العملات الفضية، بالإضافة إلى بعض العملات الأوروبية منها الإيكوس الإيطالية والريال

(1) سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص-ص. 34-37.

(2) للمزيد عن الصناعات الجزائرية خلال بدايات التواجد العثماني ينظر: سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص. 61 وما بعدها.

(3) للمزيد عن هجرات الأندلسيين إلى الجزائر ينظر: عبد المجيد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائج الحضارية خلال القرنين 16 و17م، رسالة ماجستير، إشراف: محمد أمين محمود بدوي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1994.

(4) الزبيري، مرجع سابق، ص. 64.

(5) سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص-ص. 71-72.

(6) المكوس أو مغارم السوق: وهي ضرائب تفرض على التجار والباعة والصناع بالأسواق، للمزيد ينظر: أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص-ص. 83-84.

الإسباني وغيرها⁽¹⁾، وإذا ما وسع مجال التجارة إلى الخارج فإنها ستدخل في إطار العلاقات الاقتصادية والتي كانت تتم بطريقتين تجارة برية عن طريق القوافل أو بحرية عن طريق الموانئ⁽²⁾، وكانت المبادلات التجارية (الصادرات والواردات) تتم مع دول المغرب والمشرق وأروبا ودول إفريقيا جنوب الصحراء، وتصدر أغلب السلع التي تنتجها الجزائر زراعيًا وصناعيًا وتستورد ما يلزمها⁽³⁾، ومن هذا المنطلق فقد تكونت مراكز تجارية في كل أنحاء الجزائر مثل قسنطينة في الشرق وورقلة في الجنوب وتلمسان في الغرب بالإضافة إلى مدينة الجزائر⁽⁴⁾، وفي هذا الإطار برزت فئات أندجحت في المجتمع الجزائري هيمنت على التجارة الخارجية للجزائر وهي بالخصوص فئة اليهود والتي كان لها دور كبير في إضعاف إقتصاد إيالة الجزائر خلال العهد العثماني⁽⁵⁾ بالإضافة إلى فئة الأندلسيين الذين توافدوا على الجزائر بعد تهجيرهم من الأندلس⁽⁶⁾.

2.1.2/ تونس:

يعتبر القرن 10هـ/16م بالنسبة لتونس قرنا محوريا من خلال انتقالها من الفضاء السياسي الحفصي إلى فترة تاريخية هامة غير لها مشهدها السياسي وتم إلحاقها بالدولة العثمانية، فحملت لها سنة 981هـ/1574م صفحات هذا التغيير، ولكن قبل ذلك شهدت الجزائر إلحاقها بالدولة العثمانية مما يؤكد ويعلل الدور الكبير الذي لعبته الجزائر في جعل تونس إيالة عثمانية⁽⁷⁾، ولهذا تعتبر الفترة الممتدة بين عامي 981هـ/1574م تاريخ ضم تونس إلى الدولة العثمانية وسنة 1046هـ/1637م نهاية حكم يوسف داي، وحدة تاريخية تميزت بقوة

(1) // للمزيد حول العملات والأسعار خلال العهد العثماني، ينظر: مروش، مرجع سابق، ص-ص. 32-73 وما بعدها، وكذلك: بيمينه درياس، مرجع سابق، وكذلك: سعيدوني، النظام المالي....، مرجع سابق، ص، 195 وما بعدها.

(2) // إسماعيل سامعي، « الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل القرن 4هـ/10م »، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 20(2006)، ص-ص. 171-188.

(3) // الزبيري، مرجع سابق، ص. 161 وما بعدها.

(4) // نفسه، ص. 151 وما بعدها.

(5) // للمزيد حول دور اليهود الإقتصادي في الجزائر، ينظر: وداد بيلامي، النفوذ الإقتصادي - السياسي لليهود الجزائر (1516-1830)، رسالة ماجستير، إشراف: أمحمد عميراي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة، 2004.

(6) // عبد الجليل التميمي، « رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م »، المجلة التاريخية المغربية، 3(1975)، ص-ص. 46-37.

(7) // عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ المغاربي...، مرجع سابق، ص-ص. 97-98، وكذلك ينظر: وليم سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 163.

النفوذ التركي العثماني بتونس، ويمكن التمييز خلالها بين عهدي الباشوات والدايات⁽¹⁾، وانطلاقاً من هذا التحول السياسي شهدت تونس بالمقابل تغيراً في أوضاعها الاقتصادية مقارنة بما كانت عليه في عهد الحفصيين.

ففي الزراعة نجد أن أغلب الدراسات التاريخية تثبت أن ملكية الأراضي الزراعية كانت تتوزع بين الأحياس العامة والخاصة وكانت الوسائل الزراعية تقليدية⁽²⁾، وبحكم موقعها الجغرافي فقد كان سكانها يهتمون بزراعة القمح والزيتون والعنب والحمضيات وبعض الفواكه والقطن والتبغ، وهو ما أهلها بأن تكون سوقاً للمنتوجات الزراعية، وتشتهر تونس بزراعة الزيتون والذي شغلت أشجاره مساحات كبيرة من أراضي سواحلها، بالإضافة إلى واحات النخيل التي تمتد على طول جنوب تونس فنتج أنواع عديدة من التمور⁽³⁾، فيمكن القول أن تونس من الناحية الزراعية تنتج ما يلزمها من مواد زراعية معاشية وتصديرية، وكانت اهتمامات الحكام التونسيين بعد عثمنتها هو الوصول إلى الإكتفاء الذاتي للمنتوجات الزراعية وجعل أسعارها في الأسواق تخدم كل فئات المجتمع التونسي⁽⁴⁾، وبالمقابل كانت تملك ثروة حيوانية من أبقار وأغنام وماعز وبغال وحمير، وهي الأخرى عبارة عن سلع تشتري وتباع بأثمان متفاوتة، فكانت تستعمل للسفر والأعمال الزراعية المختلفة كالحرث وجلب المياه من الأماكن البعيدة، لكن كل هذا ليس ببعيد عن فترات القحط والكوارث الطبيعية - ومثال ذلك جفاف سنة 1000هـ/1592م والذي ضرب تونس - وأثر مباشرة على المردود الزراعي لها وأدى إلى زيادة أسعار المنتوجات الفلاحية في أسواقها، ومن منطلق أن أغلب المزارعين والفلاحين يتمركزون في الأرياف والبادي التونسية فإنهم كانوا معرضين إلى الهزات الاقتصادية من خلال الضرائب والرسوم المفروضة على منتوجاتهم وحيواناتهم وهو مامهد لتمرّد بعض القبائل عن هذه الإجراءات، وكذلك كان للمدن الساحلية دور كبير في تحصيل الثروة السمكية والتي كانت تدخل في العمليات التجارية من بيع وشراء في الأسواق المختلفة⁽⁵⁾.

وبخصوص الصناعة في تونس في بدايات التواجد العثماني، فقد أشار الأستاذ قاسم حسب ما جاء في "فتاوى ابن عذوم" أن أغلب الصناعات المنتشرة بتونس لم تكن متطورة بل تقليدية، وأن ما كان يصنع يتمثل

(1) محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص- 52-53، وكذلك: المسعودي، مصدر سابق، ص. 91 وما بعدها.

(2) أحمد قاسم، مرجع سابق، ص- 289-291.

(3) دونان، مصدر سابق، ص- 60-61.

(4) محمد الأندلسي، الحلال السندسية في الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها الحميمة، تونس، 1870، ص- 288-289.

(5) أحمد قاسم، المرجع السابق، ص- 296-301.

في بعض المنسوجات وأهمها على الإطلاق -والتي كان لها رواج كبير- هي الشاشية التونسية أو الطربوش⁽¹⁾، بالإضافة إلى صناعات أخرى منها دبغ الجلود والمنسوجات الصوفية (البرانيس) وصناعة الصابون التي استنتجت من صناعة زيت الزيتون بالإضافة إلى الأواني الفخارية والنحاسية والحدادة...⁽²⁾، كما كان في تونس بعض المناجم مثل جبال حمام الأنف وحلق الوادي وكان يستخرج منها الحديد والفضة والذهب لإستعمالها في مختلف الصناعات، وبعض هذه المناطق خاصة الساحلية تنتشر فيها صناعة السفن التجارية وكذلك صناعات الأسلحة، بالإضافة إلى ما قام به الحكام في بدايات التواجد العثماني من خلال إقامة مصانع خاصة لسك عملات نقدية جديدة ذهبية فضية ونحاسية بهدف تسهيل وتطوير عمليات التبادل التجاري⁽³⁾.

وقد كانت التجارة بتونس تتم على مستويين متكاملين "داخلية وخارجية"، فالداخلية منها تتم في الأسواق اليومية والأسبوعية وتنتشر في أغلب مناطق تونس وكل مدينة تتوزع بها مجموعة أسواق⁽⁴⁾ تخصص في عمليات تبادل تجاري (بيع وشراء) أو بطريقة المقايضة، وكانت أغلب المنتوجات الزراعية أو الصناعية تعرض في الأسواق و تفرض عليها بعض المكوس كضرائب، أما عن عملية نقل السلع والمنتوجات داخل تونس فكانت تتم عن طريق القوافل التجارية الداخلية وأهمها التي تنطلق من تونس إلى توزر مروراً بكل من القيروان، سبيللة، قفصة، وهي الوسيلة الهامة لعملية التواصل التجاري في تونس داخلياً، فقد كانت منتوجات جنوب تونس كتمور توزر تنقل وتباع في أسواق المدن التونسية المختلفة، نفس الشيء نجده في تجارة زيت الزيتون والتي تنتج في بعض المدن الساحلية مثل قليبية والحمامات والمهدية وتنقل عن طريق القوافل الداخلية إلى بعض المدن التونسية لتباع أو يتم مقايضتها بسلع أخرى، وهي معرضة دوماً لعمليات النهب والسرقة من طرف قطاع الطرق والذين مارسوا اللصوصية والسلب والنهب في أغلب طرق القوافل التجارية داخلياً⁽⁵⁾، وبالمقابل كانت التجارة الخارجية تتم عن طريق البر أو عن طريق الموانئ، فللقوافل التجارية التي تنطلق من المغرب مروراً بالجزائر إلى تونس ثم المشرق دور هام في الحركة التجارية للسلع التونسية ونفس الدور نجده عند القوافل التي تنجده أو تأتي من الصحراء وخاصة بلاد السودان، وكان للموانئ أيضاً نفس الدور التجاري الهام من خلال عمليات تصدير السلع والبضائع التونسية إلى بلدان المغرب أو المشرق أو أوروبا، فقد كانت تصدر زيت

(1)/ الهادي الشريف، مرجع سابق، ص. 75 .

(2)/ قاسم، مرجع سابق، ص-ص. 306-304 .

(3)/ دونان، مصدر سابق، ص-ص. 63-61 .

(4)/ ابن أبي دينار، **المونس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، تونس، 1869، ص. 288 .

(5)/ قاسم، المرجع السابق، ص. 311 وما بعدها .

الزيتون وبعض الحبوب مثل القمح والشعير واستيراد ما يلزم من سلع مغاربية أو أروبية⁽¹⁾، أما عن العملات التي كانت متداولة في تونس فنذكر منها السلطاني والذي يدخل في إطار عمليات المبادلات التجارية مع المشرق ويعتبر من النقود الذهبية، بالإضافة إلى الريال الإسباني والذي يصنف ضمن النقود الفضية و كذلك الدينار والناصرى والآسبر والكرونة الإسباني⁽²⁾.

2-2 تأثير الخلافات الحرووية والصراعات العسكورية على الحرثية التجارية :

لما تأكد آل عثمان من توسيع نفوذهم وتواجدهم في المغربين الأوسط والأدنى خلال القرن 16م⁽³⁾، وكانت الجزائر في بدايات هذا التطور السياسي الهام تعتبر تونس إحدى المناطق التابعة لها جغرافيا سياسيا، وهذا من منطلق الدور الكبير الذي لعبته لتخليصها من الحفصيين والإسبان⁽⁴⁾، لكن اصطدمت برغبة تونس في الحصول على الإستقلال بداية من استرجاع ملكيتها على صفاقس سنة 1002هـ/1594م وقابس وحرية سنة 1012هـ/1604م وهذا بعدما كانت تابعة لطرابلس الغرب، فهذا معناه أن الحدود الشرقية لتونس لم تكن ثابتة أو مستقرة، نفس الشيء عرفته حدودها الغربية مع الجزائر⁽⁵⁾ وهنا نسأل: كيف ظهرت هذه الإضطرابات الجغرافية السياسية مع الجزائر؟ وما تأثيرها على التواصل التجاري بين الإيالتين؟ .

إن مشكلة الحدود بين الإيالتين بدأت تظهر بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية⁽⁶⁾ سنة 1519م/925هـ ورغبة بايلرباي الجزائر - خير الدين بربروس - إلحاق تونس وجعلها إحدى الأقاليم التابعة له تخضع لسلطته وحكمه، لكن هذا الأمر زاد من التباعد السياسي بينهما وزادت رغبة تونس أكثر في الانفصال، فمن المؤكد أن السبب الذي أدى إلى زيادة هذا التباعد بدرجة أولى هو تغذية القبائل الحدودية للصراعات⁽⁷⁾ والتي كانت متداخلة بين الجزائر وتونس أي بمعنى آخر أن الحدود لم تكن واضحة مما سهل عمليات تمرد

(1) // الصادق بوبكر، إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر الأبيض المتوسط (مرسيليا وليفورنة)، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية-الموريسكية، زغوان، 1987، ص. 10 وما بعدها .

(2) // للمزيد ينظر الصادق بوبكر، إيالة تونس في القرن السابع عشر...، ص-ص. 7-8، وكذلك : دونان، مصدر سابق، ص-ص. 64-65، وأيضا : قاسم، مرجع سابق، ص. 348 وما بعدها . وكذلك :

- Sadek Boubaker, op.cit, p-p. 77-83 .

(3) // عبد الرحيم بنحادة، المغرب والباب العالي، مرجع سابق، ص. 34 .

(4) // بوعزيز، مرجع سابق، ج2، ص. 46 .

(5) // قاسم، المرجع السابق، ص-ص. 118-119 .

(6) // للمزيد ينظر : حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تح : محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 2005، ص-ص. 69-70 .

(7) // أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص-ص. 18-19 .

وخروج بعض القبائل عن نظام حكم السلطين⁽¹⁾، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى دعم حكام من الطرفين خاصة في بدايات التواجد العثماني لبعض القبائل للتمرد على السلطة الحاكمة في الإيالة الأخرى⁽²⁾ وأكثر من هذا هو تحالف بعض القبائل التونسية أو الجزائرية ضد التواجد العثماني ومثال ذلك قبائل حنانشة الجزائر وقبائل الشايبية التونسية⁽³⁾، وهو ما أدى ببعض الحكام خاصة من تونس التقرب منها قصد كسب تأييدها ضد الجزائر وهذا من منطلق العلاقات التي أقامها بعض بايات تونس مع قبيلة الحنانشة، وهنا يذكر الأستاذ عميرواي ويؤكد أن "عامل المصاهرة كان له تأثير كبير لزيادة نفوذ قبيلة الحنانشة على الحدود بين الإيالتين بعد أن زوج الشيخ ابن منصر ابنته لعلي باي تونس، وهناك قبيلة أخرى كان لها نفوذ هي الأخرى بالشرق الجزائري وهي قبيلة النمامشة والتي تمتد نفوذها حتى نقرين التونسية"⁽⁴⁾ ومن هذا نستخلص أنه للقبائل للحدودية دور كبير في الصراعات السياسية بين الإيالتين، لكن هل أثر هذا على الصراعات العسكرية؟

كان لنظام الحكم السائد في الإيالتين تأثير كبير على ظهور الصراعات العسكرية من خلال تكوين باشويتين عثمانيتين فيهما، وقد بدأت هذه الصراعات منذ بدايات التواجد العثماني - كما أكدت سابقا - واستمرار النزاع الحدودي بينهما يؤكد "الأستاذ قاسم فيما جاء في تحقيقه لفتاوى ابن عطوم و تحميلة مسؤولية الحرب التي دارت بينهما سنة 1023هـ/1614م لثابت بن شنوف زعيم قبيلة الحنانشة التونسية وهذا طمعا في بعض الإمتيازات التي وعد بها به الجزائريون وأن حنانشة تونس كانوا يصحبون بعض الجزائريين في خرجاتهم لجمع الضرائب"⁽⁵⁾، ومنهم من يثبت أن الحكام في تونس أرادوا الحصول على تأييد حنانشة الجزائر ضدهم وهو ما جعل الصراع كبيرا بين الطائفتين خاصة وأن سبب هذا الصراع القبلي الحدودي سببه أراضي الرعي والكلأ والضرائب المفروضة عليها، وأمام هذه التطورات والخلافات الكبيرة اندلعت مواجهة عسكرية بين البلدين انتهت بهزيمة التونسيين فيها وهو ما جعلهم أمام واقع آخر يدعم قوة نفوذ الجزائر في تونس،

(1) للمزيد عن القبائل المتمردة ضد السلطات الحاكمة ينظر: سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص-ص. 230-232، وكذلك: ينظر: حماش، كشاف وثائق...، مرجع سابق، ص-ص. 62-63.

(2) شويتام، مرجع سابق، ص. 19.

(3) للمزيد حول قبيلة الشايبية وتاريخها يراجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الفقائي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 275 وما بعدها.

(4) عميرواي، مرجع سابق، ص-ص. 27-28.

(5) للمزيد عن استخلاص الضرائب (الدنوش) بالجزائر ينظر: الزهار، مصدر سابق، ص، 35 وما بعدها، وكذلك: سعيدوني، النظام المالي..، ص-ص. 118-125.

فوقعت معاهدة صلح بين الطرفين سنة 1023هـ/1614م⁽¹⁾، وهو ما انعكس على النظام الضريبي من خلال زيادة الجبايات والرسوم على المناطق الحدودية، لكن هذا التطور في العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيالتين عرف اهتزازا آخر وهو ما تؤكد المصادر التاريخية بأن مراد داي تونس شن حملة عسكرية ضد إقليم قسنطينة كمحاولة منه لضمها إليه، و انهزمت قرب مدينة الكاف التونسية سنة 1038هـ/1628م⁽²⁾ بعدها تم عقد وتوقيع معاهدة صلح "جعلت من وادي صرات الحد الفاصل بين البلدين فمن ناحية القبلة وادي ملاق والأحيرش وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا إلى البحر" كما نصت على أن كل سلطة سواء كانت في الجزائر أو تونس تجمع جباية ضرائبها من القبائل التي تضمنها حدودها وأن من دخل من القبائل الحدودية لعمالة الدولة الأخرى واجتاز وادي صرات شرقا يكون خراجة لتونس أما من اجتاز الوادي غربا فخراجه يكون لعمالة الجزائر⁽³⁾، لكن هذه المحاولة التي جاءت بهدف توضيح معالم الحدود بين الجزائر وتونس لم تعرف الاستقرار فقد كانت بمثابة حدود متحركة وغير ثابتة وهو ما أكده الأستاذ عميرواي بأنها حدود بشرية وليست سياسية⁽⁴⁾، كل هذا كان له تأثير كبير على الحركة التجارية بين البلدين وهذا من منطلق أن القوافل التجارية أصبحت تخشى التنقل بين الإيالتين لبيع وشراء السلع والبضائع، كما أن هذا الصراع المزدوج دعم كثيرا قطاع الطرق الذين كانوا يمارسون السلب والنهب، بالإضافة إلى أن العملة التي تصرف في الحدود بينهما في إطار عمليات المبادلات التجارية تأثرت قيمتها وأصبح هناك تداخل حتى في العملة فمثلا سيطر الريال التونسي على المعاملات النقدية بالشرق الجزائري خلال حكم حسين باي⁽⁵⁾، وهو ما أدى أيضا إلى نقص توافد السلع التونسية بالأسواق الجزائرية وعلى رأسها زيت الزيتون والشاشية، نفس الشيء عرفته السلع الجزائرية بالأسواق التونسية ولتغطية هذا العجز في المنتجات والبضائع كان يتم اللجوء إلى السلع الأوروبية أو الصحراوية، كل هذا وأكثر استغلته القبائل الحدودية للإمتناع والتهرب عن دفع الضرائب .

إذن ما يمكن التوصل إليه في هذا الإطار أن الصراعات القبلية والعسكرية بين الإيالتين - من خلال الحروب التي وقعت بينهما - زادت من تباعدهما السياسي، خاصة وأن تونس كانت تعتبر الجزائر بمثابة عدو

(1) /قاسم، مرجع سابق، ص-ص. 120-121 .

(2) /عميرواي، مرجع سابق، ص. 16 .

(3) /قاسم، المرجع السابق، ص. 121 ، وكذلك : الفكون، مصدر سابق، ص، 216 وما بعدها ، وأيضا : العنتري، تاريخ قسنطينة...، مصدر سابق، ص. 49 .

(4) /عميرواي، المرجع السابق، ص. 16 .

(5) /للمزيد حول هذا الباي الذي حكم من (1608-1622م) ينظر: العنتري، المصدر السابق، ص. 48 .

تقليدي لها مما أثر تأثيرا مباشرا في نمو الحركة التجارية وزادت من انغلاقهما تجاريا، لكن هذه الظروف وأخرى لم تكن حاجزا أمام تطوير الشبكة التجارية سواء كانت برية عن طريق القوافل التجارية أو بحرية عن طريق الموانئ، وهو ما يؤكد فرضية أن العلاقات الإقتصادية أكبر من الصراعات السياسية والعسكرية، فهل استمر هذا الواقع التجاري الذي عرفته الإيالتين في بدايات التواجد العثماني (ق 10/هـ 16م) أم تطور وتجاوز واقعها السياسي والعسكري خلال القرن 12/هـ 18م؟ .

الفصل الأول :

رحلات المغاربة تؤرخ للعلاقات التجارية بين الجزائر وتونس .

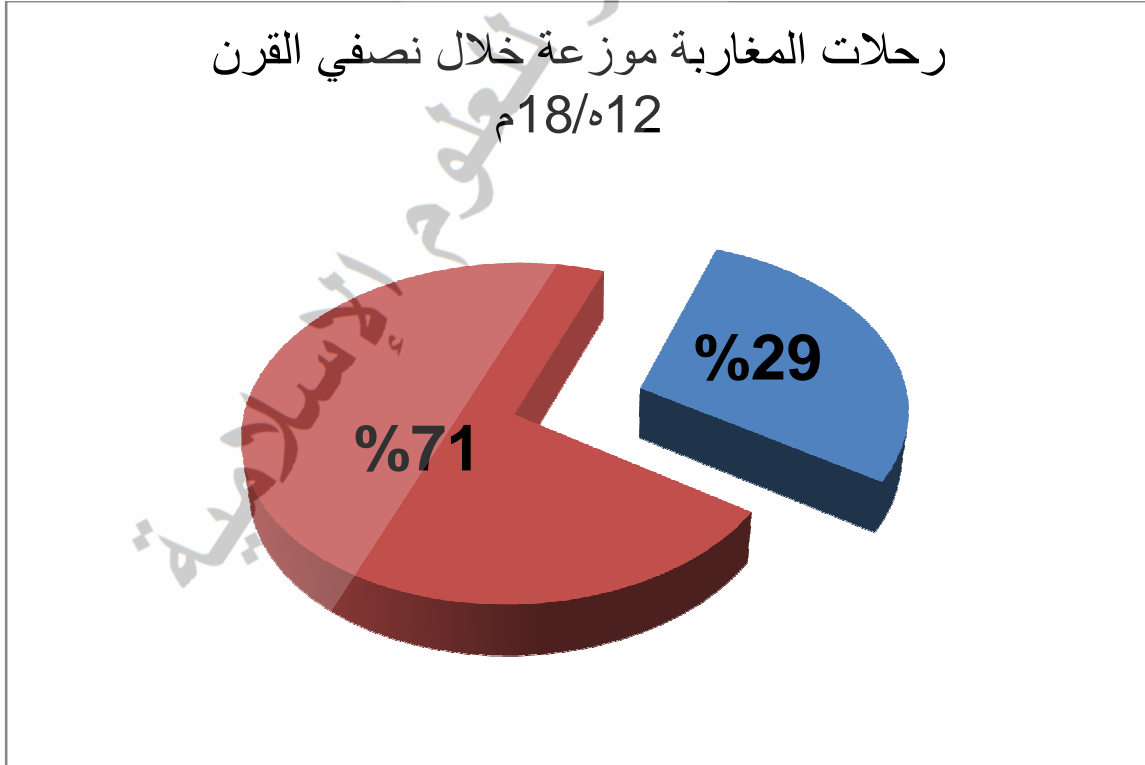
- 1- / نصوص الرحلات المتعلقة بالتجارة .
- 2- / الأصول الجغرافية للرحالة المغاربة .
- 3- / النصوص التجارية الواردة في رحلات النصف الأول من القرن 12/هـ 18م:
 - 3-1 / أحمد بن ناصر الدرعي .
 - 3-2 / ابن حمادوش الجزائري .

1/- نصوص الرحلات المتعلقة بالتجارة:

أشير في بداية هذه المرحلة من البحث أن الرحلات التي اعتمدت عليها في بحثي هذا هي التي أتيح لي الحصول عليها والمتوفرة على المادة الخيرية، وقبل الشروع في توظيف النصوص التجارية والتعليق عليها لابد من مقاربات حول أهم هذه الرحلات المستغلة في هذا البحث، وهذا انطلاقاً من أن مدى معرفة توزعها خلال القرن 12/هـ 18م تمكننا من قراءة واقع كتابة وتدوين هذه الأخيرة أو بعبارة أخرى: هل دونت في سنة رحلة المؤلف؟ أم دونت بعد ذلك؟ وهل كتبها الرحالة نفسه؟ أم دونها مرافقين له؟ والجدول التالي الذي قمت بإعداده يمثل توزع عدد الرحلات ونسبها المئوية -والتي تحصلت عليها- فقسمت إطارها الزمني للفترة المدروسة إلى مجالين زمنيين قائمين على أساس نصف قرن لتسهيل عملية المقارنة:

الإطار الزمني	[1700م-1750م] / [1112هـ-1163هـ]	[1750م-1800م] / [1163هـ-1214هـ]
عدد الرحلات	02	05
النسبة المئوية %	29%	71%

التمثيل البياني للجداول:

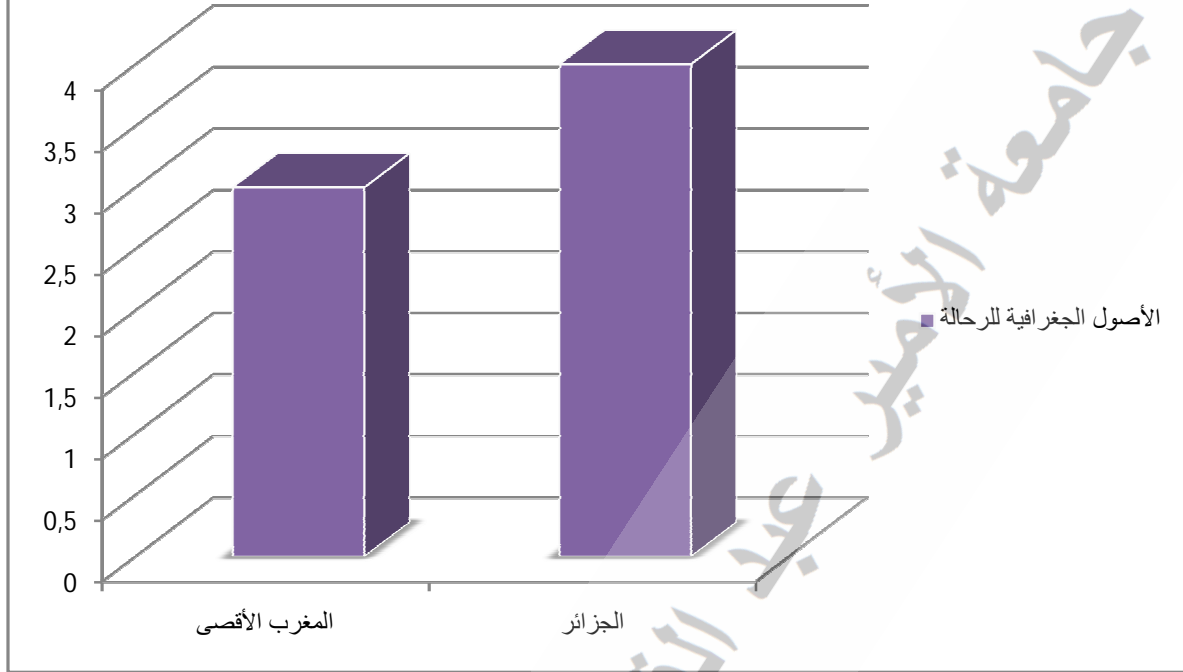


من خلال الجدول والتمثيل البياني لأهم الرحلات الموزعة خلال القرن 12هـ/18م بواسطة الدائرة النسبية ألاحظ وجود نوع من الإختلال في كتابة وتدوين الرحلات خلال القرن 12هـ/18م و عددها، وهذا راجع أساسا إلى وتيرة التأليف المختلفة، ففي النصف الأول ألاحظ غياب تقريبي للرحلات المدروسة، لكن بالمقابل النصف الآخر (الثاني) يمثل قمة الإنتاج والتأليف وفيه أكثر من نصف الرحلات المستخدمة في البحث (خمسة رحلات)، فهذا يعود أساسا إلى الطابع الذي امتازت به هذه الرحلات والتي كانت لأهداف معينة دينية (لفريضة الحج) أو جغرافية (لحب الاستكشاف) علمية (للدراسة والإحتكاك بالعلماء والفقهاء) و اقتصادية (للتجارة)، وهو ما أثر على المعلومات التي جاءت في متونها، وهذا ما يؤكد أن الطابع التجاري الموجود في هذه الرحلات جاءت في سياق كتابة الرحلة، وأن للأوضاع السائدة في هذه الفترة التأثير الكبير في تدوين فصول هذه الرحلات وهي ميزة أغلبها، فتواصل الصراع السياسي والعسكري بين الجزائر وتونس مع بدايات القرن 12هـ/18م والحملات الأروبية على بلاد المغرب أثرت أساسا على متون هذه الرحلات وجعلها ذات طابع وصفي وأحيانا أدبي، لكن الإشارات التي تضمنتها متونها حول بعض النصوص المتعلقة بالتجارة سهل لي بعض المهمة في الوصول إلى رسم صورة عن الحركة التجارية بين الإيالتين .

2- الأصول الجغرافية للرحالة :

النسبة المئوية	العدد	الأصول الجغرافية	الرحالة	البلد
%43	03	درعة	أحمد بن ناصر الدرعي	المغرب الأقصى
		مكناس	عبد الوهاب بن عثمان المكناسي	
		فاس	أبو القاسم الزياني	
%57	04	مدينة الجزائر	ابن حمادوش الجزائري	الجزائر
		معسكر	أبي راس الناصري	
		بني ورتيلان	حسين بن محمد الورتيلاني	
		مدينة الجزائر	أحمد بن عمار الجزائري	
%100	07	المجموع		

الأصول الجغرافية للرحالة

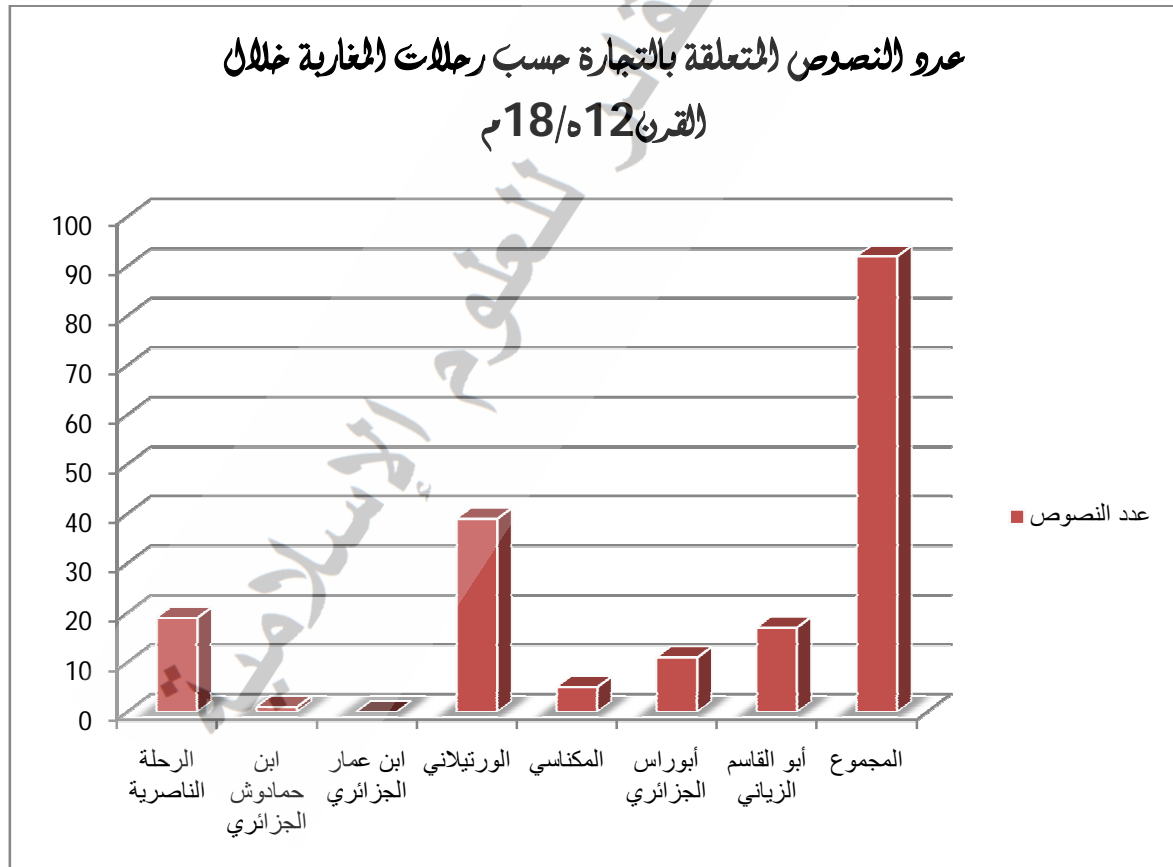


من خلال الجدول والتمثيل البياني للأصول الجغرافية للرحالة - وأغلب رحلاتهم حجازية - والذين اعتمدت عليهم خلال هذا البحث، ألاحظ أن أغلب مؤلفي الرحلات توزعوا بين الجزائر والمغرب الأقصى، حيث سجلت 04 رحلات من أصل 07 مؤلفيها ينتمون جغرافيا إلى الجزائر ويتوزعون على مدن الجزائر و معسكر وبني ورتيلان، و03 رحلات مغربية ينتمي مؤلفوها إلى مكناس ودرعة وفاس، وبالمقابل أود أن أوضح شيئا وأنه لم تسجل - حسب المصادر - أي رحلة ذات صبغة تجارية يكون منطلقها من ليبيا أو تونس نحو كل من الجزائر أو المغرب الأقصى ولكن الذي سجل هو انتقال بعض العلماء والفقهاء بين بلدان ومناطق هذا المجال الجغرافي، وهذا ما يعبر أكثر عن الحركة الكبيرة التي عرفتها بلاد المغرب الكبير ورحلاتها نحو المشرق، فانطلاق القوافل بمختلف أنواعها وأهدافها خصوصا من المغرب الأقصى والجزائر نحو بلاد المشرق يكون لزاما عليها المرور بتونس قصد التزود بما تحتاجه لإكمال رحلاتها، وهنا قام الرحالة من خلال تدوين رحلاتهم بوصف للأماكن الجغرافية والمسالك والطرق التي سلكوها والسلع والبضائع التي قاموا ببيعها أو شرائها، وهذا ما يفسر ويزر أكثر فرضية النشاط التجاري بين مختلف المناطق التي عبروها وأيضا من مبدأ أن المغرب الأقصى والجزائر هي منطلق القوافل المختلفة نحو بلاد المشرق مما يجعل أكثر حضور نصوص تتعلق بالتجارة في هذه المصادر .

- عدو النصوص المتعلقة بالتجارة حسب رحلات المغاربة⁽¹⁾ خلال القرن 12/هـ 18م :

عدد النصوص	تاريخ الرحلة	الرحلة
19	1709/هـ 1121م	رحلة أحمد بن ناصر الدرعي، " الرحلة الناصرية "
01	1743/هـ 1156م	رحلة ابن حمادوش الجزائري
00	1752/هـ 1166م	رحلة ابن عمار الجزائري
39	1765/هـ 1179م	رحلة الورتيلاني
05	1785/هـ 1200م	رحلة المكناسي
11	1789/هـ 1204م	رحلة أبي راس الناصري
17	1791/هـ 1205م	رحلة أبو القاسم الزياني
92	07 رحلات	المجموع

تمثيل معطيات الجدول :



(1) // الشيء الذي أود توضيحه في هذا الجدول أن الترتيب المعتمد لهذه الرحلات هو ترتيب كرونولوجي حسب تاريخ الرحلة .

من خلال الجدول الإحصائي وتمثيله البياني توصلت إلى الملاحظات التالية :

- توفر رحلة أحمد بن ناصر الدرعي المسماة "الرحلة الناصرية" (1121هـ/1709م) على 19 نصا متعلقا بالتجارة بين الجزائر وتونس فهي إذن بمثابة مصدر هام لتاريخ النشاط التجاري بين الإيالتين .
- غياب شبه كلي للنصوص التجارية في رحلة ابن حمادوش الجزائري (1156هـ/1743م) وتوفرها على نص واحد (01) فقط وهذا راجع أساسا إلى أن هذه الرحلة التي قام بتدوينها كانت أثناء تنقله بين الجزائر والمغرب الأقصى.
- بخصوص رحلة ابن عمار الجزائري (1166هـ/1752م) أسجل غياب كلي للنصوص والروايات المتعلقة بالتجارة وحركيتها بين الإيالتين، وهذا راجع أساسا إلى كون الجزء المطبوع والمتداول هي مقدمة هذه الرحلة والأجزاء الأخرى مفقودة .
- توفر رحلة الورتيلاني (1179هـ/1765م) على نصوص كثيرة مقارنة ببقية الرحلات تتضمن إشارات حول التجارة بين الجزائر وتونس خلال الفترة المدروسة وسجلت وجود 39 نصا، إذن أستطيع القول من خلال هذا أنها تمثل أهم مصدر لدراسة النشاط التجاري بين الإيالتين، وهو ما يثبت وجود إهتمام الرحالة بالجانب التجاري وأخبارها .
- توفر رحلة المكناسي (1200هـ/1785م) على 05 نصوص فيها إشارات حول نشاط تجاري بين الإيالتين .
- رحلة أبي راس الناصري (1204هـ/1790م) هي الأخرى سجلت وجود نصوص متعلقة بالتجارة بلغ عددها 11 نصا مما يوحي أنها أيضا مصدر هام يعتمد عليه .
- سجلت 17 نصا فيه إشارات حول وجود حركية تجارية بين الجزائر وتونس خلال الفترة المدروسة، وهذا من خلال رحلة أبو القاسم الزياني (1205هـ/1791م) مما جعلها ثانية الرحلات من حيث الأهمية في هذا البحث.
- مجموع هذه النصوص المتعلقة بالتجارة بلغ 92 نصا، وهي بمثابة مادة تاريخية خام، من خلالها سأحاول رسم شبكة تجارية من طرق و سلع (بيع وشراء) وعملات وتجار ومراكز تجارية توضح بعض النشاط والحركية التجارية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م .

3- النصوص التجارية الواردة في رحلات النصف الأول من القرن 12/هـ 18م :

لم يترك الإسلام أي وسيلة تعود على الإنسان بالفائدة إلا وحثه على فعلها وممارستها فنجد من هذه الأمور الرحلة، والتي لها فوائد عديدة خاصة وأما وردت في القرآن الكريم⁽¹⁾ في سورة قريش في قوله تعالى: "للإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبروا رب هذا البيت، (الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف)"⁽²⁾، وقوله تعالى في سورة الحج "...وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق..."⁽³⁾، وهذه الرحلات لم تكن ذات طابع واحد فقد كانت علمية، دينية، تجارية، استكشافية، فساهمت كثيرا في معرفة ووصف المناطق ومختلف الطرق التي تسلكها القوافل، ولا شك أن أمتع كتب الرحلات وأرفعها قيمة علميا وأديبا وتاريخيا هي التي تأخذ طابع ديني بهدف الحج أو علمية بهدف طلب العلم أو الإثنين معا⁽⁴⁾، وانتقل هذا النوع من السفر من المشرق إلى بلاد المغرب وأصبح جزءا من طريقة الانتقال من منطقة إلى أخرى وسميت "بالرحلات الحجازية"، وكان سكان هذا المجال الجغرافي يتبعون منهج المشرقيين في الرحلة خاصة ذات البعد الديني وهو أداء فريضة الحج، وقد تم تدوينها في شكل يوميات وكان أكثرهم ينتمون إلى العلماء المحليين⁽⁵⁾، وقد ظهر في تاريخ بلاد المغرب وسيلة للتواصل التاريخي على مر القرون متمثلة في كتب الرحلات بمختلف أنواعها، وكان للجزائريين والمغربيين دور في كتابتها مع بدايات التواجد العثماني بالمنطقة، لكن الملاحظ هو إبداع المغربيين في إنتاج مختلفها (حجازية، وغير حجازية) وهذا مقارنة بالجزائريين، فنجدها كتبت نثرية أو شعرية، وفي هذا الإطار برز العديد من الرحالة المغاربة خاصة خلال القرن 12/هـ 18م وأغلب رحلاتهم حجازية، فكان لهم دور كبير في إخراجها كمصادر تاريخية هامة اعتمد عليها أغلب الباحثين في دراساتهم⁽⁶⁾.

(1) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص-ص. 29-32 .

(2) القرآن الكريم، سورة قريش .

(3) القرآن الكريم، سورة الحج (26-27) .

(4) عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص-ص. 36-38 .

(5) إغناطيوس بوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج2، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963، ص-ص. 754-765 .

(6) المعرفة الرحلات أهميتها وأنواعها خلال العهد العثماني ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص-ص. 381-390، وكذلك: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص-ص. 177-180 .

لم يكن القرن 12/18م نقطة بداية تأليف وكتابة الرحلات لا من قبل المغاربة ولا من الأوروبيين الذين زاروا بلاد المغرب، فلو قمنا بعملية مقارنة بسيطة بين ما كتبه وألفه لوجدنا أن مؤلفات المغاربة في هذا الإطار لا تنافس ولا تتزاحم أبدا ما ألفه نظرائهم من الأوروبيين، خاصة ما تعلق بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، لكن رغم هذا استطاع المغاربة ومنهم الجزائريين إيصال مادة تاريخية هامة تؤرخ لهم ولمختلف مجالاتهم وما عايشوه في مختلف الفترات⁽¹⁾، فلو رجعنا إلى ما جاء به القرنين (10-11هـ)/(16-17م) من كتب الرحلات⁽²⁾ لوجدنا أنها مادة تاريخية خام لها قيمة هامة في التعريف بأخبار المدن والتل والصحراء والطرق التجارية ومختلف القبائل، لكن ماجاء به القرن 12/18م من رحلات مغاربية لا يمكن لأي باحث في هذا التخصص تجاوزها، فهو يحتوي على رصيد هام من الرحلات والتي تعتبر بمثابة مصادر هامة لدراسة مختلف الجوانب على رأسها الجانب الاقتصادي خاصة النشاط التجاري بين الإيالات العثمانية، وموضوع البحث هذا من الناحية الزمنية ليس كمنطلق لجمع النصوص المتعلقة بالتواصل الاقتصادي بين الجزائر وتونس، إلا أن هذا القرن مثل قمة كتابة وتدوين هذه الرحلات، ولهذا الأمر قبل الشروع في كل عملية لاستخراج النصوص والروايات المتعلقة بالتجارة ودراستها من مختلف الرحلات، استوجب عليّ الوقوف على ترجمة لأهم الرحالة المغاربة والتعريف بكتب رحلاتهم .

3-1 / أبو العباس سبير (محمد بن أبي عبر الله محمد بن ناصر الدرعي)، صاحب (الرحلة الناصرية)⁽³⁾ :

ولد بقرية بوادي درعة⁽⁴⁾ جنوبي مراكش تسمى "تمكروت" بالمغرب الأقصى سنة (1057هـ/1647م)، كان أبوه شيخا للزاوية الناصرية، عرف عليه حبه للسفر والإرتحال خاصة لأداء فريضة الحج، حيث أنه حج أربع مرات: الأولى رفقة أبيه وكانت بهدف معرفة الطريق نحو المشرق، والثانية سنة (1096هـ/1684م)، الثالثة عام (1109هـ/1697م)، والرحلة الرابعة سنة (1121-1022هـ/1709-1710م) -

(1) / مولاي بلحميسي، مرجع سابق، ص-ص. 13-14 .

(2) / نذكر من بينها : - حسن الوزان (ليون الإفريقي) : وصف إفريقيا ، كذلك : مامول كرنجال : إفريقيا (بداية ق 10/16)، وكذلك، رحلة التمقروتي (أواخر القرن 10/16م)، بالإضافة إلى رحلة العياشي (أواخر القرن 11/17م)، للمزيد أكثر ينظر : بلحميسي، المرجع السابق، ص-ص. 15-17 .

(3) / الدرعي، مصدر سابق، ص. 2 .

(4) / مدينة صغيرة بمنطقة السوس المغربي ، للمزيد ينظر : الزهري، كتاب الجغرافية، تج: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س، ص. 156، وكذلك : الحموي، معجم البلدان، مج2، دار صادر، بيروت، 1977، ص. 451 .

قام فيها بذكر ووصف لرحلاته الثلاثة الأولى - واستغرقت عاما كاملا⁽¹⁾ وحملت عنوان "الرحلة الناصرية"⁽²⁾، كان من فضلاء أهل المغرب وصلحائها⁽³⁾ وله مؤلفات كثيرة أهمها كتاب "الأجوبة الناصرية"⁽⁴⁾، توفي بتمكروت ودفن مع أبيه سنة (1129هـ-1717م)⁽⁵⁾.

3 - 1.1 / كتاب الرحلة الناصرية 1121-1022هـ/1709-1710م :

ارتحل أحمد بن ناصر الدرعي (ت 1128هـ/1717م) لأداء فريضة الحج أربع مرات، عرف من خلالها أمورا كثيرة، ولكي يستفاد من رحلاته المختلفة قام بتدوين رحلته الأخيرة سنة (1121هـ-1709م) وأخرجها بعنوان "الرحلة الناصرية"⁽⁶⁾، والتي اعتبرت بمثابة أهم مؤلفاته، وقد طبعت بالمطبعة الحجرية بفاس المغربية سنة (1320هـ/1902م)⁽⁷⁾، وتم إخراجها في جزأين (الجزء الأول به 248 صفحة والجزء الثاني به 200 صفحة بمجموع 448 صفحة)، وقد تطرق فيها إلى رحلاته السابقة، فوصف أغلب الأماكن والمسالك والقبائل إنطلاقا من مسقط رأسه بتمكروت بالمغرب الأقصى مرورا بالجزائر وتونس وطرابلس ومصر وصولا إلى الحجاز، نفس الشيء قام به أثناء عودته من المشرق⁽⁸⁾. فبعد تصفحي لمتن هذه الرحلة الهامة خلصت إلى بعض النتائج متمثلة في مايلي :

- هذه الرحلة تعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون والدارسون لتاريخ بلاد المغرب خلال القرن 18هـ/18م، فعند العودة إلى متنها نجد أن مؤلفها اعتمد وأخذ من رحالة سابقين مثل نذكر العبدري⁽⁹⁾،

(1) عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات ... مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، 2005، ص-ص. 253-254 .

(2) إغناطيوس كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص-ص. 765-766 .

(3) القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني المعروفة ب "موسوعة أعلام المغرب"، ج4، تح: محمد حجي و أحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص. 1583 .

(4) خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1، ط15، دار العلم للملايين لتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 2002، ص. 241 .

(5) السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج2، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص. 360 وكذلك: كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص. 765 .

(6) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص-ص. 253-254، وكذلك ينظر: الكتاني، مصدر سابق، ص. 677 .

(7) كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص. 766 .

(8) نفسه، ص. 766 .

(9) أبو عبد الله العبدري، رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005 .

التيجاني⁽¹⁾ والعياشي⁽²⁾. ويمكن وضعها في خانة تقرير مفصل لنشاط الراحل و الرجل الذي ينتمي إليه كاتب كاتب هذه الرحلة، فسجل كل أحداث الرحلة من خلال وصفه لمراحل الرحلة وذكر مميزات المسالك ووعورتها، والطريق وأحوالها، وأماكن التزول والراحة والمبيت، وحالات اللآمن في الطرق ومختلف المشاكل والصعوبات التي تواجه القافلة، فابن الدرعي راعى الإفادة العلمية، والتوجيه الديني للراغب في الحج وتأدية فريضته على أكمل وجه، فهي تمثل وسيلة للتواصل العلمي والاجتماعي بين بلاد المغرب وبقية المجتمعات التي يتم الاتصال بها، وبخاصة الأماكن التي تمتد بها إقامة الحجاج الراحلين، فيكون فيها متسع من الوقت للتعرف على نشاط أهلها الإقتصادي و الاجتماعي والديني، وقد توصلت أن متنها يتوفر على إشارات ونصوص وروايات تحمل طابع إقتصادي تجاري (قوافل، طرق تجارية، سلع ومنتجات زراعية وصناعية، بيع وشراء، أماكن جغرافية) رأيت أنها ستساعدني على رسم صورة للحركة التجارية بين الجزائر وتونس خلال القرن 18/م .

وبعد القراءة المتأنية وعملية استخراج النصوص والروايات من الرحلة الناصرية، سأعرض و أناقش ما جاء فيها من إشارات تؤرخ للعلاقات التجارية للجزائر وتونس :

النص الأول:

"...فلما حان وقت السفر مع جملة وافرة من أهل المحبة من كل ناحية متوجهين للأماكن الشريفة... ارتحلنا من أماكننا (1)... ولما وصلنا سجلماسة (2) ونزلنا واطمأنت بنا فيها المجالس واسترحنا... واستقى الناس من مائها في يمن وأمان، وخيمنا بها وأريحت الأجمال (3) وأميطت عنها الأجمال (4) ونشطت للماء والمرعى، وبتنا بها يوم الأحد ولا رأينا بؤسا ولا روعا، مع أن المحل معروف بالسرقة والاختلاس، إلا من شمر ذيل الإختلاس... ثم ضعنا من تلك الدار... وسرنا متوجهين للعطشانة... وبالعطشانة ما يقوم بالإبل من الماء والكلاً وبتنا بها آمنين (5)... ثم ضعنا... ووجدنا سجلماسة... الزرع بست موزونات (6) للعوينة والقمح بتسع والتمر بأربع ونصف والتبر صرفوه بمثقال (7) ونصف وثلاث موزونات والبعض وموزونتين وموزنة، واشترت فرسا (8)... بتسعة عشر غير ربع... وودعنا... أصحابنا السجلماسيين..."⁽³⁾.

(1) أبو محمد التيجاني، رحلة التيجاني، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980 .

(2) العياشي، مصدر سابق .

(3) الدرعي، مصدر سابق، ج 1، ص-ص. 5-25 .

- (1) // يقصد بها درعة وقد سبق التعريف بها⁽¹⁾، وهنا يجربنا الدرعي بأنه قد تقرر السفر في قافلة متكونة من الأهالي وسكان جميع المناطق المجاورة لدرعة .

- (2) // سجلماسة: مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى⁽²⁾، بينها وبين فاس مسيرة عشرة أيام وبينها وبين درعة أربعة أيام، مشهورة بزراعة العنب ويقال أن بها ستة عشر نوع من التمر ومنها يقاتن سكانها، وأهلها من أغنى الناس وأكثرهم مالا وهذا بسبب وقوعها في الطريق نحو غانة والمشهورة بتجارة الذهب⁽³⁾، وكانت محطة للقوافل التجارية ويقول عنها ابن حوقل في هذا الصدد: "... كانت القوافل تجتاز المغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون... فهم وأولادهم وتجارهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابعة، قلما يدانيها التجار في بلاد الإسلام سعة حال..."⁽⁴⁾.

- (3) // الأجمال: ويقصد بها الجمال، والتي تعتبر أهم وسيلة تعتمد عليها القوافل التجارية، فهي تتحمل مشقات السفر الطويلة خاصة نقص المياه والحرارة، وكذلك فهو يحمل أضعاف ما تحمله البغال والحمير ومسافة مسيرته في الطرق أهله بأن يكون وسيلة مشجعة على القيام بالرحلات الطويلة خاصة في المناطق الصحراوية، وهي أحد أهم أنظمة القوافل، ويعود موطنها الأصلي إلى بلاد المشرق⁽⁵⁾.

- (4) // من المؤكد أن هذه الأحمال هي ما يلزم القافلة في رحلتها (زادها) وكذلك بضائع المنطقة التي قدموا منها، وهذا من منطلق أن سجلماسة محطة تجارية للقوافل في بلاد المغرب يتم فيها بيع وشراء مختلف السلع نقدا أو مقايضة .

(1) يرجى العودة للصفحة 37 .

(2) // بان علي محمد البياتي، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-9/5-11م)، رسالة ماجستير، إشراف: صباح إبراهيم الشخيلي، كلية التاريخ، جامعة بغداد، 2004، ص-ص. 72-73 .

(3) // مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985، ص-ص. 200-201 ، وكذلك: الحموي، مصدر سابق، مج3، ص. 192 .

(4) // ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص-ص. 65-90 ، وللمزيد عن سجلماسة وأهميتها تجاريا ينظر: لحسن تاوشينخت، "سجلماسة" محطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، تطوان، 1998 .

(5) // رضا جواد الهاشمي، «تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم»، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص-ص. 10-12 .

- (5) / يؤكد الدرعي في هذا النص أنه نزل بسجل ماسة والتي تعتبر بمثابة مكان استراحة للمسافرين والحجاج والقوافل التي تمر عبر الصحراء الكبرى حيث تجد المأوى وأماكن الراحة والطعام والماء، بالإضافة إلى مراعي الإبل ويشترون ويبيعون أو يقايضون سلعهم بأسواقها⁽¹⁾، وهذا دون إغفال عنصر الأمن في الطرق والذي يعتبر عامل هام لنجاح مهمة القافلة⁽²⁾.

- (6) / الموزونة: عملة نقدية فضية صغيرة الحجم⁽³⁾ وهي من العملات الحسائية، تم سكها خلال القرن 12/18م بالجزائر⁽⁴⁾، فمن المؤكد أن انتقال هذه العملة إلى سجل ماسة المغربية كان بسبب الضرورة التجارية للقوافل.

- (7) / المثقال: عملة نقدية فعلية مغربية ويقصد به المثقال الفاسي وتساوي قيمته 10 أوقية والأوقية ب 4 موزونات، وتساوي أيضا 225 آسير⁽⁵⁾، وجاء في سورة النساء الآية 40 قوله: ((... إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...))⁽⁶⁾، ومنه يتضح أنه أيضا أحد أشكال الموازين ويساوي وزن 72 حبة من القمح المتوسطة الحجم، ويقدر وزنه بحوالي أربعة غرامات⁽⁷⁾.

- (8) / الفرس: هي الأخرى إحدى الوسائل التي تعتمد عليها القافلة لكن بدرجة أقل من الجمال، وهنا يتضح لنا أكثر أن الدرعي اشتراه لأهميته في الطرق التلية والجبيلية⁽⁸⁾.

(1) / رضا الهاشمي، مرجع سابق، ص. 19-20.

(2) / للمزيد عن حالة الأمن في طرق القوافل التجارية ينظر: عمار بن خروف، مرجع سابق، ص. 70-72.

(3) / بمينة درياس، مرجع سابق، ص. 369.

(4) / الموزونة تساوي 29 درهما، للمزيد ينظر: مروش، مرجع سابق، ص. 56-57.

(5) / Haedo.(F.DE), «Topographie et Histoire générale d'Alger», traduction par : (A).Berbrugger et Monnereau, **R.A, vol n°15**, Alger, 1871, p-p. 95-96.

(6) / القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 40.

(7) / العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002، ص. 190-193، وكذلك

ينظر: الأمين عوض الله، «تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي»، **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر**، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص. 69-106. وكذلك ينظر: سعيدوني،

النظام المالي، مرجع سابق، ص. 256.

(8) / الهاشمي، المرجع سابق، ص. 9-11.

النص الثاني :

"...وحملنا الهوادج على البغال (1) رفقا بالجمال...ونزلنا المريجة (2) بعد العصر ولم يتزل آخر الركب إلا بعد العشاء (3)...وشبعت البهائم والإبل بها...واكثرنا اثنين من البداوة بثلاثة مثاقيل...وبعثنا الدليل (4) محمد المذكور مع الحاج رمضان...وأعطينا لهما بعيرا حملوا عليه الماء..."⁽¹⁾.

- (1) / البغال: من أهم وسائل التنقل ونقل ما تحمله القوافل من سلع أو زاد لها⁽²⁾.

- (2) / المريجة: المعلومات عنها شحيحة لكن الملاحظ من كلام الدرعي في الرحلة أنها منطقة كثيرة العشب والكأ والمياه وتأتي بعد سجلماسة سيرا نحو الشرق .

- (3) / انقسام القافلة يؤكد على أنها كبيرة و محملة بالزاد ومختلف السلع والبضائع المغربية، ومن المعلوم على القوافل المغربية المتجه نحو المشرق أنها كانت من أضخم القوافل ومثال ذلك قافلة الحج و سلا المغربية⁽³⁾.

- (4) / يقصد بهم أدلة الطرق وهنا قام القافلة بكراء اثنين من أهل المنطقة بهدف توجيه القافلة، ويطلق عليهم اسم "كشافي الطرق"، فمن شروطهم أن يكونوا ذا خبرة خاصة وأن القافلة إذا تاهت عن الطريق المحدد فإنها معرضة إلى خطر قطاع الطرق أو الموت عطشا⁽⁴⁾.

النص الثالث :

"...وسرنا ونزلنا بشارا (1) عند الزوال...وتوضأنا واسترحنا وارتحلنا إلى علو فوق البلد ونزل به الركب وصلينا الظهر وبتنا به، وتلقانا أهله أفواجا فرادى وأزواجا شيوخا وكهولا وشبانا ورجالا...وأتوا إلينا بفواكه كثيرة فالله يتقبل منهم..."⁽⁵⁾.

(1) / الدرعي، مصدر سابق، ص، 26 .

(2) / بن خروف، مرجع سابق، ص. 64 ، وكذلك : الهاشمي، مرجع سابق، ص-ص. 9-11 .

(3) / تعتبر قافلة الحج المغربية السنوية من أضخم القوافل التي تتجه نحو المشرق لأداء فريضة الحج وهناك قافلة أخرى لها أهمية تجارية بين دول المغرب ونقصد بها قافلة سلا المغربية، للمزيد ينظر : بن خروف، مرجع سابق، ص-ص. 64-65 .

(4) / للمزيد حول نظام القوافل التجارية خاصة التي تسلك الطرق الصحراوية ينظر: جبريل أبو بكر علي، « طرق القوافل وأثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء »، ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، تنقلات العلماء، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1995، ص-ص. 81-88 .

(5) / الدرعي، المصدر السابق، ص. 27 .

- (1) // بشار: مدينة تقع في الجنوب الغربي للجزائر بالحدود مع المغرب الأقصى، تشتهر بمناجم الفحم⁽¹⁾، ومن الواضح أنها محطة هامة لمختلف القوافل المتجه نحو الصحراء والمشرق .

النص الرابع :

"... وضعنا يوم السبت حتى قربنا من أم إلياس (1)، وتلقانا بعض الأحبة من أهل فجيح (2)... وقلنا بأم إلياس حتى صلينا الظهر، ولم يزل أهل فجيح يترادفون أفواجا ويتلاحقون زمرا زمرا شيوخا وكهولا وصبيانا، وأتوا بعنب وبسر وخوخ... ولما صلينا الظهر سرنا ولم يزل أهل فجيح يتلاحقون حتى أشرفنا على البلد (3)..."⁽²⁾

- (1) // المعلومات عن هذه القرية قليلة جدا، لكن يفهم من كلام صاحب الرحلة أنها تقع بالقرب من فقيق .

- (2) // فجيح = فقيق = فكيك: واحة يحيط بها النخيل من كل جانب، تعتبر محطة هامة في الطريق الصحراوي للقوافل التجارية، يكثر بها التمر الجيد، تمتاز بتعدد الأنشطة التجارية وهي بمثابة بوابة هامة للسلع القادمة من وإلى بلاد السودان مع بلدان المغرب، وتخضع إلى قبائل يقال أنها من أشهر قطاع الطرق في الصحراء، وتبعد عن سجلماسة بنحو مائة وخمسين فرسخا⁽³⁾، وأهلها يشتهرون بصناعة منسوجات الأغشية الصوفية⁽⁴⁾ .

- (3) // يفهم من كلام الدرعي أنه من بين الأسباب التي تجعل من منطقة فجيح محطة هامة للقوافل التجارية هي كرم وجود أهلها وكذلك لكونها مكان للإستراحة والتزود بما يحتاجونه من زاد الطريق خاصة وأنها مشهورة بالتمر، وهذا عكس تلك المناطق التي لاتتوفر على الأمان⁽⁵⁾ .

النص الخامس :

"... فاشترى الحاج ما احتاجوا إليه من الأكسية والبرانيس وغير ذلك من الثياب (1)، وأخذ الناس أحمالهم من

(1) // مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج7، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص-ص. 259-260، وكذلك ينظر: كمال موريس شربل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجيل، بيروت، 1998، ص. 108 .

(2) // الدرعي، مصدر سابق، ص. 28 .

(3) // الفرسخ يساوي 3 أميال، أو 5544 م أو 5.544 كلم ومعناه أن فقيق تبعد عن سجلماسة ب 831.6 كم للمزيد عن المسافات وتقديراتها ينظر: محمد صبحي بن حسن حلاق أبو مصعب، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2008، ص-ص. 62-64 .

(4) // مارمول كرنجال، إفريقيا، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1989، ص. 162 .

(5) // نفسه، ص. 162 .

العرب الذين أكثرتهم من تافيلالت (2) إلى فجيح (3)...⁽¹⁾.

(1)- /وهنا نستخلص أن القافلة مرت بتافيلالت والتي تتميز أسواقها بأجود أنواع الجلود والثياب⁽²⁾.

(2)- /تافيلالت: وهي سجلماسة القديمة مهد الأشرف العلويين، أغلب سكانها من البربر، تقع في واحة واسعة كثيرة النخل والتمر الجيد وبها العديد من القرى، تشتهر بصناعة الجلد "الفيلاي" ذو الشهرة العالمية، وهي محطة تجارية هامة للقوافل التجارية الصحراوية، وحاليا تسمى "الرشيدية"⁽³⁾.

(3)- /فجيح سبق تعريفها.

(النص الساوس):

"... واستأجرنا هنالك رجلا يهدينا (1) الطريق إلى أبي سمغون (2). بمثقال اسمه محمد بن عيسى (3) أصله من أبي سمغون... وسرنا ونزلنا... أبي سمغون بعد العصر وأتيت بعنب لم أر مثله حلاوة وطولا ومنذ خرجنا من بلدنا لم أر مثل عنبها (4)..."⁽⁴⁾.

(1)- /يتبين لنا من خلال ذلك أن القافلة لا تعرف الطريق إلى أبي سمغون وهو ما استلزم كراء أحد الأدلة ليهديهم إلى السبيل الصحيح وقد سبق الإشارة إلى عملية كراء أدلة الطرق سابقا.

(2)- /أبي سمغون أو بوسمغون⁽⁵⁾: يعود أصل تسميتها إلى الولي الصالح "سيدي بوسمغون"، وهو من أصل مغربي بالتحديد من منطقة "الساقية الحمراء"، والذي كان متوجها لأداء فريضة الحج لكنه لم يواصل وفضل البقاء في هذه المنطقة والمعروفة بالتزاعات المتكررة، فعاد له الفضل في إيجاد حل لها بجنكته الواسعة، وبقي بها

(1)/ الدرعي، مصدر سابق، ص. 28 .

(2)/ مارمول، مصدر سابق، ص. 156 .

(3)/ نفسه، ص-ص. 156-157 .

(4)/ الدرعي، المصدر السابق، ص. 29 .

(5)/ للمزيد عن الموقع الجغرافي لبوسمغون ينظر: منى دحمون، قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية تحليلية، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: علي حملاوي، معهد الآثار، الجزائر، 2005، ص-ص. 14-15 .

حتى توفي وأصبحت تحمل اسمه⁽¹⁾، وهي منطقة مشهورة بالقصور وكانت بمثابة محطة وممر للقوافل التجارية وقوافل الحجيج وهو ما أكدته الرحالة العياشي (ت 1090هـ/1679م) في رحلته⁽²⁾.

- (3) // لم ترد ترجمة لهذا الدليل الذي استعانت به القافلة ليهديها إلى أبي سمغون، لكن الواضح أنه من أهل فجيح ويعرف طريقها.

- (4) // يتبين لنا من خلال ما جاء في النص أن منطقة بوسمغون بها مزارع لزراعة العنب بالرغم من أنها منطقة صحراوية.

النص السابع:

"...واكتريت رجلا من أبي سمغون (1) يهدينا الطريق إلى الأغواط (2) بمثقالين اسمه سيد محمد مختار، وهو طالب بحفظ القرآن وجمال في البلدان، دخل تلمسان والجزائر... وسكن بفاس خمس سنين... وكان نزل بنا ليلا من الثلج... وغطيت الطرق وظهور الإبل والدواب... فسلك بنا الدليل الطريق الصحراء لسلامتها مما ذكر، وتوغلنا في الصحراء ولم نلتق بطريق الجبل (3) حتى نزلنا الأغواط... ثم وضعنا منه يوم الثلاثاء ظهرا ونزلنا بجموت (4) ظهرا وتلقانا أهلها أفواجا كبارا وصغارا..."⁽³⁾.

- (1) // سبق التعريف بها.

- (2) // الأغواط: مدينة كبيرة تقع جنوب الجزائر، تشتهر بالنخيل، أهلها من أشد الناس كرما قال عنها ابن خلدون "... (وأما لقواط)⁽⁴⁾ وهم فخذ من مغراوة أيضا فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هنالك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر، وهم مشهورون بالنجدة والإمتناع من العرب، وبينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصودهم إليهم لتحصيل المرافق منهم، والله يخلق ما يشاء ويختار..."⁽⁵⁾.

(1) // دحمون، مرجع سابق، ص. 24.

(2) // العياشي، مصدر سابق، ج 1، ص-ص. 79-80.

(3) // الدرعي، مصدر سابق، ج 1، ص-ص. 30-33.

(4) // هكذا بالقاف، للمزيد ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ...، مصدر سابق، ج 7، ص. 65.

(5) // نفسه، ص. 65.

(3)-/ هنا يتضح أكثر أن الأمن في الطرق هي أهم ما تبحث عنه القوافل والتي تتجنب المسالك المعروف عنها حالات اللّامن وكثرة قطاع الطرق، وقد سبق الإشارة إليها سابقا. (1) .

(4)-/ تجموت: بلدة صغيرة تقع على بعد 10 فراسخ (50 كلم) عن الأغواط، و7 فراسخ (35 كلم) عن عين ماضي، كثيرة المياه والنخل، الشيء الذي أهلها بأن تكون نقطة عبور لمختلف القوافل الطولية من الجنوب والمتجهة نحو الشمال أو العرضية من الغرب إلى الشرق (2) .

النص (الثامن) :

"...ونزلنا سيد خالد (1) إصفرار يوم الأربعاء عشرين من رجب أربعة عشر من شتنبر، وسلم الله والحمد لله الركب في هذه المسافة... وقرية أولاد جلال (2) من أكبر قرى الزاب (3)، وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين وهم يسمون الغرباء... ولما طلعت الشمس ضعنا ونزلنا بسكرة (4) النخل عصر السبت ثالث وعشرين رجب سبعة عشر شتنبر وأقمنا بها الأحد والإثنين..." (3) .

(1)-/ سيد خالد يقصد بها سيدي خالد: وهي منطقة تقع جنوب غرب بسكرة تنتمي إلى واحات الزيبان، يعود أصل تسميتها إلى خالد بن سنان العبسي (4) .

(2)-/ أولاد جلال: من أكبر قرى بلاد الزاب، كثيرة القمح والتمر (5)، والمعروف عن سكانها أنهم كانوا لا يدفعون الضرائب للحكام الأتراك (6) .

(3)-/ الزاب أو إقليم الزاب: منطقة واسعة تجمع مدن كثيرة مجاورة للصحراء تشتهر بالأثمار والعيون، وهي مشابهة لبلاد الجريد في جوها ونخلها (7)، من مدنه وقراه: بسكرة، توزر، قسنطينة، طولقة، قفصة، نفزاوة،

(1)/ بن خروف، مرجع سابق، ص-ص، 70-72 .

(2)/ Daumas (I.C), *Le Sahara Algérien, études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements Français en Algérie*, Paris, alger, Fortin Masson et Cie, 1845, p-p. 28-27 .

(3)/ الدرعي، مصدر سابق، ص-ص. 34-37 .

(4)/ Shaw, op.cit, p. 213 .

(5)/ Daumas, op.cit, p-p. 149-150.

(6)/ العياشي، مصدر سابق، ج2، ص. 545 .

(7)/ مجهول، مصدر سابق، ص. 171 .

نقطة، بادس⁽¹⁾، المسيلة، مقرة، طينة وطولقة⁽²⁾، قال عنه الوزان بأنه "يبتدئ غربا من تخوم مسيلة، ويجده شمالا جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، وجنوبا إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى ورقلة"⁽³⁾.

- (4) / بسكرة: مدينة كبيرة وقديمة يرجع أصلها إلى العهد الروماني⁽⁴⁾، من أهم مدن إقليم الزاب⁽⁵⁾، يكثر بها النخيل⁽⁶⁾ والزيتون وأسواقها على أنواع عديدة من التمور⁽⁷⁾، محيطها يكثر فيه البساتين، الداخلة إليها من أبواب عديدة، وجبالها كثيرة الملح، عامرة بالمساجد والحمامات⁽⁸⁾، عرف على أهلها التعرض للقوافل والرحل⁽⁹⁾.

النص التاسع:

"...مع أن هذه المدينة (1)... قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثيرة وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها... ومزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها (2)، وبالجملة فهي كما قال الإمام العياشي (3) في رحلته: ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصل ولا أجمع لأسباب المعاش، إلا أنها ابتليت بتخالف الترك عليها وعساكر العرب، فاستولى عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة إلى أن بنى الترك حصنا حصينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة، فتمكنوا بالبلد وأضروا بأهلها وأحرقوا بهم في الخراج (4) ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان وباء مفرط مات به ببسكرة على ما قيل لنا نحو من سبعين ألف نفس، وقد دخلنا المدينة عقبه فوجدنا أكثر حومتها خاليا ومساجدها دائرة (5)... ببسكرة وهي

(1) / الحموي، مصدر سابق، مج3، ص. 124 .

(2) / شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906، ص-ص. 221-231 .

(3) / الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص-ص. 138-139 .

(4) / نفسه، ص. 138 .

(5) / أبو الفداء "صاحب حماه"، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850، ص. 139 . وكذلك :

-Shaw, op.cit, p. 216 .

(6) / الحموي، المصدر السابق، ج1، ص. 422 .

(7) / مجهول، مصدر سابق، ص. 173، وكذلك : المقدسي، المصدر السابق، ص. 230 .

(8) / البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، "المسالك والممالك"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص-ص. 52-53 .

(9) / العياشي، مصدر سابق، مج2، ص. 539 .

مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار... بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وحواليها بساتين كثيرة وفيها غابة كبيرة مقدار الستة أميال فيها أجناس الثمار منها... وتعرف ببسكرة النخيل (6)...⁽¹⁾ .

- (1) // يقصد بها بسكرة وقد سبق التعريف بها .

- (2) // يبين لنا الدرعي في هذا النص أن مدينة بسكرة بما ما يجعلها بأن تكون محطة هامة للقوافل المختلفة وما تتوفر عليه من سلع ومنتجات خاصة التمور بهدف التزود بزيادة السفر أو عمليات البيع والشراء، جعل منها سوق تجارية مشهورة تربط بين المناطق التلية والصحراوية وكذلك المناطق القريبة لها من تونس⁽²⁾، وهذا النص النص مقتطف من الرحلة العياشية⁽³⁾ .

- (3) // يقصد به أبو سالم العياشي ورحلته " الرحلة العياشية (1071-1073هـ/1661-1663م) " .

- (4) // يبين لنا النص انطلاقا مما جاء به الدرعي على لسان الرحالة العياشي بأن بسكرة أهم منطقة مر بها من حيث الناحية الاقتصادية خاصة وأنها تمتاز بكثرة أسواقها فأصبحت ذات حركية تجارية داخلية مع بعض المناطق المجاورة لها وخارجية مع أقرب المناطق الغربية الحدودية التونسية .

- (5) // مختلف الأمراض والأوبئة التي انتشرت ببسكرة أو ببعض المناطق الجزائرية والتي أتت على العديد من سكانها مصدرها المشرق حيث انتقلت إليها عن طريق القوافل التجارية أو الحجية⁽⁴⁾ .

- (6) // من خلاله وما ورد في هذا النص يتضح لنا أن بسكرة مركز تجاري ومحطة هامة للقوافل خاصة المتوجهة أو القادمة من المشرق عن طريق تونس والتي تتم أغلب معاملاتها التجارية الخارجية فيها⁽⁵⁾ .

النص العاشر:

"... ثم لما فرغ الناس من قضاء أوطارهم من بيع وشراء وازدياد زاد (1)، ضعنا ضحاء الثلاثاء خامس وعشرين من رجب عشرين من شتنبر، ونزلنا سيد عقبة (2)... ثم ارتحلنا منه وأصبحنا رجلا اسمه محمد بن المبروك

(1) // الدرعي، مصدر سابق، ص-ص. 38-41 .

(2) // العياشي، مصدر سابق، مج2، ص-ص. 539-540 .

(3) // نفسه، ص. 540 .

(4) // سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص-ص. 53-55 .

(5) // أبو الفداء، مصدر سابق، ص. 139 .

(3)... يهدينا السبيل إلى الزرائب (4)، ونزلنا بالمنصف بعيد العصر ووجدنا قبله خنادق مملوءة بماء المطر، وسمي بالمنصف لأنه نصف الطريق بين الزرائب وسيد عقبة... وبلغنا زريبة الوادي (5) قرب الظهر... واشترى من الحجاج عندهم ما قسم الله من الإبل واشترينا منهم نحو خمسة وثلاثين بزريبة الوادي (6)، وضعنا يوم السبت واكتريت رجلا يهدينا السبيل لتوزر (7) بريال (8) اسمه مسعود بن صالح (9)... ونزلنا الحامة (10) قبل الإصفرار ثم منه ونزلنا توزر ضحى الأربعاء رابع شعبان الثامن والعشرين من شتنبر (11)...⁽¹⁾

- (1) // كما أشرنا سابقا إلى أن بسكرة بها أسواق كثيرة مما جعلها تكون محطة تجارية هامة للقوافل .

- (2) // سيد عقبة يقصد بها سيدي عقبة: ترجع تسميتها إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري القرشي الذي وصل إلى المنطقة أثناء فتوحاته الإسلامية في القرن (7/هـ) (2)، كانت تسمى قبيل الفتح الإسلامي لها "هودة"، بها واحات كثيرة من النخل وبساتين لبعض أنواع الثمار (3)، وهي في الطريق بين المسيلة وإفريقية بينها وبين بسكرة (4) مرحلة (5) .

- (3) // بخصوص كراء أدلة الطرق من طرف القوافل سبق وأن أشرنا إليها سابقا، و المعلومات عن الدليل الذي تم كراءه ليهدم إلى الزرائب شحيحة جدا .

- (4) // الزرائب: يعني بها زريبة الوادي وزريبة حامد وسيأتي لاحقا التعريف بهما .

- (5) // زريبة الوادي: منطقة تقع أقصى شرق بسكرة، يرجع تسميتها إلى وادي يمر بها يسمى "وادي العرب" والذي كانت تقطن على جانبيه مجموعة من القبائل العربية (6) .

(1) // الدرعي، مصدر سابق، ص-ص. 4-52 .

(2) // العياشي، مصدر سابق، مج2، ص. 539 . وكذلك :

- Shaw, op.cit, p-p. 216-217 .

(3) // مجهول، مصدر سابق، ص-ص. 174-175 .

(4) // ابن حوقل ، مصدر سابق، ص. 87 .

(5) // المرحلة: هي ما يقطعها المسافر في اليوم وتساوي 8 فراسخ تقريبا أي مرحلة واحدة = 44.35 كلم، للمزيد ينظر : أيمن بن عبد الله بن عبد العزيز الدهيشي، الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسافة في غير العبادات، رسالة ماجستير، إشراف: محمد بن جبر الألفي، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2005 .

(6) // Shaw, op.cit, p. 216 .et :

-René Létolle et Hocine Bendjoudi, *Histoires d'une mer au Sahara : utopies et politiques*, Montréal, l'Harmattan, Paris, 1997, p-p. 32-33 .

- (6) // شراء القافلة الخمسة وثلاثون جملا من زريبة الوادي دليل على أن بها سوق عامرة وأن ضمن القافلة تجار يحملون معهم أموال كثيرة فهي محطة هامة للقوافل للتزود بما يلزمها في طريقها من زاد ووسائل نقل مختلفة.

- (7) // توزر: احدى أهم مدن بلاد الجريد التونسية⁽¹⁾ يرجع أصلها إلى العهد الروماني⁽²⁾، تقع في الجنوب الغربي على أطراف الصحراء التونسية وهي قاعدة قسطنطينية⁽³⁾، تشتهر بالتمور وبأسعارها الرخيصة⁽⁴⁾، مما جعل جعل كل بلاد إفريقية والصحراء تمار منها⁽⁵⁾، بينها وبين نفطة مسافة حوالي 55 كلم⁽⁶⁾.

- (8) // الريال: عملة من العملات الفضية الأساسية التي كانت متداولة في الجزائر خلال عهد الدايات (1082-1246هـ/1671-1830م)، و كلمة الريال متداولة في أغلب دول البحر المتوسط ويعود الفضل لذلك للإسبان وهي أنواع : ريال بوجو و ريال دراهم، ولها قيمة وأوزان ومعايير مختلفة⁽⁷⁾.

- (9) // مسعود بن صالح: المعلومات عن هذا الدليل الذي تم الإستعانة به قليلة وشحيحة، لكن الظاهر أنه من سكان زريبة الوادي ويعرف الطريق إلى توزر التونسية .

- (10) // الحامة: ويقصد بها "حامة البهاليل"، احدى مدن بلاد قسطنطينية قريبة من توزر تقع على مشارف الصحراء التونسية، تعرف بكثرة أنواع التمور والزيتون وبعض الفواكه⁽⁸⁾، بها حمامات كثيرة ومياهها حارة⁽⁹⁾.
حارة⁽⁹⁾.

- (11) // من كلام الدرعي يفهم أن المسافة بين بسكرة وتوزر هي مسيرة حوالي ثمانية (08) أيام أي 08 مراحل والتي تساوي حوالي 323 كلم بما أن: (مرحلة واحدة تساوي مسيرة يوم واحد وتساوي 8 فراسخ)

(1) // مجهول، مصدر سابق، ص. 155 .

(2) // الوزان، مصدر سابق، ص-ص. 142-143 .

(3) // قسطنطينية أو قسطنطينية: مجموعة مدن وقرى في بلاد الجريد من مدنها : الحامة، توزر، تقيوس ومن قراها : نفطة، قنطرة و درجين . للمزيد ينظر: مجهول، المصدر السابق، ص. 155 .

(4) // الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تج: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص-ص. 144-145.

(5) // العمري، مصدر سابق، ص. 143 .

(6) // الحموي، مصدر سابق، مج2، ص-ص. 57-58 .

(7) // للمزيد ينظر: يمينة درياس، مرجع سابق، ص-ص. 296-297، وكذلك: المنور مروش، مرجع سابق، ص-ص. 41-52 .

(8) // مجهول، المصدر السابق، ص. 157 .

(9) // الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مج1، تج: مجموعة محققين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص. 277 .

والفرسخ = 5.044 كلم⁽¹⁾، إذن فالمسافة بينهما هي : $8 \times 8 \times 5.044$ كلم = 323 كلم .

النص (الحاوي عشر):

"...ونزلنا توزر ضحى الأربعاء رابع شعبان الثامن والعشرين من شتنبر، وأودعنا ثلاثة من الإبل عند سيد الهادي... ووضاع لنا بعير... بالسبخة (1) قبل الحامة (2) وأقمنا بها الخميس، وتوزر (3) هذه هي قاعدة بلاد الجريد (4) من عمل تونس (5)... وما رأيت ببلاد الجريد أكثر منها نخلا وأحسن بناء وأوسع بعد بسكرة... وأغرر ماء، وبنواؤهم بالأجر فلذلك كان أحسن من بناء بسكرة ما عدا المسجد والمنارة... وبها من الثمار ما لا يحصى عدده إلا الله، يرد عليها الأعراب الآلاف المتؤلفة ويملاً كل واحد إبله بما شاء من الثمار، وتمرها من أحود تمر الجريد ومياهها غزيرة وجناؤها كثيرة ينساب فيها وادي كبير... وأعرابها أهل بادية مخصبة يرخص فيها غالباً سعر السمن واللحم، وأما التمر فيها فرخيص جدا يكاد يكون كدرعة وأمثالها (6)..."⁽²⁾.

- (1) // السبخة: يقصد بها "سبخة تاكمرت"، قيل بأن من سلكها مصيره الهلاك⁽³⁾ وهنا يذكر البكري ويقول عنها: "...هلكت فيها الجماعات والعساكر ممن دخلها ولم يدر أمرها..."⁽⁴⁾، وفيه رواية تقول أنه غاص فيها ألف جمل وكان الأمر لم يكن⁽⁵⁾، وهلاك بعير من قافلة الدرعي تجعلنا نقول أن القوافل تتجنب هذه السبخة في طريقها إلى توزر مروراً بالحامة .

- (2) // الحامة - (3) // توزر: سبق التعريف بهما .

- (4) // بلاد الجريد: منطقة واسعة من جنوب تونس تمتد من حدود بسكرة إلى جزيرة جربة⁽⁶⁾ قاعدته توزر⁽⁷⁾ توزر⁽⁷⁾ ويضم عدة مناطق منها: قسطلية بمدنها وقرها، قابس، تقيوس "التي تسمى حالياً ودقاش"، قفصة، نفطة، مشهورة بكثرة التمور وجودتها، قال عنها الزهري "فيها نخلا كثيرا وتمرا غزيراً، وينتهي التمر عندهم إلى

(1) // للمزيد عن الفرسخ ينظر: محمد نجم الدين الكردي، المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها (كيل-وزن-مقياس) منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتقويمها المعاصر، ط2، مطبعة السعادة، القاهرة، 2005، ص. 262 .

(2) // الدرعي، مصدر سابق، ص. 52 .

(3) // التيجاني، مصدر سابق، ص-ص. 154-155 .

(4) // البكري، مصدر سابق، ص. 48 .

(5) // للمزيد عن هذه الرواية ينظر: التيجاني، المصدر السابق، ص-ص. 155-156 .

(6) // الوزان، مصدر سابق، ج2، ص. 142 .

(7) // التيجاني، المصدر السابق، ص. 157 .

أكثر من عشرة أجناس لا يشبه بعضه بعضا لا في النعت ولا في الطعم"⁽¹⁾، ولهذا فهي من أهم المحطات التي تمر بها القوافل المغاربية المتوجهة إلى المشرق أو العائدة منه .

- (5) / تونس: من أكبر المدن بإفريقية وأهم قواعدها على ساحل البحر⁽²⁾، بها أراضي خصبة واسعة كثيرة المياه⁽³⁾ بها سور بكامل محيطها، كانت تسمى قديما "ترشيش" من منتوجاتها: اللوز، الرمان، التين الأسود، السفرجل، بينها وبين قرطاجنة ميلين (3.4 كلم) وصفاقس ثلاثة مراحل (133 كلم) والقيروان والمهدية مائة ميل (168 كلم)⁽⁴⁾.

- (6) / يعقد الدرعي في هذا النص مقارنة بين مدينتي توزر التونسية وبسكرة الجزائرية والذي أفهم من كلامه أن بسكرة بيناتها وأسواقها أهلتها أن تكون قاعدة بلاد الزاب وتوزر بنخلها وتمرها أساس بلاد الجريد، وهنا نصل إلى أن بين المدينتين تواصل تاريخي أساسه الحركية التجارية الدائمة .

النص الثاني عشر:

"...وقد كثر جور الأتراك بهذه البلاد وشاع بها الظلم والفساد (1)، أخبرني بعضهم أنهم كانوا ستة نواصر (2) على كل نخلة وأربعة على كل زيتونة، والناصر اسم لسكة عندهم معروفة اثنان وخمسون في كل ريال (3) لكل عام، وأخبرني بعض الشرطيين في الحجّة قبل هذه أن خراج الجريد من نفطة (4) إلى قابس (5) خمسمائة ألف ريال لكل عام، وخراج جربة (6) وحدها ستون ألفا... من الأرز والسمن والخل والزيت واللحم، فالله تعالى يقطع جور الجائرين ولا يصلح عمل المفسدين، ونفطة أيضا مدينة كبيرة قريبة من توزر ولها واد مثل واديهما ويقال أن خراجها مثل ثلثي خراج توزر (7)..."⁽⁵⁾

- (1) / بعد انفصال إيالة تونس عن الجزائر خلال عهد الباشوات (977-998هـ) / (1570-1590م)، استطاع الحكام العثمانيون بسط نفوذهم على مقاليد الحكم بها، فاستولوا على أموال الخزينة التونسية وارهقوا سكانها

(1) / الزهري ، مصدر سابق، ص. 107 .

(2) / البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مج 1، تج: علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، 1992، ص. 282 .

(3) / الكرخي، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927، ص. 38 .

(4) / الحموي، مصدر سابق، مج 2، ص-ص. 60-62 .

(5) / الدرعي، مصدر سابق، ص. 53 .

بالضرائب⁽¹⁾، الشيء الذي أدى إلى ثورات ضد التواجد العثماني أهمها ثورة سنة (1591/هـ999م) وتم فيها تجريد الوالي من نفوذه على تونس⁽²⁾، كل هذا وأكثر أدى إلى تراجع إقتصاد تونس داخليا وعلاقتها الخارجية خاصة مع الجزائر والتي بدورها كانت في صراعات سياسية وعسكرية⁽³⁾، لكن هذه الأوضاع الإقتصادية تغيرت تدريجيا في فترة الدولة الحسينية (1117-1229هـ) / (1705-1814م)⁽⁴⁾، خاصة في ظل حكم حمودة باشا⁽⁵⁾.

(2) // الناصر (الناصرى): عملة نقدية فضية سكت في أواخر العهد الحفصي وبداية التواجد العثماني حيث أن 32 نصري يساوي دينار واحد، وقد كانت متوفرة ومتداولة في الأسواق التونسية وكذلك في المناطق الشرقية للجزائر⁽⁶⁾، وهي إحدى مظاهر التواصل التجاري بين الإيالتين خلال العهد العثماني .

(3) // الريال⁽⁷⁾: عملة نقدية إسبانية كان يتم التعامل بها في الأسواق التونسية للبيع والشراء نقدا في نهاية القرن 10هـ/16م وبداية القرن 11هـ/17م، أول ما ظهرت بالجزائر بداية سنة 988هـ/1580م، ثم انتقلت إلى تونس وطرابلس بعدها، وقد أورد أحمد قاسم وثيقة لابن عظوم يعود تاريخها إلى سنة 1007هـ/1599م تتضمن "اقتراض شخص تونسي من آخر جزائري بمدينة الجزائر مبلغ ماليا من الريالات"⁽⁸⁾، وهذا ما يؤكد لنا وجود تعامل تجاري نقدي بين الإيالتين .

(4) // نفطة: إحدى مدن جنوب تونس ببلاد قسطليلية القديمة، أرضها خصبة وكثيرة النخل والتمر، تشتهر ببساتين الفواكه، بها مساجد وحمامات كثيرة، تبعد عن توزر- قاعدة بلاد الجريد- بنحو 20 ميل

(1) // أحمد قاسم، مرجع سابق، ص. 255 وما بعدها .

(2) // للمزيد عن الإضطرابات التي وقعت بتونس في بدايات التواجد العثماني ينظر: رشاد الامام، مرجع سابق، ص. 50 وما بعدها .

(3) // قاسم، المرجع السابق، ص. 262 .

(4) // ابن أبي الضياف، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص. 95 .

(5) // للمزيد عن حمودة باشا ينظر: دونان، مصدر سابق، ص-ص. 24-25 وكذلك: رشاد الامام، المرجع السابق، ص. 67 وما بعدها .

(6) // دونان، المصدر السابق، ص-ص. 348-361 .

(7) // سبق وأن أشرنا إلى عملة الريال بالجزائر لكن في هذا النص المقصود هي عملة الريال الإسباني التي يتم التداول بها في تونس .

(8) // قاسم، المرجع السابق، ص. 356 .

(34كلم)⁽¹⁾، وعن نفاوة بمرحلة واحدة (44كلم) و بحوالي مرحلتين (88كلم) عن قفصة⁽²⁾، كانت تسمى قديما "نيجتا" (Negeta)⁽³⁾، ويفهم من كلام الدرعي في النص أنه لم يمر بها .

(5) // قابس: "تاكاب" قديما⁽⁴⁾، احدى المدن القديمة ببلاد الجريد، تقع بخليج على البحر المتوسط بينها وبين طرابلس مسيرة 8 أيام أي حوالي 355كلم، تبعد عن البحر ب 3 أميال (5كلم)⁽⁵⁾، فهي تجمع بين نمط المدينة المدينة البحرية والصحراوية، كثيرة الثمار والحريز الذي كان يصدر إلى كل الأقطار مشرقا ومغربا⁽⁶⁾ والتمر والزروع والزيتون وزيت الزيتون، أسواقها عامرة بالتجارة ، بها منابع وحمامات شديدة الحرارة⁽⁷⁾ .

(6) // جربة: احدى أشهر الجزر التونسية، تقع في جنوب شرقها في خليج قابس تمتد على طول 60 ميل (100كلم) من الشرق إلى الغرب، كثيرة المزارع والنخيل والزيتون والعب والتين وبها أجود أنواع التفاح⁽⁸⁾، قريبة من قابس وسكانها من البربر⁽⁹⁾ .

(7) // يتضح لنا أن نظام الضرائب والخراج الذي كان بتونس خلال القرن 12/18م أثر كثيرا على التواصل التجاري بينها والجزائر خصوصا وأنه تقريبا نفس النظام في الجزائر .

النص الثالث عشر:

"... ثم ضعنا منها ونزلنا... يوم الجمعة بلدة سيد أبي هلال (1) على حد السبخة (2) سادس شعبان، واشترينا بها بغيرين أحدهما بإحدى وعشرين غير ربع والآخر بسبعة عشر، ثم بغلتين بغيرين (3)... ثم منه يوم السبت سابع شعبان أول أكتوبر ودخلنا السبخة الكبيرة الهائلة التي لم يسمع مثلها في الأرض في الطول والعرض (4)، والتقينا قبل الدخول فيها ببعض الحجاج الصعاليك الراجعين من أهل تقرت (5) وسألناهم عن أصحابنا (6)... وقد كانت الأركاب تحير في هذه السبخة وربما تهلك فيها الرواحل، وقد ذكر الإمام العياشي

(1) // مجهول، مصدر سابق، ص. 156 .

(2) // الحموي، مصدر سابق، مج5، ص. 296 .

(3) // دونان، مصدر سابق، ص. 76 .

(4) // نفسه، ص. 77 .

(5) // أما الإدريسي فيقول أنها تبعد عن البحر ب: 6 أميال أي حوالي 10كلم .

(6) // مجهول، المصدر السابق، ص-ص. 112-113 .

(7) // دونان، المصدر السابق، ص. 77 .

(8) // التيجاني، مصدر سابق، ص-ص. 121-122 .

(9) // الحموي، المصدر السابق، مج2، ص. 118 .

أن رفقة هلكت فيها على ما قيل بأن غاست في بعض الأماكن منها وابتلعتها الأرض ولم يظهر لها أثر ولا خبر (7)...⁽¹⁾

(1)- // بلدة سيد أبي هلال: المعلومات عن هذه البلدة قليلة جدا لكن الواضح من كلام الدرعي أنها قرية من سبخة تاكمرت .

(2)- // السبخة: يقصد بها سبخة تاكمرت وقد سبق التعريف بها .

(3)- // يظهر في النص شراء بعيرين ومقايضة بغلتين ببعيرين من بلدة سيد أبي هلال، وأن هذه البلدة التي نزلت فيها القافلة بها سوق تجارية يتم فيها البيع والشراء نقدا أو عن طريق المقايضة بين سكان هذه المنطقة ومختلف القوافل التي تمر بها، والتي من الواضح أنها تحمل منتوجات و سلع وبضائع المنطقة التي أتت منها، وهنا يتضح لنا أكثر وجود نشاط تجاري هام في هذه المنطقة القريبة من توزر والحامة .

(4)- // أشرنا في السابق خطورة سبخة تاكمرت على مختلف القوافل التي لا تعرف هذه المنطقة .

(5)- // تقرت: قاعدة وادي ريغ⁽²⁾، وهي بلدة تقع في الجنوب الشرقي للجزائر، تبعد عن ورقلة بحوالي 95 ميلا (160 كلم) وعن بسكرة ب 131 ميل (260 كلم) وعن منطقة تيكورارين بحوالي 100 فرسخ (555 كلم)، كثيرة النخل والتمر قليلة القمح، سكانها كرماء وأغنياء، عانوا كثيرا من استبداد الأتراك وكانوا في صراعات دائمة معهم⁽³⁾، أمرائها من بني جلاب⁽⁴⁾، مشهورة بلحقات العلم وأول من أسس لها هو الشيخ عبد الرحمن بن المعلا⁽⁵⁾ في مسجد تقرت⁽⁶⁾ .

(6)- // يحدثنا الدرعي عن التقاء قافلته بقافلة من تقرت والتي من المؤكد أنه سيتم إقامة سوق صغيرة فيما بينها تباع وتشتري فيها سلعها، فيتضح لنا جليا أن هذه المنطقة محطة تجارية هامة .

(1) // الدرعي، مصدر سابق، ص. 53 .

(2) // العياشي، مصدر سابق، ص. 120 .

وادي ريغ: أحد الأودية الأساسية ينحدر من الهضاب الشمالية ويصب في شط ملغغ، للمزيد ينظر: الشماخي، كتاب السير، ج1، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2009، ص. 31 .

(3) // مارمول، مصدر سابق، ص-ص. 165-166 .

(4) // العياشي، مصدر سابق، ص. 120 .

(5) // هو أبو زيد عبد الرحمن بن المعلا، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة العاشرة (450-500هـ)/(1058-1106م)، للمزيد ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ص. 457 .

(6) // الوسياني، سير الوسياني، تح ج1: عمر بن لقمان محمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، عمان، 2009، ص. 75 .

- (7) / هذه الرواية نجدها عند العياشي⁽¹⁾، وأما عن هذه السبخة فقد سبق التعريف بها .

النص (الرابع عشر):

"... إن جميع إيالة تونس (1) وعمالها في غاية ما يكون من الأمان من شتى الغارات كما هي عادة الأعراب، ولا يقدر أحد أن يمد يده جهارا على جهة... خوفا من الفعل الواصل إليهم من الولاة من غير مدينتهم إليه (2)، وأما النهب بالسرقة والإختلاس... وخصوصا توزر (3) فإنها أكثر بلاد الله سرقة وخطفا... فإنهم يسرقون بالليل ويخطفون بالنهار، قل ما يسلم منهم من الحجاج خصوصا المغفلين الذين لا خبرة لهم بأحوالهم، في حجة تسع فلقد كانوا يتبايعون مع الناس ويخطفون من أيديهم... ويذهبون به، فقليل من يلحقهم لكثرة الإزدحام وقد غسل الحجاج ثيابهم ونشروها وجلسوا عليها يحفظونها فإذا رأى أحدهم غفلة من صاحبها وثب عليها كالنسور فاختطفها ومر هاربا وقع ذلك كله لكثير من الحجاج (4)، وكنا وجدنا عندهم كثيرا من الأعراب نزلوا مع الترك... ومر بعض الركب بزواية الرمل (5) واشتروا الشعير بالرخص والتمر (6)، ولما ارتحلنا... نزلنا... حمامة قابس (7) بين ظهري الثلاثاء عاشر شعبان رابع أكتوبر ومات لنا بغير من هذه المرحلة تقبله الله... ثم قابس (8) ظهر الأربعاء حادي عشر شعبان ومررنا بضريح أبي لبابة (9) وزرناه وصلينا في مسجده... (2) .

- (1) / أصبحت تونس إيالة عثمانية بداية من 1574/هـ 982م وقد أشرنا لذلك سابقا .

- (2) / بعد عثمانة تونس أصبح للولاة دور كبير في ارساء الأمن فيها، لكن بالمقابل شهدت اضطرابات كبيرة نتيجة تسلط بعض الحكام ضد بعض القبائل التونسية مما أدى إلى تمردا وإعلانها الحرب ضد السلطة الحاكمة، وهو ما أثر كثيرا على علاقاتها التجارية مع إيالة الجزائر خاصة خلال القرن 12/هـ 18م وهو ما أشرنا إليه سابقا.

- (3) / توزر سبق التعريف بها .

- (4) / يجزينا الدرعي أن توزر مدينة غير آمنة ليلا ونهارا خاصة في أسواقها التي يكثر فيها الخطف والسرقات وهذا دليل على تأثر مختلف المعاملات التجارية بها .

(1) / العياشي، مصدر سابق، ج2، ص. 533 .

(2) / الدرعي، مصدر سابق، ص-ص. 53-56 .

(5)-(6) // زاوية الرمل: المعلومات عن هذه البلدة قليلة جدا لكن المؤكد هو قربها من حامة قابس ويظهر أنها منطقة معروفة لدى القوافل من خلال ما أورده لنا الدرعي وهو أن الركب قام بالتزود منها من خلال شراء علف الرواحل (الشعير) وزاد الطريق (التمر) بأثمان رخيصة، وهنا نميز أحد مظاهر الحركة التجارية التي كان للقوافل دور كبير في تنشيطها بين الإيالتين خلال القرن 12هـ/18م .

(7) // حامة قابس = الحمة: وتعرف "بحامة مطماطة" وهذا للتمييز بينها وبين "حامة البهاليل" بتوزر⁽¹⁾، مدينة قديمة يحيط بها سور كبير، سكانها من البربر، كثيرة النخل والزيتون والفواكه⁽²⁾، مياهها حارة ولهذا تسمى بالحامة، مشهورة بناياتها العالية⁽³⁾ .

(8) // قابس: سبق التعريف بها .

(9) // أبي لبابة: هو أبو لبابة بشير بن عبد المنذر بن رفاعة وأمه نسيبة بنت زيد بن ضبيعة، وتتفق أهم الروايات على أن أبا لبابة كان من وجهاء المدينة، يتعاطى التجارة، وعرف بالبطولة منذ الجاهلية إذ كان ضمن جيش الأوس في حربهم ضد الخزرج، أسلم قبل الهجرة على يد مصعب بن عمير وكان عمره بين 35 و40 سنة⁽⁴⁾، قدم إلى إفريقية (تونس) في خلافة عثمان ابن عفان ووافته المنية في عهد الإمام علي ابن أبي طالب عن سن تناهز 80 سنة في مكان يسمى وادي الغيران بجهة مارت ونقل جثمانه الى ربوة أبي لبابة في مدينة قابس حيث يوجد مقامه الحالي، وبذلك اقترن اسم مدينة قابس باسم الصحابي الجليل أبو لبابة الأنصاري فلا يدخل غريب المدينة إلا وزار مقامه تبركا وتقرّبا إلى الله⁽⁵⁾ .

النص (الخامس عشر):

"... ثم وضعنا منه (1) يوم الخميس... ونزلنا قبالة أبي غرارة (2)... وأقمنا به يوم الإثنين وتسوقنا الأعراب... أولاد سيد عبد النبي وأولاد ابن مريم وأولاد نوير (3)، وأتوا بكثرة الإبل واشترى الناس واشترينا نحن خمسة عشر بعير بنحو مائتي ريال واحد وتسعين ريال ونصف، وأضافنا السيد أبو القاسم عم سيد أحمد

(1) // التيجاني، مصدر سابق، ص. 134.

(2) // مجهول، مصدر سابق، ص، 150 .

(3) // التيجاني، المصدر السابق، ص-ص. 135-136 .

(4) // ابن سعد البصري، الطبقات الكبرى، ج3، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص-ص. 348-349 .

(5) // محمد المرزوقي، قابس جنة الدنيا، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962، ص، 147 . وكذلك : التيجاني، مصدر سابق، ص-ص. 91-92 .

بن عبد اللطيف بحمل... شعير وحملين تمرا وأربعة أوطاب من حليب الإبل وأربع شياه كثر الله خيريه وأدام عليه نعمه... وأودعنا عند سيد أحمد بن عبد اللطيف سبعا من الإبل وأوصيته أن يأخذ الذي عند العكار فيكون ثامنا وواحدًا للحسين بن أحمد وناقاة للحاج أحمد سباطة (4) ومات لنا بعير بإبن فردان (5) تقبله الله، ثم صنعنا يوم الثلاثاء ونزلنا غربي برج الملح (6)، ثم منه يوم الأربعاء ونزلنا بين الزوارتين (7) بعد الإصفرار، وماء ابن فردان من أقبح المياه وماء الزوارة من أحسن المياه... ثم زنور (8) قبل المغرب، ووكب بعض السراق على بعض الحجاج... وفظن لهم بعضهم وأوقعوا به الضرب والشحج برأسه (9)... ثم ارتحلنا منه (10)... قاصدين لمدينة طرابلس (11) منها الله بينها وبين هذه البلدة نحو إثني عشر ميلا (12)...⁽¹⁾ .

- (1) // يقصد ضريح أبي لبابة الأنصاري بحامة قابس وقد سبق التعريف به .

- (2) // أبي غرارة: المعلومات عن هذه المنطقة شحيحة، لكن من سياق كلام الدرعي في هذا النص يتبين لنا بأنها منطقة بحرية صحراوية واقعة بين حامة قابس وزنور .

- (3) // بطون لقبائل منطقة أبي غرارة وفردان .

- (4) // من المؤكد أن هذه الطوائف من قبيلة فردان غنية والدليل على ذلك امتلاكهم لعدد كبير من الإبل والشياه، والواضح أنهم كرماء للقوافل التي تمر عليهم، وهي ميزة أغلب القبائل الصحراوية .

- (5) // ابن فردان=سواني ابن كردان: بلدة صغيرة تقع في الطريق بين برج الملح وحامة قابس (حامة مطماطة)، كثيرة المياه والمزارع، تسلكها مختلف القوافل للتزود من مائها، بجانبها قرى أهلة من السكان⁽²⁾ .

- (6) // برج الملح أو "قصر صالح"⁽³⁾: منطقة على مقربة من البحر، تقع في الطريق نحو الزوارة الغربية، اشتهرت بمادة الملح⁽⁴⁾، والذي كان في فترة ليست ببعيدة يقايض بالذهب خاصة مع المناطق الصحراوية، ويسوق برا عن طريق القوافل التجارية والحجبية مشرقا ومغربا أو بحرا عن طريق الموانئ⁽⁵⁾ .

(1) // الدرعي، مصدر سابق، ص-ص. 56-57 .

(2) // العياشي، مصدر سابق، ج1، ص-ص. 129-130 .

(3) // التجاني، مصدر سابق، ص. 206 .

(4) // العياشي، المصدر السابق، ص. 130 .

(5) // التيجاني، المصدر السابق، ص-ص. 206-207 .

- (7) / الزوارتين: يقصد بهما الزوارة الشرقية والزوارة الغربية⁽¹⁾.

- (8) / زنزور = حزور: بلدة ليبية تبعد أربعة فراسخ (22 كلم) على طرابلس⁽²⁾، تشتهر بصناعة المنسوجات، كثيرة النخل والتمر والرمان والسفرجل، قليلة القمح والشعير⁽³⁾، مياها عذبة، كثيرة القصور⁽⁴⁾.

- (9) / المعروف عن الطرق الصحراوية هو كثرة قطاع أو صعاليك الطرق مما جعلها تتميز بالأمان، وأغلب الهجمات تأتي من القبائل التي ترصد القوافل التجارية المحملة بالسلع والمنتوجات بهدف سلبها والتزود بما حملت، وإذا ما نظرنا إلى هذا فسنجد من أهم الأسباب التي تؤثر على عملية التواصل التجاري بين مختلف الأقطار.

- (10) / يقصد زنزور.

- (11) / طرابلس: مدينة قديمة على ساحل البحر، تمزج بين طابع مدينة صحراوية وبحرية فهي كثيرة البساتين والفواكه خاصة في شرقها، يشتهر أهلها بالتجارة البرية والبحرية⁽⁵⁾، بها العديد من الأسواق والحمامات، بينها وبين نفوسة مسيرة ثلاثة أيام⁽⁶⁾ وعلى مشارفها سبخة كبيرة يستخرج منها الكثير من الملح⁽⁷⁾.

- (12) / حسب ما جاء في هذا النص المسافة بين طرابلس وزنزور حوالي 12 ميل = 20.15 كلم.

النص (الساوس) عشر:

"... كان وصولنا طرابلس (1) ظهر يوم الأحد الثاني والعشرين من شعبان ستة عشر من أكتوبر... و على مدينة طرابلس سور ضخيم جليل البنيان... وبها أسواق حافلة وحمامات كثيرة... ومدينة طرابلس كثيرة الثمار والخيرات وبها بساتين جلييلة في شرقها، ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير (2)..."⁽⁸⁾

(1) / الزوارة الغربية هي " الزوارة الصغرى" والزوارة الشرقية هي " الزوارة الكبرى" بلدتان تقعان على تخوم طرابلس، للمزيد ينظر: التيجاني، مصدر سابق، ص-ص. 210-207.

(2) / العبدري، مصدر سابق، ص. 184.

(3) / مارمول، مصدر سابق، ج3، ص. 127.

(4) / التيجاني، المصدر السابق، ص-ص. 215-214.

(5) / الإدريسي، مصدر سابق، ص-ص. 298-297.

(6) / مجهول، مصدر سابق، ص. 110.

(7) / البكري، مصدر سابق، ص. 8.

(8) / الدرعي، مصدر سابق، ص-ص. 59-57.

- (1) / طرابلس: سبق التعريف بها .

- (2) / هذا الوصف لمدينة طرابلس مكرر من طرف الدرعي ونجده عند البكري⁽¹⁾ .

من خلال ما أورده من تحليل للنصوص التي جاءت في رحلة ذهاب الدرعي، يمكننا أن نستخلص الطريق الذي سلكته هذه القافلة نحو طرابلس انطلاقاً من المغرب- وهذا من منطلق المجال الجغرافي الذي أنا بصدد دراسته (بين الجزائر وتونس) - على النحو التالي:

- درعة - تافيلالت - سجلماسة - المريجة - بشار - أم إلياس - فجيح (فكيك أو فقيق) -
أبي سمغون (بوسمغون) - الأغواط - تجموت - سيدي خالد - أولاد جلال - بسكرة - سيدي عقبة -
زريبة الوادي - سبخة تاكمرت - الحامة (حامة البهاليل) - توزر - زاوية الرمل - حامة قابس (حامة
مطماطة) - قابس - أبي غرارة - ابن فردان - برج الملح - الزوارة الغربية - زنزور (جترور) - طرابلس .

وعن مدة رحلته من مكان انطلاق القافلة (درعة) يوم 24 جمادى الأولى 1121هـ إلى غاية الوصول إلى طرابلس يوم 22 شعبان 1121هـ، يمكن استنتاجها وتقديرها بحوالي شهرين و16 يوماً أي 76 يوماً .

النص السابع عشر:

"... كان ارتحالنا يوم الخميس لثمانى عشرة خلت من جمادى الثانية بعد أن اكترينا حل المحتاج من الإبل (1) بستة وثلاثين ريالاً (2)... واشترى من اشترى من الحجاج (3)... ومررنا بقرقاش: بلدة بها زيتونات وبها من الصالحين... وزنزور بلدة واسعة بها زوايا وأراضي ومزارع... ثم ضعنا بعد صلاة الصبح وأضحينا بالزاوية الغربية (4)، بلدة ذات نخل وفواكه وأشجار ومزارع وعمارة... ثم نزلنا بطرق... من الزوارات الغربية (5) بعد الزوال... وأضحينا على أكمة مرتفعة شرقي برج الملح (6) بأميال ننتظر الركب، ثم سرنا ومررنا بقوارب متعددة عند البرج تحمل الملح والتقينا بما ينيف على ثلاثين جملاً موقورة ملحا حملتها من السبخة التي تحمل بها هناك للسفن المفضل ملحها على سائر السباخ... وكأها طرق من السبخة التي بتوزر، وأهل ذلك الموضع يزعمون أنهم إذا رفعوا ما على وجهها من الملح... احتفروا فيه قليلاً فوجدوا طبقة من الملح أخرى، ثم يحتفرون فيجدون طبقة أخرى وكذلك إلى سبعة طباق وهم يجهدون إلى الطبقة السابعة، لأن النصارى يتغالون في اشتراثة منهم ويذكرون أن له عندهم منافع طيبة متعددة (7)... ونزلنا قابس (8)... وحق ما قيل أن قابس جنة

(1) / ينظر: البكري، مصدر سابق، ص-ص. 8-9 .

الدنيا ودمشق الصغرى وهي مدينة صحراوية بحرية، فإن الصحراء متصلة بها والبحر على ثلاثة أميال منها... ويقال أنه لم يجتمع في مائدة صيد البر وصيد البحر وأصناف الفواكه إلا في مائدة ساكن قابس...⁽¹⁾ .

- (1) // يحدثنا هنا الدرعي عن تنقل القافلة من طرابلس نحو تونس وكراء بعض الرواحل (الإبل) وهي عادة كل القوافل وهذا دليل واضح على أنها محملة بسلع ومنتجات بعض المناطق التي مروا بها انطلاقاً من المشرق ومصر بهدف بيعها في منطقة أخرى أثناء رحلة عودتهم خاصة في تونس والجزائر.

- (2) // الريال: عملة نقدية يتم التداول بها في تونس وقد سبق التعريف بها .

- (3) // الواضح أن المنطقة التي نزلت بها القافلة بعد خروجها من طرابلس بها سوق عامرة لمنتجات محلية، مما سهل عملية المعاملات التجارية (بيع وشراء) وجاء كراء بعض الإبل بهدف نقل ما تم شراؤه من هذه المنطقة وبيعه في مناطق أخرى، وهو دليل واضح على أنه توجد حركية تجارية من طرف هذه القافلة في طريق عودتها والتي كانت في بدايتها تحمل طابع ديني .

- (4) // الزاوية الغربية: منطقة تقع في الطريق نحو طرابلس وصفها الدرعي بأن بها العديد من السكان وكثيرة النخل والتمر والفواكه⁽²⁾ .

- (5) // الزوارة الغربية = الزوارة الكبرى: قال عنها التيجاني في رحلته "... الزوارة الكبرى التي تسمى كوطين - بضم الكاف وكسر الطاء المهملة - وهي قرية أضخم من الأولى (يقصد قرية وزدر) وأكبر غابة، وفي أهلها شجاعة موصوفة وعزة أنفس وطاعتهم للعرب مشوبة بعصيان..."⁽³⁾ .

- (6) // برج الملح سبق التعريف بها .

- (7) // لقد كانت المادة الملح تأثير اقتصادي كبير وأحياناً كان سبباً في وقوع أزمات اقتصادية في بعض الحضارات وارتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ المعاملات الاقتصادية في تاريخ البشرية القديمة⁽⁴⁾، وفي العصور الحديثة كان يعتبر من البضائع الهامة التي تدخل في تجارة القوافل، فلا بد أنها كانت تجارة رابحة وإلا ما مارسها سكان

(1) // الدرعي، مصدر سابق، ج2، ص. 14-8-151-155-157 .

(2) // نفسه، ص. 151 .

(3) // التيجاني، مصدر سابق، ص. 210 .

(4) // للمزيد عن تاريخ الملح ينظر: مارك كيرلانسكي، تاريخ الملح في العالم (الإمبراطوريات، المعتقدات، ثورات الشعوب، والإقتصاد العالم)، تر: أحمد حسن مغربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 320 (أكتوبر 2005) .

السبخات في بلاد المغرب ونقلها لمسافات طويلة، وما يدعم ذلك أكثر هو شراؤه بأثمان باهضة من طرف الأوروبيين، وإذا ما أسقطنا كل هذا على حركيته التجارية بين الجزائر وتونس فسنجد من أهم السلع التي يتم تبادلها عن طريق الموانئ أو القوافل التجارية خاصة بين المناطق التي تقل فيها هذه المادة وبالتحديد المناطق الحدودية الشمالية .

- (8) / قابس سبق تعريفها .

النص (الثامن) عشر :

"... ثم ضعنا منه (1) ونزلنا توزر... ضحى يوم الإثنين سادس رجب وخامس الخريف على مذهب الفلاحين والحادي والعشرين غشت، وسوقوا الركب بالعنب الكثير والرطب الجني... والخوخ والرمان... وتوزر هي قاعدة بلاد الجريد، وليس ببلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها... وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بإفريقية قبل الفتح الاسلامي وكذلك أكثر بلاد الجريد (2)... " (1) .

- (1) / يقصد بلدة دقيوس (تقيوس): هي إحدى مدن بلاد الجريد جنوب تونس قديما "Theges" وتسمى حاليا "ودقاش" (2)، وهي من مدن بلاد قسطنطينية قريبة من توزر (3)، بينها وبين الحامة (حامة البهاليل) عشرون ميلا (33 كلم) (4) .

- (2) / هذا النص (وصف توزر) مكرر في النص الحادي عشر من نصوص الدرعي .

النص (التاسع) عشر:

"... ثم ضعنا... وألتقينا بولد سيد ناصر الفرجاني عامر يريد بسكرة (1)، فدلنا الطريق وكان يماشينا ونزلنا غسران... ولم يأت الركب إلى الثلث الثاني من الليل (2)... ولم يتفطن أهل البلد للركب ولا سوقه أحد منهم وهو من عمالة تونس وبالإبل كلل من طول المتزلة، إلا أن الله تعالى لطف بما وجدت من الكلال والعشب الكثير... ثم ضعنا منه (3) وأضحينا على ربوة قبالة قرية من قرى الجبل أمام فرقان... وبتنا بما على غير ماء

(1) / الدرعي، مصدر سابق، ص. 172 .

(2) / وصفها الإدريسي بقوله : " تقيوس مدينة حسنة تقع بين الحامة وقفصة وهي مدينة عامرة لها غلات وما نخل ومنها إلى قفصة مرحلة"، للمزيد ينظر: الإدريسي، مصدر سابق، ص. 277 ، وينظر كذلك : مجهول، مصدر سابق، ص. 156 .

(3) / البغدادي، مصدر سابق، مج2، ص. 267 .

(4) / الحميري، مصدر سابق، ص-ص. 139-140 .

سوى ما حملته الأجمال، لكونه لا يعهد في تلك المحال إلا في زمان الفيض... ثم ضعنا ونزلنا زريبة حامد (4)... وبات الناس على ماء عذب غزير، اتخذه أهل البلد لجمع الماء في زمن السيل ذخيرة... فإذا جاء وقت المطر حملت أودية الجبل وسالت... فحرثوا عليها وملئوا سواقيهم وحرثوا أراضيهم... فإذا انقطع الماء في زمن الصيف وجدوا تلك الأحاديث المعدة لذلك فانتفعوا بها في شربهم وسقوا دوابهم وسائر ضرورياتهم... وأتانا تلك الليلة من أولاد سيد ناجي (5) سيد الهاني بن الحفيان وأخبرنا خبراً؟ جمالنا التي أودعناها عنده وإن أحدهما مات فالله يتقبله، وبعث في إتيان الباقيين... ثم ضعنا عنه وتجاوزنا أمام الراكب، فإذا بصراخ ورائنا فإذا بأولئك تعرضوا لسيد عبد الحفيظ مع جماعة من أصحابه ولم ينالوا منهم شيئاً (6)، رد الله كيد الظلمة... ونزلنا في زريبة الوادي (7)... ووصلنا إليها رائد الضحى وبتنا بها وتسوق أعراب الراكب بجميلات واشترينا جملاً (8) وتعذر أمره، فقلت والله خير وأبقى وكنا في الحاجة إليه لما بلغنا أن أحد الحملين الباقيين عند سيد الهاني به علة ولا يقدر معها على اللحوق بنا سيما الحملان، ثم اشترينا آخر... وبعده... نزلنا سيد عقبة (9) عصر يوم الثلاثاء رابع عشر رجب والتاسع والعشرين من غشت وبتنا به، ووجدنا الشعير أرخص من بسكرة واشترى الناس منه ما أمكنهم وتيسر اشتراؤه (10)... ثم ضعنا منه ونزلنا ببسكرة (11) النخل قبل زوال الأربعاء الخامس عشر من رجب... ووجدنا الوادي سائلاً... وأقمنا به الخميس والجمعة ليهيء الناس محتاجهم من الزاد، ثم ضعنا منه يوم السبت الثامن والعشرين من رجب الثاني من شتنبر وودعنا سيد عبد الحفيظ بن الطيب من أولاد سيد ناجي وأصحابه... ونزلنا خارج سيد خالد (12) غريبها على أكمة ليتلاحق الراكب ونستخبر شأن الطريق... فبيبتون هنالك ليهيئوا قريهم ويملئوا أسقيتهم لإحتياز المفازة أمامهم لكونها معطشة بحمل الراكب بها ماء ثلاثة أيام مع ليلتين (13)... ونزلنا... أولاد سيد عيسى (14) على غدير واسع مستبحر بالوادي وبتنا على السليمة ترعى ماشيتنا مع ماشيتهم، وأتوا إلينا بأعيانهم ورؤسائهم وجماعتهم كلها وزعموا أنهم تائبون من سرقة الحاج والتعرض له إلا بالخير، وأنهم في خدمة الأركاب النبوية وأنهم تابوا وأنابوا عما فات لهم من الأذيات للراكب والتعرض له بالغاثة والنهب، فالله يتوب علينا وعليهم ويقود بنا وبهم للخير... وبتنا هنالك فتمتع الناس بذلك الماء وضلت ناقة لبعض الجمالين، فذهب في طلبها ووجدها أصحابه دونه وامتد به هو الطلب واتصل به الحراميون سرقة الحجاج وضربوه وجرده... نسأله تعالى أن يخلفه عليه وينتقم من الظلمة... ثم ضعنا منه ووجدنا ماء على وادي شرقي التوميات بأميال... ولحق آخر الراكب بعد الغروب (15)... وسرنا ووجدنا أمامنا رجلاً من نائلة (16) أتى بالبغل المسروق ليلاً... وأخبرنا أن سارقه صحراوي، فأخذوه منه وبعثوا به مع للراكب فأخذه صاحبه مسروراً... ونزلنا على عين تنبع في جرف عليها

مزارع لأولاد جابر حرز الله، زاوية من زوايا تلك البادي... ولحق الركب بين العشاءين ولم يلحق آخره إلا بعد أن صلينا العشاء، وحذر الناس من سرقة أهل عمورة⁽¹⁾... وخاض الركب وما وقع حمل ولا زال جمل إلا بعير واحد عليه حمل لبعض الحجيج فوقه به (17)... ثم بعثنا رجلا يستخير وادي الفج، وانتظرناه حتى فجاء ثم ضعنا ووجدنا الوادي رجع سيله ولم يبق به إلا شيء قليل... ونزلنا بعد العصر للمبيت بعد أن ملنا عن الطريق عن طريق الأغواط ذات اليمين لما حل بينهم من الفتن، فسفكت الدماء ونهبت الأموال... فأدخل بعضهم على بعض عرب أولاد يعقوب فقتلوهم ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من ديارهم فأنا لله وأنا إليه راجعون (18)، وبتنا بموضع يقال له المتسعة وشوشت السرقة على الركب، وعوت من كل ناحية وأخذوا بغلة سيد محمد الرخيسي الشرفوني وحمار السيد زروق المراكشي... وتبعهم بعض الحجاج ورموهم بالبنادق وفروا فرار الحمر المستنفرة... ثم ضعنا منه يوم الجمعة ثاني شعبان وخامس عشر شتنبر وملنا ذات اليمين عن طريق وادي شبور لطريق وادي الرداء... ثم ضعنا منه ولاحت لنا جماعة من الناس يشتدون نحو الركب ونزلنا في انتظارهم على ربوة... ثم منه ونزلنا الغاسول (19) قبل العصر يوم الإثنين الخامس من شعبان ثامن عشر شتنبر وتلقانا أهل البلد خارج البلد أفواجا أفواجا... ثم ضعنا منه ونزلنا بإسمعون أول الضحى وأردنا الذهاب لأن السادة (السادة) الأشراف النازلين بتوات (20)... وطلبوا منا المقام لهم... فأجروا دليلا يهديهم السبيل لتقرر بثمانية مثاقيل وأكثر والأجمال إليها بثلاثة مثاقيل لكل جمل (21)، ووجدت أهل أبي سمعون في غاية ما يكون من الشقاق والفراق... والتراع والخلاف والاختلاف... ثم ضعنا منه صبح الأحد ونزلنا لصلاة الظهر بوادي سيد عثمان والناس ليسوا على ماء... وسرنا... ولاحت لنا نخيل أهل فجيح (22)، تعرض لنا أهل البلد طوائف واستعملنا ما ورد في الأخبار ما ورد في الأخبار... وودعنا أهل فجيح وودعونا... وبلغنا بشارا (23) قبل العصر... ولم يتزل آخر الركب إلا بعد العشاء... وصحبنا سيد عمر بن عبد القادر ومعهم سبعة أكباش وحملان شعيرا وحملان دقيقا... ثم ضعنا منه وتلقانا جماعة من القنادسة (24) مع بعض أعراب سكنت معهم وأفراس... يتسابقون بأفراسهم... ونزلنا خارج البلد قريهم وأطعموا الركب بأواني من طعام تقبل الله منهم وصلينا الظهر وسرنا... ثم ضعنا منه وصعدنا عقبة حميدة اللحم والشمس طالعة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان وسادس أكتوبر، وسميت بهذا الإسم على ما زعم أهل تلك النواحي لكثرة لحم الصيد بها... ثم ضعنا... واستهل لنا هلال رمضان بها أعانا الله على صيامه، ووقفنا لقيامه وقبله منا فضلا منه ومنا

(1) يقصد منطقة عمورة أو قصر عمورة التي تقع في الجنوب الشرقي للحلقة وتبعد عنها بحوالي 70 كلم .

آمين... وودعنا جماعة من شيعنا من إخواننا من أهل تافلات (25)... ثم وضعنا منه وحين ارتفع النهار جاء أهل المحبة من أهل درعة (26) لملاقاتنا أفواجا وأتوا... بالدعاء والتهنية...⁽¹⁾ .

- (1) / بسكرة: سبق التعريف بها .

- (2) / سبق وأن أشرنا إلى أدلة الطرق التي تستعين بها القوافل، والمعلومات عن هذا الدليل (الكشاف) شحيحة والظاهر أنه من الذين يعرفون الطريق من توزر إلى بسكرة .

- (3) / يقصد به وادي قرية غسران الذي يوجد بالقرب من توزر ببلاد الجريد .

- (4) / زريبة حامد: إحدى قرى بلاد الزاب، تقع بالقرب من زريبة الوادي في الطريق نحو بسكرة، بينها وبين سيدي عقبة حوالي 12 فرسخا (60 كلم)⁽²⁾ .

- (5) / يقصد خنقة سيدي ناجي: إحدى مناطق بلاد الزاب، تقع على بعد 60 ميلا (100 كلم) من بسكرة، تشتهر بواحات النخيل والتمور⁽³⁾، من المؤكد أنها كانت محطة رئيسية لقوافل الحج، الوافدة من المغرب اتجاه البقاع المقدسة يمرون بها ويجدون فيها الراحة والإرشادات الضرورية لسفرهم الطويل قبل توجههم إلى توزر بتونس .

- (6) / أشرنا في السابق إلى حالات اللآمن في طرق القوافل خاصة في المناطق الصحراوية .

- (7) / زريبة الوادي: سبق التعريف بها .

- (8) / الواضح من كلام الدرعي أن القافلة مرت بزريبة الوادي ودخلت سوقها ومن المؤكد أنها باعت سلع تم جلبها من تونس واشترت بعض الرواحل (جمال) وما يلزمها من زاد للطريق .

- (9) / سيد عقبة = يقصد سيدي عقبة وقد سبق تعريفها .

(1) / الدرعي، مصدر سابق، ص-ص. 176-199 .

(2) / Shaw, op.cit, p. 216 .

(3) / Masqueray (E), **Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie**, Thèse présentée à la Faculté des Lettres, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1886, p. 146 .

- (10) // يعقد الدرعي مقارنة بين شعر الشعير بسيدي عقبة والذي قال عنه بأنه أرخص من بسكرة، لكن الشيء الذي لم يفهم من كلامه: كيف علم أن شعر الشعير ببسكرة أغلى منه بسيدي عقبة بالرغم من تواجده في هذه الأخيرة؟. المؤكد أنه علم بسعره في أسواق سيدي عقبة من بعض القوافل أو التجار الذين أتوا من بسكرة.

- (11) - (12) // بسكرة وزريبة الوادي سبق التعريف بهما .

- (13) // إن أهم ما تسعى القافلة إلى توفيره خلال ارتحائها من منطقة إلى أخرى هو الماء، والذي إن سلكت طرقا صحراوية فستجد صعوبة في توفيره، فقد كان رجال القوافل العابرة أو المحلية يتزودون من خلالها بالماء وسقي إبلهم، وهنا يكمن الدور الهام لجلود الماعز في حركة القوافل التجارية . كيف هذا؟ . يكون ذلك بواسطة "القربة" التي تملأ بالماء وتحمل على ظهور الجمال والتي بدورها تحتفظ ببرودة الماء في المناطق الصحراوية وتسد ركب القوافل وحاجتهم من الماء في الطريق، ولهذا جل القوافل التجارية أو الحجية منها تتجنب الطرق التي تقل فيها المياه .

- (14) // أولاد سيد عيسى = يقصد منطقة سيدي عيسى: بلدة تابعة للمسيلة، تنسب للولي الصالح سيدي عيسى بوقبرين⁽¹⁾ .

- (15) / أشرنا في السابق إلى حالات الأمن في الطرق التي تسلكها مختلف القوافل .

- (16) // يقصد أولاد نائل: قبيلة من أكبر القبائل في الجزائر، تنحدر من أصول عربية و تنسب إلى محمد بن عبد الله سيدي نائل جده الأعلى إدريس الأصغر بن الأمير إدريس بن عبد الله الكامل مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، تتشكل من عدة أفخاذ ينتشرون في كامل أرجاء وسط الجزائر ويتمركزون على الخصوص في ولاية الجلفة⁽²⁾ .

- (17) // دليل على أن القافلة كبيرة وقد أشرنا إلى ذلك في السابق .

- (18) // الأغواط: سبق التعريف بها، والواضح أن القافلة غيرت بعضا من مسارها بهدف تجنب تلك الحروب والإقتتالات التي وقعت في هذه المنطقة ومن المؤكد أن هناك من أتى لهم بحال الطريق إلى الأغواط .

(1) / Shaw, op.cit ,p. 171 .

(2) / Dumas, op.cit, p-p. 158-159 .

(19)- // الغاسول: بلدة صغيرة بها أكثر من أربعين إلى خمسين متزلا محاطة بسور⁽¹⁾، تبعد عن البيض بجوالي 27 ميلا (45 كلم)⁽²⁾.

(20)- // توات: إقليم واسع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية، به الكثير من الواحات والقصور⁽³⁾، كان مركز هام للقوافل لتبادل السلع والبضائع القادمة من جنوب الصحراء وشمال بلاد المغرب ومحطة بارزة للترود بالماء وزاد الطريق وغالبا ما يكون التمر والرطب⁽⁴⁾.

(21)- // سبق وأن أشرنا إلى عمليات كراء أدلة الطرق.

(22)- // فجيح = فكيك = فقيق سبق التعريف بها.

(23)- // بشار سبق تعريفها.

(24)- // القنادسة: كانت تسمى قديما "العوينة"، وهي بلدة صغيرة تقع على بعد حوالي 13 ميلا (20 كلم) عن بشار⁽⁵⁾.

(25)- // تافيلالت سبق التعريف بها.

(26)- // وصول القافلة إلى درعة مكان انطلاقها بتاريخ 5 رمضان 1122هـ/27 أكتوبر 1710م.

من خلال ما أوردته من تحليل للنصوص التي جاءت في رحلة عودة الدرعي، يمكننا أن نستخلص الطريق الذي سلكته هذه القافلة بعد خروجها من طرابلس وصولا إلى درعة المغربية على النحو التالي:

- طرابلس - قرقاش - الزاوية الغربية - الزوارة الغربية - برج الملح - قابس - تقيوس (ودقاش حاليا) - توزر - وادي غسران - زريبة حامد - خنقة سيدي ناجي - زريبة الوادي - سيدي عقبة - بسكرة -

(1)/ Daumas, op.cit , p. 220 .

(2)/ دحمون، مرجع سابق، ص. 15 .

(3)/ Daumas, op.cit, p-275-277 .

(4)/ فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، أطروحة دكتوراه، إشراف: أبو القاسم سعد الله، دائرة التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر، 1977، ص-ص. 1-4 .

(5)/ محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية، دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر، 2007، ص-ص. 38-35 .

سيدي خالد - أولاد سيد عيسى (سيدي عيسى) - الغاسول - بوسمغون - فجيح (فكيك) - بشار -
القنادسة - تافيلالت - درعة .

فمن منطلق تاريخ خروجها من طرابلس يوم 18 جمادى الثانية 1122هـ إلى غاية وصولها درعة بتاريخ 5 رمضان 1122هـ، يمكن استنتاج مدة رحلة عودة القافلة والمقدرة بحوالي شهرين و15 يوما أي 75 يوما وهذا من خلال الطريق الذي سلكته .

3 - 1 / عبر الرزاق بن محمد بن محمد بن حماوش (الجزائري)، صاحب كتاب "رحلة ابن حماوش (الجزائري) " :

جاء في تحقيق الرحلة الذي قام به الأستاذ أبو القاسم سعد الله بأن عبد الرزاق بن محمد المعروف تاريخيا بابن حمادوش الجزائري عاش خلال القرن 12هـ/18م، ولد بمدينة الجزائر سنة 1107هـ/1695م، أتم تعليمه الأولي بمسقط رأسه، درس العلوم الشرعية والفقه والنحو والتصوف والأدب وبرع في مجال العلوم الطبية وأصبح فيما بعد صيدليا وطيبيا⁽¹⁾، قام بأداء فريضة الحج مرتين الأولى كانت سنة 1125هـ/1712م والثانية سنة 1113هـ/1718م⁽²⁾، لكنه قام برحلة أخرى إلى المغرب الأقصى عام 1156هـ/1743م، وتنقل فيها بين تطوان⁽³⁾ ومكناس وفاس⁽⁴⁾، توفي وعمره حوالي تسعين سنة فلم يعلم تاريخ وفاته ولا مكان دفنه⁽⁵⁾ .

3 - 1 - 2 / كتاب رحلة ابن حماوش (الجزائري) (الموسومة ب: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال " 1156هـ/1743م) :

يعتبر كتاب رحلة ابن حمادوش الجزائري والمسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" والتي قام بها سنة 1156هـ/1743م من أهم مؤلفات هذا الرحالة، فهي مصنفة ضمن الرحلات غير الحجازية لكونه قام بها إلى المغرب الأقصى متنقلا بين المدن المغربية بهدف العلم والتجارة معا⁽⁶⁾، فرغم أدائه لفريضة الحج مرتين إلا أنه لم يدون رحلاته للمشرق، لكنه قام بكتابة رحلته إلى المغرب وطبعت وجاءت هذه

(1) ابن حمادوش، مصدر سابق، ص-ص. 9-10 .

(2) سعد الله، أبحاث وآراء...، مرجع سابق، ص-ص. 182-223 . وكذلك: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج2، ص-ص. 425-426 .

(3) مدينة ساحلية مغربية، للمزيد ينظر: موريس شربل، مرجع سابق، ص. 128 .

(4) النويهض، مرجع سابق، ص. 365 .

(5) ابن حمادوش، المصدر السابق، ص-ص. 9-10 .

(6) للمزيد ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء...، المرجع السابق، ص-ص. 228-229 .

الرحلة مبتورة من بعض الأجزاء، وقد قام بتحقيق المخطوطة الوحيدة على مستوى الخزانة العامة بالرباط الأستاذ أبو القاسم سعد الله⁽¹⁾، وجاء في كتاب ابن سودة أنه توجد نسخة أخرى موجودة على مستوى الخزانة الكتانية بفاس⁽²⁾، ومن خلال هذا التقديم للرحالة ابن حمادوش الجزائري ورحلته والقراءة الكاملة والمتأنية لها توصلت إلى مجموعة من النتائج :

أنه يمكن اعتبارها مصدر هام تترجم حياة المؤلف خاصة وأن أغلب كتب التراجم والسير إتمدت عليها للتعريف به، وإن عثر على الأجزاء المفقودة من رحلته فبطبيعة الحال ستسد فراغا كبيرا من التاريخ الثقافي و السياسي لبلاد المغرب، وهذا انطلاقا مما اعتمد عليه من مصادر جزائرية ومغربية⁽³⁾، فهي نادرة من نواذر فن الرحلة غير الحجازية خلال القرن 18/هـم وهذا نظرا لأهمية النصوص المختلفة التي جاءت فيها، بالإضافة إلى أنها مادة خام يجب صقلها والإعتماد عليها في دراسة جوانب تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية ومصدر يعتمد عليه لدراسة وتحليل العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 18/هـم، من خلال ابرازها لدور العلماء المغاربة في الحركة العلمية والثقافية خلال العهد العثماني، فاسترساله في بعض الأمور الشرعية مع بعض المشايخ والفقهاء جعل منها مصدر مرجعي ديني وإن قارناها مع رحلات أخرى سنجدها رحلة مغربية لا مشرقية خالية من الصنعة الأدبية وكثرة القصص الخرافية والأسطورية، فهي تتميز بأسلوب لغوي بسيط وسهل قريب من لغة المؤلفين الحاليين إذن : رغم أن الرحلة ليست حجازية، والموضوع الذي أنا بصدد دراسته يستلزم رحلات نحو المشرق من خلال مرورها بتونس، إلا أنها تضمنت بعض الإشارات والإيحاءات حول وجود نشاط تجاري بين الجزائر وتونس خلال القرن 18/هـم ، وهذا من منطلق أن ابن حمادوش ارتحل نحو المغرب الأقصى بهدف التجارة والعلم .

والآن سأناقش ما تضمنته رحلة ابن حمادوش الجزائري من نصوص تؤرخ للعلاقات بين الجزائر وتونس خلال القرن 18/هـم :

(1) ابن حمادوش، مصدر سابق، ص-ص. 13-14 .

(2) عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ضبط واستدراك: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص. 248 .

(3) ابن حمادوش، المصدر السابق، ص-ص. 17-23 .

النص الأول :

"...فمكثنا أياما إلى أن بعث له نائبه (1)، وكان الحاج الطاهر السخسوخ القصري هو المكاس (2)، كتابا بعدد ما عندنا من السلع وأسمائها، فلما رد له الجواب وأمره أن يدفع لنا، وكان خامس عشر محرم الحرام، دفع للناس أرزاقهم . فأول ما دفع القطن لأنه أذاه ثم يوم الثلاثاء أول من أخذ رزقه غير القطن... وكان عندي صندوق فيه ثلاثة وأربعون تزيئة (3) ششبية تونسي (4) وسبعة عشر حزام حرير وقصاب زبد، فأخذ في المكس ميني حزاما حريرا وخمسة وعشرين شاشبية زوج تزيينات وواحدة (5)، وحملة سارميتي (6) في هذه السفرة المباركة ثمانون ومائتا سلطاني (7) ذهباً، منها ثمانية وعشرون قراضا واثنان وخمسون ومائتان لي (8)... ونزلت في فندق السرايري في بيت مقابلة عين الشمال، كراؤها ستة عشر موزونة في كل شهر، فلقيت الشيخ محمد البناي الفاسي (9)، عند باب داره لأني أتيت له بأمانة من الجزائر فدفعتها له وافترقنا..." (1) .

- (1) // يقصد الطاهر سخسوخ القصري وهو جامع الضرائب (المكاس) ومثل الباشا في المرسى .

- (2) // المكس: من مسميات الضرائب ويطلق اسم المكاس على الرجل الذي يقوم على باب السوق أو يطوف بالتجار الموجودين بها ويلزمهم بدفع مبلغ معين من المال مقابل عرض سلعهم، وفي هذا الإطار كان عمر رضي الله عنه يسمح ويأذن لأهل الذمة أن يأتوا إلى بلاد المسلمين، ويأخذ منهم العشور حتى يبيعوا ما عندهم من بضائع، فيستفيد المسلمون منهم ببيع البضائع، ويأخذون منهم العشور مقابل ما يأخذون هم أيضاً من تجار المسلمين، أما المسلم فلا يجلب أن يؤخذ منه عشر ولا مكس ولا ضريبة، وإنما جعل الله تبارك وتعالى في ماله الزكاة، وفيها الكفاية، وجعل الغنائم ومصادر لبيت المال (2)، وقد عرفت كل من الجزائر وتونس هذا النظام خلال العهد العثماني واعتبر بمثابة أحد أهم مواردها المالية .

- (3) // تزيئة = الدزينة وتساوي اثنا عشر (3)، إذن مجموع ما عند ابن حمادوش هو: $516 = 12 \times 43$ شاشبية تونسية .

(1) // ابن حمادوش، مصدر سابق، ص. 32 .

(2) // أحمد الشرباصي، المعجم الإقتصادي الإسلامي، دار الجيل، بيروت، 1981، ص-ص. 436-437 .

(3) // ك . شدياق، قاموس نوبل المزدوج (عربي-فرنسي، فرنسي-عربي)، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2011، ص. 340 .

- (4) / الشاشية التونسية: قبة رجالية، تدخل ضمن اللباس التقليدي التونسي⁽¹⁾، يرجع أصلها إلى مدينة القيروان (ق2ه/8م)، استوردت من الأندلس عند هجرة الأندلسيين إلى تونس⁽²⁾، وازدهرت صناعتها فيما بعد وأصبحت من أهم صادرات تونس خلال العهد العثماني⁽³⁾، ومن منطلق أن إيالة الجزائر وخاصة شرقها هي أقرب الأسواق الخارجية لتونس⁽⁴⁾، فقد كانت من أهم المنتوجات التي تصدر إلى الجزائر بفضل القوافل، انطلاقا من بعض المراكز التجارية في غرب تونس أهمها: توزر نفطة، قفصة، الكاف، طبرقة مع مراكز تجارية في شرق الجزائر أهمها: قسنطينة، وادي سوف، تبسة، سوق أهراس والقالة⁽⁵⁾، ومع بداية القرن 12ه/18م تراجع منتج الشاشية الجزائرية مما سمح لنظيرتها التونسية أن تغزو أسواقها التجارية⁽⁶⁾، وهنا ذكر الأستاذ حمّاش ماجاء في الدفتر رقم 139 لبيان مصروف الدولة عام 1765ه/1179م في الصفحة 5: شراء مصطفى الجزيري وكيل الجزائر بتونس طزيتين من الشاشية (24=2×12) أي 24 شاشية قيمتها 24 ريالا (أي 1 ريال للشاشية الواحدة) أثناء توجهه للأراضي التركية⁽⁷⁾، وهو ما يرجح الدور الفعال الذي لعبته الشاشية التونسية في تنشيط الحركة التجارية بين الإيالتين خلال القرن 12م/18م .

- (5) / أي أن المكاس (جامع الضرائب) أخذ منه 25 شاشية تونسية .

- (6) / سارميتي: كلمة محلية مغربية متداولة في تطوان معناها رأسمالي⁽⁸⁾ .

- (7) / السلطاني: عملة نقدية ذهبية كانت متداولة في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى خلال التواجد العثماني، في البداية كان يسمى "سكوين الجزائر"⁽⁹⁾، كان لها أنصاف وأرباع⁽¹⁰⁾ .

(1) / دونان، مصدر سابق، ص. 63 .

(2) -Jean André Payssonnel, *Voyage dans La Régence de Tunis (1724)*, édition annotée: Mohamed Larbi Snoussi, Centre de publication Universitaire, Tunis, 2003, p. 63 .

(3) / عن صناعة الشاشية وازدهارها ينظر: رشاد الامام، مرجع سابق، ص-ص. 286-288 . وكذلك:

-Boubaker, op.cit, p-p. 130-131 .

(4) / الزبيري، مرجع سابق، ص-ص. 151-152 .

(5) / قاسم، مرجع سابق، ص-ص. 313-315 .

(6) / سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص-ص. 69-70 .

(7) / خليفة حمّاش، *كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني وأحمد باي والأمير عبد القادر...*، مرجع سابق، ص. 106 .

(8) / ينظر في الهامش، ابن حمادوش، مصدر سابق، ص. 32 .

(9) / يمينة درياس، مرجع سابق، ص. 368 .

(10) / مروش، مرجع سابق، ص. 36 .

- (8) // بعملية بسيطة: $516 - 25 = 491$ ، و لدينا مجموع ما تحصل عليه عند بيع سلعته من الشاشية التونسية هو 280 سلطاني ذهبي معناه $280 \div 491 = 0.57$ سلطاني ذهبي وهو سعر الشاشية الواحدة، وإذا ما طرحنا ما تم قرضه والمقدر ب: 28 سلطاني سنجد أن ابن حمادوش تحصل على ما مقدراه 252 سلطاني ذهبي، وهذا دليل على أنها تجارة مربحة.

- (9) // من شيوخ ابن حمادوش وهو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، الفاسي مولدا ومنشأ ووفاة، تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه، بجامع القرويين وغيره على يد شيوخ ذاع صيتهم في الآفاق أمثال: الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102هـ/1691م)، وعبد السلام بن الطيب القادري (ت 1111هـ/1699م)، ومحمد بن قاسم ابن زاكور (ت 1120هـ/1708م) وآخرون، فلم يكتف بناني بشيوخ بلده بل رحل إلى المشرق زيادة في التحصيل العلمي، توفي سنة 1163هـ/1750م⁽¹⁾.

من منطلق أن الرحلة ليست حجازية بل مغربية، فقد كان تنقل ابن حمادوش بين الجزائر وبعض المدن المغربية وهي: تطوان، مكناس وفاس بغرض العلم والتجارة، حيث أنه غادر الجزائر يوم 1 محرم 1156هـ وعاد إلى مرسى الجزائر بتاريخ 9 صفر 1156هـ أي أن رحلته استغرقت 29 يوما .

(1) // عبد الكبير بن المجدوب الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، "موسوعة أعلام المغرب"، ج6، نج: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص-ص. 2164-2165 .

الفصل الثاني :

الرحالة المغاربة وكتبهم خلال النصف الثاني من القرن

12/هـ 18 م .

1- / ابن عمار الجزائري .

2- / حسين بن محمد الورتيلاني .

3- / عبد الوهاب بن عثمان المكناسي .

4- / أبو راس الناصري .

5- / أبو القاسم الزياني .

1- 1 / أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري " رحلة ابن عمار الجزائري " :

يعتبر أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري⁽¹⁾ أحد أهم أعلام مدينة الجزائر والتي ولد بها حوالي سنة 1119هـ/1707م⁽²⁾، كان مهتما بالتاريخ، أوكل له منصب الإفتاء بمسقط رأسه⁽³⁾، أدى فريضة الحج سنة 1166هـ/1752م⁽⁴⁾، وقام بتدوين هذه الرحلة الحجازية وأخرجها بعنوان " نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"⁽⁵⁾ وتعتبر من أهم مؤلفاته هذا بالإضافة إلى مؤلف آخر حمل عنوان " لواء النصر في علماء العصر" وفيه ترجمة لجملة من علماء القرنين 11-12هـ/17-18م⁽⁶⁾، ذكر عنه أنه جاور الحرمين الشريفين لمدة عشرين سنة و خلالها تبادل الإجازات والفتاوى مع أقرانه من العلماء والفقهاء⁽⁷⁾، توفي بعد سنة 1205هـ/1790م⁽⁸⁾.

1-2 / كتاب رحلة ابن عمار الجزائري السماة : "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" ﴿1166هـ/1752م﴾ :

هذا الكتاب هو مخطوط أصلي موجود بالمكتبة الوطنية بالجزائر مرقم ب 2757⁽⁹⁾ والموسوم بعنوان "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" يبلغ عدد صفحاته 270 صفحة، وقد قسم الرحالة هذا الكتاب إلى ثلاث أقسام مقدمة و غرض مقصود و خاتمة⁽¹⁰⁾، كان للمقدمة النصيب الأكبر وبلغت عدد صفحاتها 254 صفحة، وهو الجزء الوحيد الموجود من الرحلة والذي تم طبعه، حاول من خلالها إظهار أسباب ودوافع سفره للمشرق، وبعض الأمور الدينية الخاصة بأهل الجزائر، وقدم فيها تراجم لبعض الأدباء والشعراء، فهي إذن من أهم آثاره، فبعد البحث والتمعن و القراءة بين دفات هذه الرحلة الحجازية وصلت إلى نتائج هامة متمثلة أساسا في أنها مصدر تاريخي هام لدراسة تاريخ بلاد المغرب وبلاد المشرق خاصة وأنه جاور بمكة المكرمة أكثر من عشرين سنة خلال القرن 12هـ/18م، فهي تعتبر من أبرز كتب الرحلات الحجازية، فابن عمار استقى

(1) النويهض، مرجع سابق، ص. 97 .

(2) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص. 27 .

(3) للمزيد ينظر : سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، مرجع سابق، ص. 225 .

(4) أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ص. 26 .

(5) ابن عمار الجزائري، مصدر سابق، ص. 4 .

(6) التازي، مرجع سابق، ص. 392 .

(7) ينظر : سعد الله، أبحاث وآراء...، مرجع سابق، ص-ص. 183-184 .

(8) النويهض، المرجع السابق، ص. 97 .

(9) التازي، المرجع السابق، ص. 392 .

(10) ابن عمار الجزائري، المصدر السابق، ص. 4 .

المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية التي عايشها وقام بوصفها، لكن بالرغم من أنه عايش فترة بعض الرحلة مثل الورتيلاني⁽¹⁾ إلا أن أسلوبه غلب عليها الطابع الأدبي ذو التوجه الديني والإجتماعي، ومبدئيا هذا المصدر وإن لا يخدم البحث المطروق فإنه من المهم الإطلاع عليه، باعتباره إنتاج تاريخي مغربي هام وهذا لما يجويه من معلومات قد تفيد الباحثين والدارسين في مجالات أخرى لأنه مصدر بعيد عن محيط التجارة بين إيالتي الجزائر وتونس بالرغم من أن الطريق الذي سلكه يلعب دورا هاما في الحركة التجارية خاصة خلال القرن 12هـ/18م، وهذا ما فرض علي الإستنتاج ببعض مصادر الرحلات الأخرى التي اهتمت بالتجارة من منطلق أن الطرق التجارية بين الإيالتن تعتبر العصب الحيوي للإقتصاد .

ومن كل هذا تعتبر رحلة ابن عمار الجزائري احدى استثناءات كتب رحلات المغاربة خلال القرن 12هـ/18م، وهذا بسبب أنها جاءت مبتورة من أجزاء هامة، حيث لا نجد بمكتباتنا إلا نبذة من مقدمتها وهو الجزء المتوفر حاليا، فشكل ذلك صعوبة في إدراجها ضمن هذا البحث والدراسة حول النصوص المتعلقة بالتجارة والتي تؤرخ للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس، فقد جاءت في نصوص تحدّد البدايات، موضوعات السير والوصول، فلو توغلنا في متن هذه الرحلة سنجدها ذات طابع وصفي تعريفي ديني لفريضة الحج، فبالرغم من أنها تصنف ضمن الرحلات الحجازية والتي كانت الجزائر وتونس احدى محطاته، إلا أن ابن عمار لم يجهد نفسه للبحث عن روابط وأصول علاقات تجارية بين الإيالتين، وهذا مع أن الفترة التي عايشها المؤلف عرفت بعض الحركة التجارية خاصة في ظل تحسن علاقتهما السياسية والعسكرية، ومادامت الرحلة المطبوعة جاءت مبتورة من أجزاء هامة وهو الشيء الذي شكل عائقا أمام ورود بعض الإشارات حول وجود نشاط وحركة تجارية بينهما، بالإضافة إلى كل هذا لاحظت غياب الإطار الزمني من خلال عدم ذكر لا تاريخ الإرتحال من الجزائر ولا تاريخ العودة من المشرق، وهو ما صعب دراسة هذه الرحلة زمنيا، إذن ما يمكن القول عن هذه الرحلة أنها سكتت عن وجود علاقات تجارية بين الإيالتين خلال القرن 12هـ/18م .

(1) سيأتي لاحقا التعريف به وبرحلته .

2 - 1 / (الحسين بن محمد السعير بن الحسين بن محمد بن عبد القاور بن أحمد الشريف الورتيلاني، صاحب "الرحلة الورتيلانية"⁽¹⁾):

مؤرخ وفقهه ورحالة جزائري، ولد عام 1125/1713م⁽²⁾ ببني ورتيلان⁽³⁾، حفظ القرآن الكريم في صغره و عن والده أخذ من العلم الكثير، فدرس الأدب والتاريخ والتصوف⁽⁴⁾ على الطريقة الشاذلية⁽⁵⁾، فأصبح في سن مبكرة بعد تنقله بين مختلف المدن الجزائرية أشهر علمائها⁽⁶⁾، قضى أغلب حياته في السفر والترحال فقام بثلاث رحلات لأداء فريضة الحج (1153-1168-1179هـ)/(1740-1755-1765م) زار من خلالها العديد من المناطق في تونس وليبيا و مصر و بلاد الحجاز، وكان يقوم بتسجيل كل مشاهدته في الطريق ووصف المسالك و أحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم، والتقى العديد من العلماء والفقهاء ببلاد المغرب والمشرق فأصبح شغوفاً لنيل مختلف المعارف⁽⁷⁾، فتلمذ على يده العديد من الطلبة الذين أصبحوا شيوخاً فيما بعد منهم: أبو القاسم بن مدور و يحيى بن حمزة الشيخ محمد بن الفقيه و آخريين، فاشتهر الورتيلاني بمؤلفات وآثار عديدة أهمها: كتاب الرحلة الورتيلانية الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" وجاء تأليفها أثناء رحلته الأخيرة للحج سنة 1179هـ/1765م، وكذلك "المنظومة القدسية"⁽⁸⁾، وتوفي حسين الورتيلاني بعد سنة 1193هـ/1779م⁽⁹⁾.

2 - 2 / كتاب الرحلة الورتيلانية (المسماة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" (1179هـ/1765م):

يعتبر كتاب الرحلة الورتيلانية والموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" أحد أبرز مؤلفات حسين الورتيلاني⁽¹⁰⁾، فهي من أهم المصادر التي تضاف في خزانة مؤلفات الرحالة المغاربة خلال القرن

(1) الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 1.

(2) مختار فيلالي، رحلة الورتيلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، 1978، ص-ص. 14-15.

(3) منطقة القبائل الصغرى قرب بجاية، للمزيد ينظر: الحفناوي، مصدر سابق، ص. 133، وكذلك ينظر: عبد الرحمن عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورتيلانية الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. 9.

(4) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص-ص. 44-45.

(5) الشاذلية: طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، للمزيد ينظر: مأمون غريب، أبو الحسن الشاذلي حياته.. تصوفه.. تلاميذه وأوراده، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص-ص. 14-63-64.

(6) عبد الرحمن عزي، المرجع السابق، ص. 11.

(7) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر...، المرجع السابق، ص-ص. 45-46.

(8) الورتيلاني، المصدر السابق، ص. 4.

(9) بوعزيز، أعلام الفكر...، المرجع السابق، ص. 47، وكذلك: التازي، مرجع سابق، ص. 375.

(10) عبد الرحمن عزي، المرجع السابق، ص. 9.

12/هـ18م وهذا إن لم نقل أبرز كتب الرحلات خلال الفترة العثمانية بالجزائر⁽¹⁾، فقد تم تأليفه أثناء حجته الثالثة سنة 1179/هـ1765م حيث نجد متنها جمع بين التحصيل العلمي وأهداف أداء فريضة الحج، فقد أراد من وراء كل هذا إخراج مؤلف تاريخي يترجم له ولعصره، وقام محمد بن أبي شنب بتصحيح الكتاب وطبعه عام 1326/هـ1908م بمطبعة بيبير فونتانا الشرقية بالجزائر و يحتوي على 820 صفحة⁽²⁾، و جاءت طبعة ثانية صادرة صادرة عن دار الكتاب العربي ببيروت سنة 1353/هـ1934م، وقام بتحقيق الرحلة الأستاذ مختار فيلاي وأخذت الرحلة نصيبها في دراسات الأستاذ أبو القاسم سعد الله⁽³⁾، والسؤال الذي يطرح من خلال هذه الترجمة للرحلة الورتيلاني ورحلته هو: هل سيقدم لي متن هذه الرحلة ما احتاجه في بحثي هذا؟ .

من منطلق ما جاء به محتوى هذا المصدر التاريخي الهام خلال القرن 12/هـ18م والذي كان قريبا من محيط التجارة وحمل في طياته العديد من الإشارات والروايات والنصوص ذات الصبغة التجارية من خلالها سأحاول رسم صورة عن التفاعل و الحركية التجارية بين الجزائر وتونس، وهذا انطلاقا من عمليات الوصف والمشاهدات التي قام بسردها - الورتيلاني - لمختلف المناطق والمسالك التي مر بها بين الإيالتين، خاصة في ظل القرب الجغرافي الذي لعب دور كبير في التعريف بأخبار الرحلات التجارية وعلاقات التجار الجزائريين والتونسيين .

والآن سأعرض وأناقش ما جاءت به الرحلة الورتيلانية من إشارات تبرز تواجد نشاط تجاري بين الجزائر وتونس :

النص الأول:

"...ولما ودعت أهل بجاية (1)، رجعنا إلى دارنا (2) عازما على السفر، وجاءنا الركب من جبل زواوة (3) نحو الثلاثمائة رجل (4)، واشتغلنا بهم إلى أن ذهبوا إلى قسنطينة (5) ثم إلى تونس (6) ليذهبوا في البحر، وفيه أفاضل وأكابر وساعدهم فضلاء الركب، نعم صرنا في توديع الناس من كل بلد من حمزة (7) ووأنوغة (8)

(1) // للمزيد ينظر: عبد المجيد بوجلة ، «ملخص رحلة الورتيلاني إلى مصر» ، مجلة المركز العربي للأدب الجغرافي،-إرتياد الآفاق-، ندوة الجزائر الأولى، 2004، ص. 4 .

(2) // للمزيد ينظر: كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص. 767 ، وكذلك، التازي، مرجع سابق، ص. 375 ، وأيضا بوعزيز، أعلام الفكر...، مرجع سابق، ص. 47 .

(3) // للمزيد ينظر: سعد الله، أبحاث وآراء... ، مرجع سابق، ص-187-190، وكذلك : تاريخ الجزائر الثقافي...، مرجع سابق، ص-ص. 398-399 .

ووادي بجاية وغيرها، وبالجملة فوطننا طيب فيه العلم وبعض الكرم للغريب وفيه الزيتون والعنب والتين بكثرة والحرث (9)، غير أن الوطن عزيز غال...⁽¹⁾ .

(1)- /بجاية: "Boujie"⁽²⁾ قديما تسمى "صالدي" و "الناصرية" نسبة إلى الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن بلكين⁽³⁾، وهي مدينة ساحلية تتوسط إفريقية والمغرب⁽⁴⁾، كثيرة الزرع وأشجار الزيتون، كانت عاصمة لمملكة بني حماد، بها قلاع وحصون كثيرة ولهذا تسمى قلعة أبي طويل⁽⁵⁾، بينها وبين الجزائر 30 ميلا (50 كلم) و12 فرسخا (60 كلم) عن جيجل⁽⁶⁾ .

(2)- /يقصد بني ورتيلان وقد سبق تعريفها .

(3)- /زاوة: قبيلة من قبائل البربر المشهورة تقطن في أطراف بجاية.

(4)- /دليل على أن القافلة كبيرة .

(5)- /قسنطينة "سيرتا": وهي مدينة قديمة بها ثلاثة أنهار كبرى⁽⁷⁾، عاصمة إقليم نويميدا الجديدة، بنيت على على جبل كبير، أراضيها خصبة⁽⁸⁾، وهي من أهم مدن بلاد إفريقية تشتهر بأسواقها وتجارها، بها عدة أبواب، بينها وبين بجاية ستة أيام وأربعة أيام عن جيجل⁽⁹⁾، كانت خلال العهد العثماني محور الصراعات العسكرية والسياسية بين الجزائر وتونس وبالمقابل حاضرة كبرى ومركز تجاري هام يربط الشرق الجزائري بتونس وأغلب المعاملات التجارية تتم بها خاصة عن طريق القوافل التجارية التي تنطلق منها⁽¹⁰⁾ .

(6)- /تونس سبق التعريف بها .

(1)/ الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 28 .

(2)/ Shaw, op.cit, p. 179 .

(3)/ الحموي، مصدر سابق، ج1، ص. 339 .

(4)/ البغدادي، مصدر سابق، مج1، ص. 163 .

(5)/ مجهول، مصدر سابق، ص-ص. 167-168 .

(6)/ مارمول، مصدر سابق، ج2، ص-ص. 376-377 .

(7)/ الحموي، المصدر السابق، ج4، ص. 349 .

(8)/ مارمول، المصدر السابق، ج3، ص-ص. 11-13 .

(9)/ الحميري، مصدر سابق، ص-ص. 480-481 .

(10)/ سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص-ص. 72-73 .

- (7) حمزة: تنسب إلى حمزة بن الحسن بن سليمان بن علي بن أبي طالب⁽¹⁾ قرية صغيرة بالقرب من بجاية، أراضيها زراعية خصبة⁽²⁾، كانت إحدى محطات الطريق التجاري العرضي الشمالي الذي يربط بين فاس المغربية المغربية ومدنية تونس⁽³⁾.

- (8) وانوغة: بلدة صغيرة جنوب إقليم الحضنة، بينها وبين المسيلة حوالي 30 ميلا (50 كلم)⁽⁴⁾.

- (9) في هذا النص يقدم لنا الورتيلاني صورة عن الحياة العلمية والإقتصادية في منطقة القبائل، والتي تشتهر بزراعة الزيتون وتجارة زيتها وبعض الصناعات كصناعة الصابون، مما يؤكد أن هذه المنطقة لها دور هام في تنشيط الحركة التجارية بالجزائر⁽⁵⁾.

النص الثاني:

"...فتزلنا قرية الجمعة أعني الصهريج (1)، وهي قرية عظيمة ذات بساتين وعيون في وسط العمارة مائة عين كما قيل..."⁽⁶⁾.

- (1) تسمى "جمعة الصهريج" وهي مقر حاكم الزواوة، تقع شرق بلاد القبائل⁽⁷⁾.

النص الثالث:

"...ثم نزلنا قرية الشيخ الفاضل ذي التصانيف الجيدة الولي الكبير والعالم الشهير...سيدي أحمد بن مزيان، وهي ورجة (1) قرية عظيمة طيبة فيها بساتين وعين جارية وسط داره..."⁽⁸⁾.

(1) البكري، مصدر سابق، ص-ص. 64-65.

(2) Shaw, op.cit, p. 180.

(3) الزبيري، مرجع سابق، ص. 67.

(4) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص. 261.

(5) سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص. 68.

(6) الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 15-16.

(7) ينظر في الهامش، فيلالي، مرجع سابق، ص. 120.

(8) الورتيلاني، المصدر السابق، ص. 16.

- (1) // ورجة: قرية صغيرة بمنطقة القبائل الكبرى تقع غرب بني ورتيلان في الطريق بين بجاية وسطيف⁽¹⁾، وهي إحدى المحطات التي نزلت بها القافلة بعد خروجها من بني ورتيلان .

النص (الرابع):

"...وزمورة (1)، كثيرة المياه وأرضها ذات زرع وضرع بلا اشتباه، طعامها جيد وسوقها عامر مفيد (2) وفيها برج للنوبة من الترك حفظها الله تعالى من أكبر المعاصي والشرك، وفيها قائد ولأهلها سائد بهم يظلم وكيدهم في نحوهم... قليلة الأشجار كثيرة الأسعار (3)، وأما بلدنا (4) فهي قرية منها على مسيرة أقل من يوم (5)، وبلدنا كثيرة الشجر من زيتون وعنب وتين، كثيرة الفواكه، إلا النخل والليم فليس فيها، وما ذكرنا من بني يعلى وزمورة وطن واحد كثير الأمطار والعيون... وأما كثيرة الثلج ومع ذلك يقولون أنه زبل البلد ومهما كثر كثر الزيتون (6)، وزمورة علمها قليل وجهلها جليل..."⁽²⁾ .

- (1) // زمورة: بلدة صغيرة على بعد حوالي 18 ميلا عن البرج، قرية من مجانة، كثيرة القمح والماشية، كانت محطة تجارية هامة لمختلف القوافل الداخلية⁽³⁾، تشتهر بكثرة المساجد ودور العلم، ومنتوجاتها النسيجية من الأقمشة الصوفية والكتانية⁽⁴⁾ .

- (2) // يفهم من كلام الورتيلاني أن هذه البلدة التي تم التزول بها يتم فيها بيع وشراء بعض السلع من منطلق أن سوقها عامرة.

- (3) // إذا عطفنا الجملة التي قبل هذه سنجد أن أهم سبب أدى إلى ارتفاع أسعار السلع والبضائع في منطقة زمورة والمناطق المحاورة لها راجع أساسا إلى سياسة الحكام الأتراك اقتصاديا من خلال الضرائب المفروضة على السكان، والتي أصبحت مع بداية القرن 12هـ/18م المورد الرئيسي للدولة وهذا في ظل تراجع وتناقص وشح موارد الجهاد البحري، مما أدى إلى ظهور انتفاضات ضد الحكام الأتراك في مختلف البايلكات⁽⁵⁾ .

- (4) // يقصد بني ورتيلان وقد سبق التعريف بها .

(1) ينظر في الهامش، فيلالي، مرجع سابق، ص. 120 .

(2) الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 81 .

(3) مارمول، مصدر سابق، ج2، ص. 383 .

(4) سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص. 50 .

(5) نفسه، ص-ص. 31-35 .

- (5) / يقدر لنا الدرعي المسافة التقريبية بين قريته "بني ورتيلان" وقرية زمورة بمسافة يوم واحد أي 8 فراسخ=44.3 كلم .

- (6) / من خلال هذا النص يتضح وجود حالة من الرفاهية الزراعية خاصة في منتوج الزيتون وزيت الزيتون ببلاد القبائل، والتي كانت تصدر منها كميات كبيرة عن طريق الموانئ خاصة بجاية وجيجل إلى أوروبا أو تحمل بواسطة القوافل التجارية إلى دول الجوار خاصة تونس والمغرب الأقصى⁽¹⁾ .

النص الخامس:

"... ثم ضعنا صبيحة يوم الثلاثاء إلى أن وصلنا إلى قصر الطير (1)، فحططنا به الرحال مع الغير وتلافينا مع الحجاج ومن يريد الزيارة بلا أحجاج ووصلنا عند الظهر... وكل يوم والحجاج تأتي من كل فج عميق فلما اجتمعوا واشتروا وباعوا اهتموا بالرحيل، ثم إن كل فاضل وعالم وذو خير وراغب من قصر الطير إلا أتى إلى الركب يزوره ويقتبس نوره... وقصر الطير: بادية وهو من أحسن الأوطان وأكرمها، قل ألا يكون فيه الخصب وعشبه أخضر ولو في الصيف والخريف، وفيه مكان يقال له المرجة من حفر فيه مقدار ذراع وجد الماء عذبا سائغا شرابه وزرعه كثير وكذا ضرعه وبالجملة فخير هذا المكان منتشر مشهور وأهل الخير فيه كذلك (2)..."⁽²⁾ .

- (1) / قصر الطير: قرية صغيرة قريبة من سطيف على جانبها الغربي وادي كبير، كثيرة المياه والبساتين، بها سوق دائمة، كانت بمثابة إحدى محطات القوافل التجارية⁽³⁾ .

- (2) / بوصول القافلة إلى قصر الطير يلتقي ركب مختلف القوافل التي جاءت من عدة مناطق (معسكر، غريس، مازونة، الجزائر، البليلة...)، فتصبح هذه البلدة نقطة التقائها، ومن الواضح والمؤكد هو حصول عمليات البيع والشراء بين مختلف القوافل نقدا أو بالمقايضة فتصبح من خلالها سلع وبضائع كل المناطق منتشرة

(1) / سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص-ص. 80-81 .

(2) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 82-83 .

(3) / الإدريسي، مصدر سابق، ص. 262 .

في مختلف القوافل، وهذا استعدادا لإكمال طريقها، خاصة وأنها-القوافل- تضم كل الطبقات الاجتماعية من موظفين كبار إلى رؤساء قبائل وقضاة وعلماء وفقهاء وطلبة وتجار وفقراء⁽¹⁾.

(النص الساوس):

"... إلى أن وصلت إلى الوجلة في أرض الحضنة (1) لأولاد دراج أعني أولاد ناصر (2)... ووصلنا قرب العصر إليهم وأقمنا عندهم يومين فاشترينا بعض الأجمال (3) هناك..."⁽²⁾.

(1)- يقصد إقليم الحضنة "مشتق من كلمة الإحتضان": اسم أطلقه أهالي المنطقة على السهل الواسع الذي يمتد نحو السبخة المالحة للمسيلة "شط السعيدة"، محاطة بجزام جبلي في شكل قوس من الأوراس وجبال بلزمة شرقا إلى جبال ونوغة غربا وبين جبال المعاضيد وبوطالب شمالا إلى جبال بوكحيل جنوبا⁽³⁾، فهي جغرافيا ذات طابع تلي وصحراوي⁽⁴⁾، كان خلال العهد العثماني من أهم وأبرز مناطق العبور بين الشمال والجنوب والشرق والغرب⁽⁵⁾.

(2)- أولاد دراج أو "أولاد ناصر": إحدى أكبر القبائل في منطقة الحضنة ويطلق عليها تسمية "قيادة الحضنة"، ويتكون من بطون كثيرة أهمها: الشراقة والغرابية والسوامة⁽⁶⁾.

(3)- سبق وأن أشرنا إلى دور الجمال في القوافل التجارية.

(1) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، "الطرق التجارية بين مصر وبلاد المغرب العربي وغرب إفريقيا في العصر العثماني"، "البحرية والطرق التجارية العثمانية"، أعمال المؤتمرات عن الولايات العربية خلال العهد العثماني رقم 12، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 2000، ص-ص. 127-139

(2) الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 84.

(3) كمال بيرم، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية، فترة الإحتلال الفرنسي (1840-1954)، أطروحة دكتوراه، إشراف: صالح لميش، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011، ص-ص. 8-9.

(4) Despois, (J), "La Bordure Saharienne de l'Algerie orientale", *R.A, Vol n° 86*, 1942, p-p. 197-219.

(5) كمال بيرم، المرجع السابق، ص-ص. 17-18.

(6) Accardo (F), *Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie, dressé d'après les documents officiels sous la direction de M. le Myre de Vilers*, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1879, p-p. 133-134.

النص السابع:

"...ثم وضعنا من عندهم والركب سابق إلى مدكال (1) فتبعناه...فتزلنا قرب بركة (2) وهي أرض طيبة وفيها نهر جار مثل النيل...وصبيحة تلك الليلة وضعنا إلى أن وصلنا قرية مدكال التي أمير الركب فيها منها...وقرية مدكال فيها نخل ولم يكن من بلادنا نخل إلا فيها ثم كذلك إلى الزاب (3): وهي قرية كبيرة فيها جمعة وعين عظيمة عند رأس البلد وفيها تضع العرب أثقالها...وكذا هؤلاء الأواخر ومدة بقاء الحاج فيها يشترطون الرواحل (4)..."(1).

(1)-/ مدكال "امدوكال حاليا": بلدة صغيرة تقع في الجنوب الشرقي لإقليم الحضنة، كثيرة النخل والفواكه، تتمركز بها أكبر بطون قبيلة أولاد دراج، بينها وبين وادي بركة حوالي 9 فراسخ (45 كلم)⁽²⁾.

(2)-/ بركة: إحدى أكبر مدن إقليم الزاب، كانت تسمى قديماً "طينة"، افتتحها موسى بن نصير⁽³⁾، بها أبواب كثيرة منها: باب خافان، باب حديد، كثيرة المياه والبساتين، وأسواقها عامرة، أهم أثمارها "نهر بيظام"، قال عنها البكري: "ليس من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها"⁽⁴⁾، بينها وبين بسكرة مرحلتين⁽⁵⁾، ونفسها مع المسيلة⁽⁶⁾.

(3)-/ الزاب سبق التعريف به .

(4)-/ شراء مختلف الرواحل خاصة الجمال والبغال من أسواق بركة هدفه الإستعداد للطرق الصحراوية خاصة بعد الخروج من بسكرة باتجاه صحراء تونس وهذا ما يؤكد وجود تجار ضمن هذه القافلة وأن هذه البلدة محطة هامة لمختلف القوافل⁽⁷⁾ التي تمر من منطقة الحضنة إلى بلاد الزاب .

(1)/ الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 85-86 .

(2)/ Daumas, op.cit, p. 101 .

(3)/ مجهول، مصدر سابق، ص. 172 .

(4)/ البكري، مصدر سابق، ص-ص. 50-51 .

(5)/ ابن حوقل، مصدر سابق، ص. 87 .

(6)/ الحميري، مصدر سابق، ص. 387 .

(7)/ فيلاي، مرجع سابق، ص-ص. 85-86 .

النص (الثامن):

"...ثم ضعنا منها إلى بسكرة (1) ذاهبين فبتنا في الطريق ليلة واحدة وصبيحتها ضعنا ووصلنا عند الضحى... فلما قطعنا الوادي نزلنا حافين بالنهر وهذه البلدة أعني بسكرة كثيرة المياه بين خلال البيوت فكل باب عنده ساقية من الماء تجري ماء حلو كالعسل ونخلها عظيم وغلتها كثيرة أيضا أي زرعها وكذا الفواكه خصوصا الزيتون فإنه كثير جدا (2)... (1) .

- (1) / بسكرة سبق التعريف بها .

- (2) / نجد معنى هذا الوصف لمدينة بسكرة مكررا في النص التاسع من نصوص الدرعي .

النص (التاسع):

"...وقد دخلت طولقة (1) وهم أهل الجود والفضل... مع أن هذه المدينة (2) من أعجب المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توفر أسباب العمران فيها قد جمعت من التل والصحراء ذات نخل كثيرة وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها وأرجاء متعددة تطحن بالماء ومزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن، في أسواقها وبالجملة كما قال الإمام العياشي في رحلته ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصل ولا أجمع لأسباب المعاش، إلا أنها ابتليت بتخالف الترك عليها وعساكر العرب، فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة إلى أن بنى الترك حصنا حصينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة، فملكوا البلد وأضروا بأهلها واححفوا بهم في الخراج (3)... (2) .

- (1) / طولقة⁽³⁾: إحدى مدن بلاد الزاب، بناها النوميديون، بينها وبين بسكرة 22 ميلا (37 كلم)، كثيرة النخل وتمرها من أجود أنواع التمور، عانى سكانها خلال العهد العثماني من الضرائب المفروضة عليهم من طرف الحكام الأتراك⁽⁴⁾ .

- (2) / إذا عطفنا الجملة الأخيرة على ما قبلها سنجد الورتيلاني يقصد الزاب وبسكرة وقد سبق التعريف بهما.

(1) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 86-87 .

(2) / نفسه، ص. 88 .

(3) / نجد مارمول يسميها "دوقة"، للمزيد ينظر: مارمول، مصدر سابق، ج3، ص. 169 .

(4) / الوزان، مصدر سابق، ج2، ص. 140 .

- (3) / هذا النص مكرر في النص التاسع من نصوص الدرعي .

النص العاشر:

"...وقد دخلنا المدينة عقبة (1) (كذا) فوجدنا أكثر حوماتها خالية ومساجدها دائرة..."(1) .

- (1) / يقصد بلدة سيدي عقبة وقد سبق التعريف بها .

النص الحادي عشر:

"...والزاب (1) كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها بسكرة (2) وهي: مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وهي مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وحواليها بساتين كثيرة وفيها غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمر منها جنس يعرف بالكسبة وهو الصحيح يضر به المثل لفضله على غيره وجنس يعرف بالبازي أبيض أملس كان عبید الله الشيعي (3) يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحريض عليه وبعض ما هنالك منه إليه، وأجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها وحول بسكرة رياض خارجة عن الخندق المذكور... وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع بئر لا يترف وداخل المدينة جنات يدخل إليها الماء من النهر وبها جبل ملح (4) يقطع منه صخور جليلة ومنها كان عبید الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل (5)..."(2) .

- (1)-(2) / الزاب وبسكرة سبق التعريف بهما .

- (3) / هو أبو عبید الله عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن إسحاق بن أسلم (ت911/هـ911م)، شيعي، يلقب "بالمعلم" ناشر دعوة عبید الله المهدي وممهد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب (3) .

- (4) / كما سبق وأن أشرنا في السابق إلى التعريف ببسكرة، و ذكرنا أن على جانبها جبال من الملح، تستخرج منها كميات كبيرة تباع في مختلف أسواقها، ومن المؤكد أن هذه السلعة الهامة كانت تنقل عبر القوافل المارة ببسكرة لبيعها في المناطق التي لا تتوفر على هذه البضاعة، وقد كانت أسواق المدن التونسية

(1) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 89 .

(2) / نفسه، ص. 93 .

(3) / عبد الرحمن السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ج2، تح: محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ص. 66 .

الحدودية الغربية أقربها ومثال ذلك أن نفطة تبعد مسيرة أقل من خمسة أيام والطريق إليها آمنة خاصة من الأخطار الطبيعية بسبب انتشار الآبار والعمران، فمن هذا المنطلق يمكن اعتبارها بمثابة سلعة استراتيجية لعبت دور كبير في تنشيط الحركة التجارية بين الإيالتين .

- (5) / هذا النص يتوافق مع النص التاسع للدرعي وقد تمت مناقشته.

النص الثاني عشر:

"... ثم لما فرغ الناس من قضاء أوطارهم من بيع وشراء وازدياد زاد (1)، ضعنا ضحى الثلاثاء خامس وعشرين من رجب وعشرين من شتنبر ونزلنا سيدي عقبة (2) عصرا... (1) .

- (1) / يفهم من كلام الورتيلاني أنه بعد اتمام عملية البيع والشراء والتزود بزاد الطريق تستعد القافلة لإكمال الطريق، فهذا دليل على أنه تم شراء بضائع وبيع هذه المنطقة وأهمها على الإطلاق التمور والملح بهدف بيعها في مناطق أخرى، ومن منطلق أن المناطق المحاروة لبسكرة تشترك معها في نفس المنتوجات فإنه من المرجح أن تنقل هذه السلع إلى مناطق تونسية قريبة لا تتوفر على هذه البضائع ويتم بيعها في أسواقها أو مقايضتها بسلع أخرى .

- (2) / سيدي عقبة سبق التعريف بها .

النص الثالث عشر:

"... وهو أننا ارتحلنا من سيدي عقبة صبيحة وتوجهنا إلى الزرائب (1) فبتنا قبل وصولها وكنا في ذلك اليوم قد توافينا بإبل كثيرة للبيع فاشترى منها أحونا سيدي أحمد الطيب ما شاء الله (2) ومع ذلك هي أرفق مما سبق من بسكرة وقرية مدكال... ووصلنا قرب الزرائب بل نحن البغالة تقدمنا إلى القرية فخرج إلينا أهلها متسوقين بالبنادق والحياك والغنم غير أن بعضهم فهمنا منه أنه يريد الخنطة (3)... (2) .

- (1) / يقصد زريبة الوادي وزريبة حامد وقد سبق التعريف بهما .

(1) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 94 .

(2) / نفسه، ص. 105 .

- (2) / الواضح أن شراء العديد من الإبل من طرف المذكور في النص أحمد الطيب دليل على أنه من كبار التجار في القافلة وأن معه من المال الكثير، فهل سيستعملها كرواحل؟ أم أنه سيعيد بيعها في مناطق أخرى؟ من المؤكد أن القافلة لها مايكفي من الرواحل - وهذا حسب وصف الورتيلاني لها بأنها قافلة ضخمة - ومادامت الإبل بضاعة قابلة للبيع والشراء، والقافلة ستواصل سيرها عبر طريق معلوم، فالأرجح أنها ستتقاطع في طريقها مع قوافل أخرى والتي في الغالب ستقيم سوق صغيرة فيما بينها، والمؤكد أن هذا التاجر سيعيد بيعها في مناطق الالتقاء مع هذه القوافل، أو أنه سيبيعها في أسواق بلدات تمر عليها القافلة وبالخصوص التونسية منها من منطلق أنها أقرب الأسواق إلى بلاد الزاب، وهنا يتأكد جليا أن الحركة التجارية بين الإيالتين لا تشمل فقط المنتوجات الزراعية والصناعية المختلفة سواء أكانت محلية أم مستوردة من مناطق أخرى غير الإيالتين، بل تشمل حتى الثروة الحيوانية المختلفة .

- (3) / تطرقنا سابقا إلى مشكلة الأمن واللصوصية في مختلف الطرق والمسالك والتي تعاني منها جل القوافل .

النص (الرابع عشر):

"... ثم بتنا في الطريق قبل غزران (1) على وزن عمران وبه واد جار ووجدنا عرب النمامشة (2) فهم أقبح الناس وأكثرهم شرا، فمنهم من يأتي للسرقة ومنهم من يأتي للخطفة، ولا يحكم بعضهم في بعض ومع ذلك أنهم لم يكونوا في حكم سلطان تونس ولا في حكم باي قسنطينة، فإنهم هاربون في الصحراء... ثم ضعنا ونزلنا غزران ثم نزلنا منزلة أخرى قبل الحامة (3) ثم بتنا فيها..." (1).

- (1) / نجده عند الدرعي يسميه "وادي غسران" ومن الواضح أنه ممر لمختلف القوافل نحو حامة توزر وهذا من منطلق أنه واد دائم السيلان، وقد سبق الإشارة إليه في النص التاسع عشر من نصوص الدرعي .

- (2) / النمامشة أو اللمامشة أو الممامشة: إحدى أكبر القبائل الأمازيغية البربرية، يرجع أصلها إلى قبيلة جراوة البربرية العريقة وهي بطن من بطون قبيلة كتامة مؤسسة الدولة العبيدية الأولى و الدولة الفاطمية في مصر و الشام و شمال أفريقيا، كان لها امتداد واسع في بلاد المغرب (2)، كانت أحد أهم أسباب الصراعات الحدودية بين

(1) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 107 .

(2) / موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية "منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)"، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص-ص. 56-99 .

الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م⁽¹⁾، كما عرف عليها أنها كانت دائمة التمرد ضد الحكم العثماني خاصة سنة 1194هـ/1780م، وهو ما زاد من توسيع نفوذها على الحدود التونسية⁽²⁾، وانطلاقاً من وصف الورتيلاني لهم باللصوصية يمكن أن نعتبرها بمثابة أحد العوائق التي أثرت سلباً على عملية التواصل التجاري بين الإيالتين .

- (3) / يقصد حامة البهاليل وقد سبق التعريف بها .

(النص الخامس عشر):

"...فهي الآن (1) لا حمام فيها ولا سوق يعتبر منها، غير أن الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيمًا وما كان من المدارس والأحباس التي لم توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها (2)..."⁽³⁾ .

- (1) / يقصد خنقة سيدي ناجي وقد سبق تعريفها .

- (2) / يفهم من كلام الدرعي أن الأتراك الذين استولوا على منطقة الخنقة كان لهم تأثير كبير على حركيتها التجارية في أسواقها وعلى نشاطها العلمي في دور العلم المختلفة، وفوق كل هذا كانوا يفرضون ضرائب كبيرة على أهاليها مما شكل لهم إرهاقا اقتصاديا ساهم في التقليل من حركيتها التجارية وتراجعها في مختلف المجالات .

(النص السادس عشر):

"... إذ نزلنا فيها عند الظهر أوائل رجب سنة 1179 تسع وسبعين ومائة وألف... وهذه القرية كثيرة النخل والمزارع وهي على ماء جار حلو عذب بارد في الصيف ومع ذلك فهي أرض حارة في الصحراء... نعم هذه القرية ليس لها نظير فهي أحسن ما وجد في البلاد مزارع وأشجار (1)..."⁽⁴⁾ .

- (1) / يقدم لنا صاحب هذه الرحلة وصفا لبلدة سيدي عقبة وقد سبق التعريف بها، والتي من الواضح أنها محطة هامة لهذه القافلة للتزود بما يلزم، وبيع وشراء سلع هذه المنطقة .

(1) / سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص. 264 .

(2) / عميرواي، مرجع سابق، ص. 24 .

(3) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 110 .

(4) / نفسه، ص-ص. 112-116 .

النص السابع عشر:

"...والخنقة (1) قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار في وسط واد بين جبلين، وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها..." (1).

- (1) // الخنقة، "خنقة سيدي ناجي حاليا" سبق تعريفها .

النص الثامن عشر:

"...وهو أننا نزلنا قرية الحمامة (1)، فيها نخل كثير ومياه عظيمة وطيبة وفيها حمام يجري ماؤه قوي بحيث عم غالب القرية وماؤه حار كأنه تحته نار عظيمة..." (2) .

- (1) // يقصد حمامة البهاليل وقد سبق التعريف بها .

النص التاسع عشر:

"...ثم ارتحلنا منها (1) فزلنا توزر (2) وقت الضحى وهي: بلدة عظيمة من قواعد الجريد كثيرة النخل مع جودة ثمرها، إذ لانظير له في سائر بلد الجريد، قرية المياه فيها أثمار وماؤها عذب وبنائها شامخ مستحسن مرونق فهي أفضل من بسكرة لأن بناءها بالطوب وهي بناؤها بالأجر والحير والجبس في غاية الإتقان مع طول البنيان الى العلو(3)... وقد قال سيدي أحمد بن ناصر في رحلته (4) ما نصه: وتوزر هذه هي قاعدة بلاد الجريد من عمالة تونس.... وما رأيت ببلاد الجريد أكثر منها نخلا وأحسن منها بناء وأوسع بعد بسكرة ساحة وأغزر ماء وبنائهم بالأجر، فلذلك كان أحسن من بناء بسكرة... وبها من الثمار ما لا يحصى عدده إلا الله يرد عليها من الأعراب الآلاف المتولفة وبمأكل كل واحد إبله بما شاء من الثمار، وثمرها أجود تمر الجريد، ومياهها غزيرة، وجناتها كثيرة فيها واد كبير منبعه من غربيها، وأعرابها أهل بادية مخصبة يرخص فيها غالبا سعر السمن واللحم، وأما التمر فيها فرخيص جدا يكاد يكون كدرعة وأمثالها (5)، ولكن أضر بأهلها جور الولاة حتى كاد الخراب يستولي عليها لضعف أهلها بالجبايات الظلمية (6) وقد بنى بها محمد باي عفا الله عنه مدرسة للطلبة جيدة باراء مسجد جيد متقن ببناء رائق أعمدتها كلها رخام (7) وبنى أخرى بقابس (8) مثلها... وقد كثر جور الأتراك بهذه البلاد وشاع بها الظلم والفساد وأخبرني بعضهم أنهم كانوا يعطون ستة نواصر على كل

(1) // الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 118 .

(2) // نفسه، ص. 122 .

نخلة وأربعة على كل زيتونة والناصرى اسم لسكة عندهم معروفة اثنان وخمسون في كل ريال لكل عام
(9) ... (1)

(1)- // يقصد حامة البهليل .

(2)- // توزر سبق التعريف بها .

(3)- // هذا النص تمت مناقشته ضمن نصوص الدرعى ونجده في النص الحادى عشر .

(4)- // أحمد بن ناصر الدرعى صاحب الرحلة الناصرية وقد سبق دراستها .

(5)- // هذا الجزء من النص مكرر عند الدرعى في النص الحادى عشر .

(6)- // معنى هذا النص نجده مكرر في النص الثانى عشر من نصوص الدرعى وهو يتحدث عن سياسات الإضطهاد ضد أهالى توزر من طرف الحكام الأتراك .

(7)- // يتضمن هذا النص رواية بين دفتيها احدى السلع التى تشتهر بها تونس وهى "الرخام"، والى ذكر أنهما استخدمت فى أعمدة المسجد الموجود فى توزر، وهو الشىء الذى تميزه فى المساجد الجزائرية⁽²⁾، إذن فهى بمثابة قاسم حضارى مشترك بينهما، وأبعد من ذلك مظهر من مظاهر التواصل التجارى بين الإيالتين من خلال انتقال هذه المادة -الرخام- بينهما .

(8)- // قابس سبق التعريف بها .

(9)- // هذا الجزء من النص تمت مناقشته ضمن نصوص الدرعى (النص الحادى عشر) .

(1) // الورتيلانى، مصدر سابق، ص-ص. 122-123 .

(2) // ينظر : بيسونال، مصدر سابق، ص-ص. 30-71 .

- وللمزيد عن الطراز الهندسى المعماري للمساجد فى الجزائر خلال العهد العثمانى، ينظر: مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة فى الإسلام "نموذج الجزائر فى العهد العثمانى"، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دى، 1999، ص-ص. 199-201 .

النص العشريون:

"...وأخبرني بعض الشرطيين في الحجة قبل هذه، أن خراج الجريد من نفطة إلى قابس خمسمائة ألف ريال لكل عام وخراج جربة وحدها ستون ألفا... من... الأرز والسمن والخل والزيت واللحم فالله تعالى يقطع جور الجائرين ولا يصلح عمل المفسدين..."⁽¹⁾ .

هذا النص مكرر ويتوافق مع النص الثاني عشر من نصوص الدرعي وقد تمت مناقشته، والذي يتحدث فيه عن الضرائب المفروضة على سكان بلاد الجريد من نفطة إلى توزر .

النص الواحد والعشرون:

"...ونفطة أيضا مدينة كبيرة قريبة من توزر ولها واد مثل واديها، ويقال أن خراجها مثل خراج توزر (1)... في الحجة الأولى عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف (1153هـ)، نزلنا بها (2) في الرجعة فوجدناها كما يليق من كثرة الأرزاق وكثرة الخلائق وقد قدم معنا من الحجاج من توزر من أكابرها ومن ذوي رئاستها فأكرموا من كان في الركب في ديارهم... وما رأيت أرق قلوبا وأسحى دمعة من أهل الجريد، على أبي تخلفت مع شيخ الركب (3) في بعض نواحي توزر بأن أدخله بعض الناس إلى بيته مع أصحابه، وبقيت أنا في الزقاق أنتظر خروجه إذ لم يرني عند الدخول، ولما بقيت وحدي وإذا برجل من القرية عزم علي وذهب بي إلى بيته بعد امتناعي خوفا من المكر، ولما وصلت بيته فوجدته أحسن البيوت ووجدت زوجته من أحسن النساء دينا وحالا وصيانة يظهر عليها أثر الديانة فإذا تكلم أحدهما أصابته عبرة مع انسجام الدمعة وانهما رها، فعلمت أنهما من أهل الصلاح وأهل الخير تفضل الله علي بهما ما رأيت مثلهما أصلا (4)، ثم قامت المرأة وجعلت لي خبزة ثم كسرتها في الحليب أعني لبن الغنم ووضعت عليه شيئا من الزبدة ثم أخذت في الأكل فما وجدت أحلى من ذلك الطعام ولا أذوق منه طعاما، كأنه من الجنة فلما كنت في أثناء الأكل وإذا بصاحب البيت قال لي: كل! هذا طعام بلدك (5)، فقلت: من أي بلدة؟ فقال: من ميلة (6)، وخطر لي أنه أوتي له من الغيب..."⁽²⁾ .

- (1) هذا الجزء من النص مكرر في النص الثاني عشر من نصوص الدرعي، وقد تم مناقشته .

(1) // الورتيلاني، مصدر سابق. 123 .

(2) // نفسه، ص-ص. 123-124 .

- (2) / يعني نفطة وقد سبق تعريفها .

- (3) / يقصد به الشيخ بدر الدين بن عبد الكريم الفكون⁽¹⁾ .

- (4) / يحدثنا الورتيلاني عن كرم وجود أهل نفطة خلال المرور بها في حجته الأولى عام (1153هـ/1740م)، ومن منطلق أن نفطة إحدى مدن بلاد الجريد في الجنوب التونسي فهذه الصفات ليست جديدة أو غريبة عن أهل الصحراء، فأغلب الرحلات والقوافل التي تمر بها تتحدث عن كرم أهلها وسخائهم وهو ما أهلها بأن تكون محطة تجارية هامة ونقطة عبور رئيسية لمختلف الرحل المتجهة للصحراء أو بلاد المشرق⁽²⁾ .

- (5) / أورد المؤلف رواية يوجد في مضمونها إشارة إلى وجود نشاط تجاري بين الإيالتين سنة (1153هـ/1740م) والمتمثل في "زبدة لبن الغنم" التي قدمت للورتيلاني، فمن منطلق أن الثروة الحيوانية التي كانت تتوفر عليها الجزائر خلال العهد العثماني كالأغنام والماعز والأبقار كانت ضخمة، والمؤكد من هذا أن ما تنتجه من سمن وزبدة كان كافيا للإستغلال المحلي⁽³⁾ وجزء منه يصدر إلى تونس⁽⁴⁾، خاصة عبر الطريق الرابط بين مدن الجنوب الشرقي للجزائر ونفطة، والتي كانت المسافة بينها وبين أقرب مناطقه (وادي سوف) تقطع في أقل من ثلاثة أيام⁽⁵⁾، إذن يفهم من كل هذا والرواية التي جاءت على لسان صاحب البيت الذي نزل به الورتيلاني بنفطة، أنها إحدى السلع القادمة من الجزائر وبالتحديد من "ميلة" .

- (6) / ميلة: مدينة قديمة، بينها وبين قسنطينة 4 فراسخ (21 كلم)⁽⁶⁾ ومسافة مرحلة واحدة إلى سطيف، بها أسواق عامرة، كثيرة البساتين والفواكه⁽⁷⁾ والحمامات، سكانها من البربر⁽⁸⁾، كانت من أهم المحطات التي تتوقف تتوقف بها مختلف القوافل القادمة من الشمال والمتوجهة نحو المشرق .

(1) / ينظر: الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 693 .

(2) / دونان، مصدر سابق، ص. 76 .

(3) / سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص. 60 .

(4) / قاسم، مرجع سابق، ص. 314 .

(5) / الزبيري، مرجع سابق، ص. 154 .

(6) / مارمول، مصدر سابق، ص. 13 .

(7) / مجهول، مصدر سابق، ص. 167 .

(8) / البكري، مصدر سابق، ص-ص. 63-64 .

النص الثاني والعشرون:

"...وفي تلك الحجة زرنا سيدي أحمد الزريبي⁽¹⁾ وهو ولي صالح يجرب بالمغيبات كثيرا... وهذا الشيخ ممن عظم قدره عند الله، وكان منعزلا في خلوة في بيته مدة أربعين سنة لم يخرج منها على ما سمعت ممن يوثق به من أصحابه، ولما وصلت إليه مع طلبي مسكني من حاشية البرنس وزفري زفرة عظيمة وجذبي جذبا قويا وقطع لي البرنس من جهة صدري نحو الشبر حتى أصاب الروع من ذلك جميع الحاضرين، وأما أنا في نفسي انتظر عاقبته وإنما توهمت أن يكون غضبه من غضب الله علينا أعوذ بالله من غضبه وغضب أوليائه... ثم بعد ذلك انبسط إلينا وانشرح، فعند ذلك قال له بعض أصحابه: لماذا عملت بفلان يعني نفسي ذلك الزفر؟ فقال: إنكم إذا أردتم غسل الثوب الجديد فلا بد من عصره وضربه بالرجل ضربا شديدا لتزول أوساخه فيطلى بالصابون (1) ولذلك فعلت به ما فعلت... وفي هذه الحجة وجدته ميتا مقبورا عند منزل الركب..."⁽²⁾

- (1) // يظهر في الرواية وجود نوع من السلع المشهورة في صناعات تونس وهي "الصابون"، فقد كانت أغلب مساحات تونس الزراعية تمتاز بكثرة أشجار الزيتون في جل المناطق الساحلية مثل: سوسة، المنستير، تونس، صفاقس وقابس، وما يمكن تمييزه خلال العهد العثماني هو تشييد العديد من المصانع ومعاصر الزيتون والتي كان لها الدور الكبير في جعل هذا المنتج ذو تجارة مربحة⁽³⁾، خاصة وأن نطاقه لم ينحصر في داخل تونس فقط، بل كانت تصدر منه كميات كبيرة إلى دول أوروبا وبلدان الجوار وعلى رأسها الجزائر⁽⁴⁾، ومن منطلق اعتبارها من المواد العطرية المنظفة⁽⁵⁾، فقد كانت القوافل التونسية تحمل كميات كبيرة منها لبيعها في مناطق بسكرة والوادي فهي إذن من السلع التونسية التي عرفت رواجاً كبيراً في الأسواق الجزائرية⁽⁶⁾.

النص الثالث والعشرون:

"...ونزلنا قرب السبخة (1) عند صلاة العصر، ثم رحلنا صبيحة فقطعنا السبخة بعسر وشدة، فكثير من الإبل قد وقعت في السبخة وكذا البغال (2)، تداركنا الله بفضلته، فترلنا في حامة قابس (3)، وهي قرية ذات نخل

(1) // للمزيد عن هذا الولي الصالح ينظر: الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 124-125 .

(2) // نفسه، ص-ص. 124-125 .

(3) // Boubaker , op.cit, p. 130 .

(4) // دونان، مصدر سابق، ص. 64 .

(5) // قاسم، مرجع سابق، ص. 311 .

(6) // الزبيري، مرجع سابق، ص. 155 .

وماء وفيها حمام من الله تعالى، سخن كأنه يغلي بالنار...فمنها ضعنا لقابس(4) ونزلنا خارجه...فلما أصبح الله بخير الصباح، أتى أهل قابس يتسوقون مع الركب إلى صلاة الظهر (5)، فأتى الأعراب فغاروا على إبل الركب فنهبوا جملين...وتوزر وقابس محل الخطفة بل توزر أعظم فكل من غفل عن حاجة في يده إلا وخطفوها (6)...⁽¹⁾.

- (1) // يقصد سبخة تاكمرت وقد سبق تعريفها .

- (2) // معنى هذا النص يتوافق مع النص الثالث عشر من نصوص الدرعي .

- (3) - (4) // حامة قابس وقابس سبق التعريف بهما .

- (5) // يفهم من كلام الدرعي أن مدينة قابس بما سوق تجارية هامة من خلالها يتم فيها البيع والشراء بين سكان هذه المنطقة والقوافل التجارية التي تمر بها، حيث كان أفرادها يتاجرون مع كل مدينة أو محطة من المحطات التي تنزل بها⁽²⁾، ومن المؤكد أن هذه القافلة جلبت معها سلعا من الجزائر وتم بيعها في سوق هذه المدينة .

- (6) // أشرنا في السابق إلى عمليات السرقة واللصوصية ضد القوافل التي تمر بتوزر وقابس، فإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين هذا المظهر فيهما وبين بعض المناطق الخاضعة للقبائل الحدودية الجزائرية خاصة قبائل النمامشة سنجد لها صفة مشتركة بينها، ومعنى هذا الجزء من النص يتوافق مع النص الخامس عشر من نصوص الدرعي .

النص (الرابع والعشرون):

"... ثم ضعنا منه (1)، ونزلنا قرية عرام (2) بعد أن زرنا ما فيها من قبور صلحائها...نزلنا قرب برج الملح (3)، فأصاب الركب عطش تلك الليلة (4)، فأصبحنا والحمد لله في الزوارة الخالية (5)، فسقينا الماء وأوردنا الخيل والبغال والإبل، وماؤها عذب حلوا أحسن المياه من عرام إليه..."⁽³⁾.

- (1) // يقصد ارتحلت القافلة من قابس .

(1) // الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 127-128 .

(2) // عبد الرحيم عبد الرحمن، الطرق التجارية...، مرجع سابق، ص. 129 .

(3) // الورتيلاني، المصدر السابق، ص. 130 .

- (2) / قرية عرام: قرية صغيرة تقع بالقرب من قابس على بعد ميلين من البحر، أغلب أراضيها زراعية، بها مياه كثيرة، وواحات نخيل وبساتين⁽¹⁾، قال عنها التيجاني في رحلته: "... أجاس (يقصد قرية عرام) قرية ضخمة ذات أشجار كثيرة ولها غابة متسعة فيها عين عذبة المياه غير أنها مستوبأة وأخبرني أهلها أنهم احتفروا في هذا الوقت بئرا عذبة المياه سالمة من الوباء يشربون منها ويسقون من تلك العين حميرهم وزروعهم..."، ثم يقول: "...ورأيت بها مسجدا يذكر أهلها أن له فضلا مشهودا عندهم وأن الدعاء مستجاب عنده (هكذا)، لقد أظهر بعض زهادهم به الإغتباط، فلازم به الرباط، وإن كان هذا المرابط وجميع أهل البلدة على المذهب السيئ المنسوب للخوارج..."⁽²⁾.

- (3) / برج الملح سبق التعريف به .

- (4) / أشرنا في السابق أنه من أهم المخاطر التي تعترض القوافل هي مشكلة نقص المياه في طريقها .

- (5) / الزوارة الخالية يقصد بها الزوارة الغربية وقد سبق تعريفها .

النص الخامس والعشرون:

"... فبعد السقي، ذهبنا إلى أن خرجنا إلى الزوارة العامرة (1)... ثم منها إلى زواغة (2)... ومررنا على الزاوية الغربية (3)، وهي كثير النخل قوية العمارة... غير أن الركب لم يتزلها، وإنما اجتاز عنها فقط، ومررنا على زنזור (4) أيضا ثم منه إلى طرابلس (5)، وبينها وبين زنזור نحو اثني عشر ميلا (6)، والحمد لله أولا وآخرًا..."⁽³⁾.

- (1) / الزوارة العامرة يقصد بها الزوارة الشرقية: قال عنها التيجاني "... فاجتازنا في أول المرحلة على زوارة الكبرى التي تسمى كوطين-بضم الكاف وكسر الطاء المهملة- وهي قرية أضخم من الأولى (يقصد الزوارة الصغرى أو الزوارة الغربية) وأكبر غابة، في أهلها شجاعة موصوفة وعزة أنفوس وطاعتهم للعرب مشوبة بعضيان..."⁽⁴⁾، والواضح من هذا أنها محطة من المحطات التي تقع قبل طرابلس .

(1) / العياشي، مصدر سابق، ص. 129 .

(2) / التيجاني، مصدر سابق، ص. 181 .

(3) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 130 .

(4) / التيجاني، المصدر السابق، ص. 210 .

- (2) / زواغة: حاليا تضم منطقتي "العلاقة" و"صبراتة"، تقع في الشمال الغربي لليبياء، تنسب إلى قبيلة العلاقة والتي هي بطن من بني علاق بن عوف من قبائل بني سليم الهلالية التي استقرت بالمنطقة خلال الهجرات الهلالية إلى شمال إفريقيا⁽¹⁾، بينها وبين زوارة ستة أميال، بها بساتين ومزارع وأسواق تجارية تباع فيها مختلف المواشي والحبوب والفواكه والتمور⁽²⁾.

- (3) / الزاوية الغربية سبق تعريفها .

- (4) - (5) / زنزور وطرابلس سبق تعريفهما .

- (6) / يبدو من هذا النص أن الورتيلاني قدر المسافة بين زنزور وطرابلس انطلاقا مما جاء في رحلة الدرعي، وهذا ما يتوافق مع النص الخامس عشر من نصوص الدرعي .

من خلال ما أوردته من تحليل للنصوص التي جاءت في رحلة ذهاب الورتيلاني، أمكنني أن أستخلص الطريق الذي سلكته هذه القافلة نحو طرابلس انطلاقا من بني ورتيلان بالجزائر - وهذا من منطلق المجال الجغرافي الذي أنا بصدد دراسته (بين الجزائر وتونس) - فيكون على النحو التالي:

- بني ورتيلان - الجمعة " جمعة الصهريج " - ورجة - زمورة - قصر الطير - الحصنة - مدكال - بركة - سيدي خالد - أولاد جلال - بسكرة - طولقة - سيدي عقبة - الزرائب " زريبة الوادي وزريبة حامد " - غسران - خنقة سيدي ناجي - حامة توزر " حامة البهاليل " - توزر - حامة قابس " حامة مطماطة " - قابس - قرية عرام - برج الملح - الزوارة الغربية - زواغة - الزاوية الشرقية - زنزور - طرابلس.

(النص (الساوس) والعشرون):

"... ثم مررنا كذلك إلى أن وصلنا إلى قصر الملح: وهي سبخة قريبة منه تحمل منه السفن، وملحها مفضل على سائر السباخ، ومنها يمتار أهل البلاد النصرانية وكأنه طرف من السبخة التي بتوزر، وأهل ذلك الموضع يزعمون أنهم إذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا إلى تراب الأرض، احتفروا فيه قليلا فوجدوا طبقة

(1) / أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرحاني، ليبيا، د.ت، ص-ص. 109-110 .

(2) / التيجاني، مصدر سابق، ص-ص. 211-212 .

أخرى، وكذلك إلى سبع طباق وهم يحفرون إلى الطبقة السابعة لأن النصارى يتغالون في شرائه منهم، ويذكرون أن له عندهم منافع عديدة إلى غير ذلك...⁽¹⁾ .

هذا النص يتوافق مع النصين الثالث عشر والسادس عشر ، ونجده مكررا في النص السابع عشر من نصوص الدرعي والذي يبين لنا الورتيلاني أهمية مادة الملح ودورها في الحركة التجارية بين بلدان المغرب وأوروبا، وقد سبق مناقشة ذلك .

النص السابع والعشرون:

"...مررنا ببلد الحمارنة الى أن وصلنا إلى عرام، فإنه محل أجدادهم وموضع خزائهم...وهي قرية طيبة ذات مياه عذبة ونخيل ومزارع وبساتين، ومن مات منهم دفن فيها، وفيها مزارع كثيرة..."⁽²⁾ .

هذا النص يتوافق مع النص السادس والعشرين من نصوص الورتيلاني، وهو يتحدث عن قرية عرام وما تتوفر عليه من أماكن لأولياء صالحين "المزارع"، والرفاهية الزراعية التي تمتاز بها .

النص الثامن والعشرون:

"...مكثنا في قابس (1) نحو اليومين واليوم الثالث ضعنا منه، غير أن طريقنا وبعض الركب يريد تونس، وهو من كان من نواحي قسنطينة...وغيرهم جعلنا ركبا مستقلا، وسيدي محمد المسعود وأهل الصحارى إلى قصر الطير (2) ذهبوا ركبا مستقلا، غير أن طريقهم توزر ونفطة إلى سيدي عقبة إلى بسكرة، فقد اجتمعنا عند الارتحال وتوادعنا فعز علينا الإفتراق (3)...وقرية قابس فيها مياه كثيرة وبساتين من نخل ورمان وعنب وتين وفواكه حمة، بلدة عظيمة وعمارة متسعة وفيها أسواق كثيرة ودكاكين عظيمة، كثيرة المساجد والمزارع كثيرة الحناء، بحيث لا تساويها في ذلك بلدة وهي مشهورة بها، حاصله أنها جمعت فأوعت أفاض الله علينا من بركات أهلها(4)..."⁽³⁾ .

- (1) / قابس سبق تعريفها .

- (2) / قصر الطير سبق التعريف بها .

(1) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 650 .

(2) / نفسه، ص. 652 .

(3) / نفسه، ص-ص. 654-655 .

- (3) / يحدثنا الورتيلاني في هذا النص عن انقسام القافلة إلى قسمين، قسم سيتجه نحو قسنطينة، فإذا ما تتبعنا هذا الطريق فسنجد طريقاً قديماً تسلكه مختلف القوافل القادمة من قسنطينة مروراً بالخروب وسوق أهراس وصولاً إلى مدينة الكاف التونسية ومنه إلى الشمال الشرقي نحو مدينة تونس ونفس الشيء في الإياب، فلو تمعنا في هذا الطريق فسنجد أنه من أهم الطرق الذي تسلكه مختلف القوافل التجارية بهدف تصريف وبيع سلعها وبضائعها في المحطات التي تمر بها بين الجزائر وتونس، وتكمن أهمية هذا الطريق في توفره على ضروريات الرحلة خاصة المياه ونقص قطاع الطرق، وقد قدرت مسافة سيره بين 24 و26 يوماً على الأكثر، وهذا ما يؤكد الحركية التجارية على مستوى هذا الطريق خاصة وأن منطلقها عاصمة بايلك الشرق الجزائري، والقسم الثاني من القافلة قال عنه الورتيلاني بأنه سيتجه إلى بسكرة مروراً بتوزر ونفطة وصولاً إلى سيدي عقبة ثم بسكرة وهو نفس الطريق الذي سلكته القافلة مجتمعة في رحلة الذهاب، فلو قمنا بتتبع هذا الطريق سنجد أنه هو الآخر طريق هام لمختلف القوافل المتوجهة أو القادمة من المشرق نحو المدن الصحراوية الجزائرية مثل بسكرة، وادي سوف أو تقرت وأبعد من ذلك ورقلة، وإذا كانت القافلة مغربية فإن طريقها سيكون عرضياً بين التل والصحراء، ومادامت المسافة بين الوادي ونفطة تتطلب مسيرة أكثر من ثلاثة أيام وبين الوادي وقفصة خمسة أيام، ومن منطلق أن هذه المدن سواء أكانت تونسية أو جزائرية بمثابة مراكز تجارية هامة، فهذا ما يرجح فرضية وجود حركية لمختلف سلع وبضائع هاته المناطق في الإتجاهين⁽¹⁾.

- (4) / هذا الجزء من النص يتوافق مع النص السابع عشر من نصوص الدرعي، والتي يتحدث فيها الورتيلاني عن وصف مدينة قابس، وقد تمت مناقشته .

النص التاسع والعشرون:

"...فمررنا عليها (1) ذاهبين إلى مدينة صفاقس (2)، فترلناها بعد الزوال...وهي مدينة قديمة طيبة...وقد باحثت البعض في علم الكلام... ثم انتقلت إلى مجلس آخر في النحو...ثم اشترينا بعض الكتب منها(3)...ومدينة صفاقس على شاطئ البحر وفيها بساتين عظيمة وجنات كثيرة يستحلها

(1) / مصطفى عبد الله العاشي، « طرق الحج خلال القرن التاسع عشر "من الصحراء إلى بوغاز جبل طارق" ، مجلة التاريخ العربي، 38(2006) وأيضاً ينظر: الزبيري، مرجع سابق، ص-ص. 152-155 ، وكذلك: بن خروف، مرجع سابق، ص-ص. 16-65 ، و: سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص-ص. 198-199 .

- Thomas MacGill, *Nouveua Voyage a' Tunis*, Publié en 1811, Traduit : M***, Imprimerie de C.L.F.Panckoucke, Paris, 1815, p-p. 165-168 .

الناظرون... تجتمع فيها الخيرات وتعمها البركات، أفاض الله علينا من بركات أهلها، وصنعة الكتان فيها كثيرة، وهو معلوم عند الناس ومشهور لديهم (4)...⁽¹⁾ .

- (1) / يقصد قابس .

- (2) / صفاقس: مدينة تونسية قديمة، تقع على بعد 270 كلم في الجنوب الشرقي لتونس على خليج قابس، بها أسواق عامرة، بينها وبين قفصة مسيرة ثلاثة أيام⁽²⁾، تشتهر بالصناعات الصوفية والجلدية وزيت الزيتون والحناء والشمع والصابون والعمود، مساحاتها الزراعية كثيرة البساتين⁽³⁾، وساحلها يتمتع بثروة سمكية كبيرة⁽⁴⁾، وهو ما أهلها بأن تكون مركز تجاري هام على الساحل التونسي خلال العهد العثماني خاصة وأن لها موانئ لتصدير منتوجاتها إلى أوروبا أو إلى بلدان المغرب العربي⁽⁵⁾ .

- (3) / الواضح أن مدينة صفاقس بها أسواق عامرة ومن بين ما تتميز به هو وجود بعض الأجنحة بما لبيع الكتب، وهنا يوضح لنا الورتيلاني أنها مدينة تكثُر فيها حلقات العلم، لكن السؤال الذي يطرح هنا: هل اشترى هذه الكتب بهدف العلم أم لبيعها في مناطق أخرى؟. كلا الإحتمالين واردان فإن اشتراها بهدف العلم فحتمًا سيحتفظ بها، وإن اشتراها بهدف التجارة فالمؤكد أنه سيبيعها في مناطق أخرى أثناء رحلة عودته من تونس إلى الجزائر، فإن باعها في المناطق التونسية فإن فائدته ستكون معتبرة مقارنة ببيعها في الجزائر .

- (4) / يورد لنا الورتيلاني وصفًا لمميزات مدينة صفاقس تجاريًا فهي تشتهر بصناعات كثيرة أهمها الكتان والذي من الواضح - حسب كلامه - أنه يتم تصدير الكثير منه .

النص (الثلاثون):

"... ثم نزلنا سوسة (1) وهي بلدة طيبة قريبة من تونس... واسعة البساتين كثيرة الفواكه، طعامها جيد وخبزها طيب، واسعة الأرزاق، حلوة المذاق، يستحسنها الناظر ويتمناها المقيم والمسافر، وتصلح أن تكون قاعدة من قواعد الملك... فقد اشترأب فيها أعناق الحجاج لشراء بزها لاسيما الكتان، فقد اشترأ منه كثيرًا... فإن الوفود

(1) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 655-657 .

(2) / الحميري، مصدر سابق، ص-ص. 365-366 ، وكذلك ينظر: الإدريسي، مصدر سابق، ص-ص. 280-282 .

(3) / دونان، مصدر سابق، ص-ص. 77-78 .

(4) / الوزان، مصدر سابق، ج2، ص. 87 ، وكذلك ينظر: التيجاني ، مصدر سابق، ص. 68 .

(5) / Boubaker, op.cit, p. 91 .

تأتي إليها من كل جانب (2)، وهي مدينة علم وبركة عظيمة... وضعنا منه ثم مررنا بحمام الأنف (3) عند الضحى فتحمنا فيه بنية التبرك والشفاء من كل سقم ووصم دينا ودنيا... (1).

(1) // سوسة: مدينة ساحلية تونسية قديمة، تبعد حوالي 170 كلم عن تونس (2) و50 كلم عن مدينة القيروان (3)، بها موانئ تجارية هامة، كثيرة المزارع والبساتين وأشجار الزيتون، وبها العديد من معاصر الزيتون (4)، تشتهر بصناعات الثياب الرفيعة السوسية (5) بها أسواق عامرة بمختلف السلع والبضائع القادمة من مختلف الأقطار (6).

(2) // يفهم من كلام الورتيلاني أن مدينة سوسة باعتبارها بعيدة عن الطريق الرئيسية لمختلف القوافل المغاربية المتجه للمشرق، إلا أن ذلك لم يمنعها أن تكون محطة تجارية هامة في رحلة الإياب خاصة ماتتوفر عليه من أسواق لبيع مختلف السلع والبضائع المحلية أو المستوردة من أوروبا وكذلك ما تتوفر عليه من أماكن لاستراحة المسافرين والرحل.

(3) // حمام الأنف: مدينة تونسية قديمة، بينها وبين تونس ثلاث مراحل، تشتهر بكثرة حماماتها المعدنية الحارة (7)، قديما كانت تسمى "نارو" "Naro" (8).

النص (الواحد والثلاثون):

"... تونس... أسواقها وحماماتها ودكاكينها بل ولا مقابرها، فإن الفتنة قد عمت جميع محالها وتشعبت مواضع الخير بها، فبدلت والعباد بالله بالشر، حتى استنكف أهل الجرائم عن مخالطة من سلم منها (1)... وقد مكثت فيها نحو خمسة أشهر... وبالجملة فإن تونس خيرها عظيم وحالها كريم ووصفها نعيم وطبعها نسيم، حلوة

(1) // الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 657-658.

(2) // دونان، مصدر سابق، ص-ص. 80-81.

(3) // الحموي، مصدر سابق، ص. 282.

(4) // الوزان، مصدر سابق، ص-ص. 83-84.

(5) // التيجاني، مصدر سابق، ص-ص. 25-26.

(6) // ابن حوقل، مصدر سابق، ص-ص. 74-75.

(7) // دونان، المصدر السابق، ص-ص. 82-83.

(8) // Serge Lancel, "Etudes sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin", *Recherches de topographie ecclésiastique, Mélanges de l'école française de Rome*, 2(1984), p-p. 1085-1113

المذاق، عزيزة الفراق، كثيرة الإشتياق، قوية الأسواق... كثيرة الفواكه في جميع الأوقات بلا كلفة ولا مشاق، جامعة لأجناس الخلائق... يقال أنها كانت كثيرة الجنات والمياه والزروع، طيبة الفواكه، فغلب عليها ماء البحر (2)... " (1).

(1) // يصف لنا الورتيلاني أوضاع مدينة تونس وما وصلت إليها من فتن وعدم استقرار خلال النصف الثاني من القرن 12/هـ 18م، ففي بدايات التواجد العثماني بها مارس الأتراك جرائم عديدة ضد الأهالي من تقتيل وتعذيب فلم يسلم منهم حتى الحكام أنفسهم، كل هذه الأسباب وأخرى أدت إلى تراجع دور مدينة تونس خاصة في المجال التجاري وهو ما أثر سلبيا على علاقتها الإقتصادية مع بلدان الجوار، لكن هذه الأوضاع تحسنت بوصول حمودة باشا إلى حكم تونس فوضع عدة أنظمة لحفظ الأمن والإستقرار واسترجاع هيبتها الإقتصادية (2).

(2) // رغم الأوضاع التي تميزت بها مدينة تونس - حسب وصف الورتيلاني لها - إلا أن ذلك لم يقف حاجزا أمام مكوث المؤلف بها لمدة تفوق الخمسة أشهر، لكن السؤال الذي يطرح هنا: هل مكوثه لهذه المدة الطويلة بهذه المدينة - رغم ظروفها غير المستقرة - كان بهدف العلم أو بهدف التجارة أو كليهما أو لأشياء أخرى غيرهما؟. من الواضح أن هدفه هو العلم بالدرجة الأولى والتجارة بدرجة أقل، وقوله: "...وبالجملة فإن تونس خيرها عظيم وحالها كريم... قوية الأسواق... كثيرة الفواكه في جميع الأوقات بلا كلفة ولا مشاق، جامعة لأجناس الخلائق..."، هو دليل على أن أسواقها التجارية مزدهرة بمختلف السلع والبضائع المحلية والمستوردة، والمؤكد في هذا كله أنه مارس التجارة في أسواقها، وحتما في رحلة عودته إلى الجزائر جلب معه سلعا تونسية الصنع بهدف بيعها في الأسواق الجزائرية، وإن تم ذلك فعلا فإنها ستكون تجارة مربحة.

النص الثاني والثلاثون:

"...وأما بلاد قسطنطينية (1)، فإن مدنها مدينة توزر والحامة وقفصة، ومدينة توزر هي أم مدائن قسطنطينية، وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب... وأسواق كثيرة حولها رياض واسعة، فهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب كثيرة النخل والثمار، إلا أن قصب السكر لا يصلح فيها وكذلك اللوز، وحولها سواد عظيم من

(1) // الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 659-670.

(2) // رشاد الامام، مرجع سابق، ص. 252 وما بعدها.

النخل، وهي أكبر بلاد افريقية تمرا، وشربها من ثلاثة أثمار وتخرق من الرمال كالدرك رقعة وبياضا، ويأخذ من مدينة توزر في بعض الأيام ألف جمل تمرا موقورة وأكثر، فلا يعلم في بلد من البلاد مثل أثر حبها جلالة وحلاوة، وبها الزنجبيل والمخبط، ولا يعلم في قسطيلية إلا الرمال، وسعر طعامها غال في أكثر الأوقات لأنه يجلب إليها وبين الحمراء ومرحلة وورائها صحراء في قبلتها لا يقدر أحد أن يدخلها...⁽¹⁾ .

- (1) / قسطيلية=قسطالية سبق تعريفها .

هذا النص يتوافق مع نصوص الدرعي (الحادي عشر والثامن عشر والواحد والعشرون)، حول وصف مدينة توزر - احدى أبرز مدن قسطالية- وأهميتها الاقتصادية ببلاد المغرب، ونجد معنا له في النص الثالث والعشرون من نصوص الورتيلاني السابقة، والذي يبدو أنه يعرفها جيدا وقد تعمق في بعض تفاصيلها .

النص الثالث والثلاثون:

"...هذا وإني زرت فيما مضى مدينة ماطر (1)، وهي مدينة صغيرة ذات مزارع ويسكن في نواحيها العرب والبرابر من ناحية بجاية (2) وجبالها... وكذا دخلت مدينة بتزرت (3) فيما مضى، وهي مدينة ظريفة طيبة شريفة مليحة المرسى، فيها بساتين لا سيما العنب وأنواع الفواكه وخير البر والبحر مجتمع فيها...⁽²⁾ .

- (1) / ماطر: بلدة صغيرة تقع في شمال غرب تونس على بعد 40 ميلا عن عاصمة الإيالة، أراضيها خصبة وكثيرة مزارع الحناء⁽³⁾ .

- (2) / بجاية سبق التعريف بها .

- (3) / بتزرت: مدينة ساحلية تونسية، تقع على بعد حوالي 35 ميلا من عاصمة الإيالة⁽⁴⁾، كانت تسمى قديما "إيوزاريتوس"⁽⁵⁾، بينها وبين طبرقة سبعون ميلا⁽⁶⁾، سواحلها كثيرة الأسماك، أراضيها خصبة تكثر فيها زراعة

(1) / الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 672-673 .

(2) / نفسه، ص. 677 .

(3) / دونان، مصدر سابق، ص. 72 .

(4) / الوزان، مصدر سابق، ص. 68 .

(5) / دونان، المصدر السابق، ص. 70 .

(6) / أبو الفداء، مصدر سابق، ص. 143 .

الفواكه⁽¹⁾، بما ميناء تجاري هام لتصدير واستيراد البضائع خاصة إلى أوروبا وسواحل بلدان المغرب منها الجزائر وليبيا⁽²⁾.

النص (الرابع والثلاثون):

"... ثم سرنا كذلك إلى أن بتنا في تستور (1)، وهي قرية عظيمة تقرب من المدن الصغار... وهذه القرية لا سور فيها، ذات بساتين ومزارع كثيرة وفواكهها قليلة الوجود فلا نظير لها أبدا، فمن رآها استعظمها وتعجب منها، يستحليها الناظر، ويتمناها المقيم والمسافر (2)، فلا يرضى بعد الخبرة بما أحد فراقا، بل يزداد المرء إليها اشتياقا..."⁽³⁾.

(1)- / تستور: بلدة تونسية قديمة تقع على ضفاف وادي مجردة⁽⁴⁾، كانت تسمى قديما "تيشيلا" "Tichilla"، بينها وبين عاصمة الإيالة 76 كلم⁽⁵⁾، أرضيها خصبة وبها مزارع وبساتين كثيرة⁽⁶⁾.

(2)- / يفهم من كلام الورتيلاني أن بلدة تستور محطة هامة للمسافرين ومختلف القوافل المتجهة إلى شمال تونس.

النص (الخامس والثلاثون):

"... ثم سرنا كذلك إلى أن وصلنا قرية تبرسق (1)، قرية ذات بساتين ومياه ومزارع كثيرة، حاصله فيها زرع وضرع كثير وسوق في الأسبوع، يأتي إليه الناس من بعد عامر ممتلئ، فيه ما يباع كثيرا (2)..."⁽⁷⁾.

(1)- / تبرسق: بلدة تونسية صغيرة وقديمة، تقع بالقرب من مدينة باجة على بعد 60 ميلا من عاصمة الإيالة،

(1)/ الفزويبي، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، دت، ص. 159 .

(2)/ Boubaker, op.cit, p. 159 .

(3)/ الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 681 .

(4)/ دونان، مصدر سابق، ص. 72 . وكذلك ينظر: بيسونال، مصدر سابق، ص. 139 .

(5)/ Serge Lancel, op.cit, p-p. 1085-1113 .

(6)/Berbrugger (A), « Itinéraires archéologiques en Tunis », *R.A*, 1(1856), p-p. 385-387 .

وينظر أيضا : أحمد الحمروني، *تستور وثائق ودراسات*، ميديا كوم، تونس، 1999، ص. 21 وما بعدها .

(7)/ الورتيلاني، المصدر السابق، ص. 682 .

يمر بجانبها وادي مجردة⁽¹⁾، من أهم محاصيلها الزراعية الزيتون والنخيل والحمضيات والقمح والشعير⁽²⁾.

(2) // يتضح من وصف الورتيلاني لبلدة تيرسوق بأنها محطة هامة خاصة وأن بها سوق عامر يتم فيه عرض مختلف البضائع القادمة من مختلف الأماكن، ومن المرجح أن بعضها سلع جزائرية قادمة ضمن القوافل المنطلقة من قسنطينة باتجاه تونس العاصمة، وهذا بسبب القرب الجغرافي لها .

النص (الساوس) والثلاثون:

"... ثم سرنا كذلك إلى أن وصلنا إلى الكاف (1)، وهي مدينة متوسطة ليست كبيرة جدا ولا صغيرة، فهي مليحة ذات مزارع كثيرة فهي حد مدائن تونس ولا مدينة بعدها، وإنما هي الفصل بين تونس وعمالة الجزائر في زماننا هذا، لأن قاعدة الملك مدينة الجزائر وقاعدة الملك تونس وغيرها من المدن، إنما فيها القواد والعمال ليس إلا، غير أن تونس تكاد أن تكون تحت ولاية الجزائر لما وقع فيها من الحرب العظيم والقتال الكبير الذي مات فيه أكثر الناس، وقد مات فيه سلطان (2)..."⁽³⁾.

(1) // الكاف: مدينة قديمة تقع في الشمال الغربي لتونس⁽⁴⁾، كانت تسمى قديما "سيكيا فينيريا" "Sicca Veneria"⁽⁵⁾، تبعد عن العاصمة ب: 101 ميل وبينها وبين الحدود الجزائرية بعد ترسيمها 24 ميلا، تشتهر بزراعة القمح⁽⁶⁾، بها العديد من القصور القديمة، كانت محطة هامة لمختلف القوافل بين قسنطينة ومدن الشمال الشمال التونسي⁽⁷⁾.

(2) // سبق وأن أشرنا إلى الصراعات الجزائرية-التونسية في بدايات التواجد العثماني، وموقع مدينة الكاف من هذا الصراع .

(1) // دونان، مصدر سابق، ص. 72 .

(2) // يحي الشامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص. 148 .

(3) // الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 683 .

(4) // بيسونال، مصدر سابق، ص. 97 .

(5) // دونان، مصدر سابق، ص. 72 .

(6) // يحي الشامي، مرجع سابق، ص. 157 .

(7) // دونان، المصدر السابق، ص. 72 .

النص السابع والثلاثون:

"... ثم ضعنا منه (1) صباحا فسرنا أياما في عافية إلى أن وصلنا إلى مدينة قسنطينة، وهي مدينة في وطننا وقاعدة من قواعد بلادنا... وفيها أسواق كثيرة ودكاكين ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة نحو الخمسة... تنفذ منها للجزائر أموال عظيمة من المغرم ومددها قوي وظلمها كثير وسعرها رخيص، واسعة الأرزاق... كثير فيها اللحم والسمن والقمح والتين... تأتيها القوافل من كل النواحي... وهي من إفريقية وأحسن عمالتها (2)..." (1)

(1) - يقصد مدينة الكاف .

(2) - يفهم من كلام الورتيلاني أن الطريق بين الكاف التونسية وقسنطينة آمنة، وهو ما يرجح فكرة أن أغلب القوافل التجارية تسلك هذا الطريق بهدف تبادل السلع بين الإيالتين، وهنا يؤكد الأستاذ أحمد قاسم "عن وجود وثيقة ارتباط بين جربة التونسية وقسنطينة، وبينت أن بين النقطتين خمسة أو ستة مراكز، ويذكر بعضهم أن هنالك قافلة تربط قسنطينة بتونس وأنها شهرية وتنتج أرباحا طائلة، وأن أغلب صادراتها و وارداتها منسوجات متنوعة من تمر وثياب وسراويل وزمائل ومناديل وقماش وغنم وسمن وشواشي وذهب" (2)، كل هذا وأكثر جعل من قسنطينة أحد أهم المراكز التجارية بالشرق الجزائري والتي لعبت دور هام في الحركة التجارية بين الإيالتين (3) .

النص الثامن والثلاثون:

"... ثم سرنا كذلك أياما إلى أن وصلنا زمورة... وهذه البلدة كثيرة الأرزاق، قوية الانفاق، طويلة البنيان، فيها مزارع كثيرة... فهذه البلدة كثيرة السمن واللحم والقمح... والثياب الحسنة الرفيعة من الصوف والكتان..." (4) .

(1) الورتيلاني، مصدر سابق، ص-ص. 685-687 .

(2) قاسم، مرجع سابق، ص. 314 . وينظر أيضا: الزيري، مرجع سابق، ص-ص. 152-153 . وكذلك: عميراي، مرجع سابق، ص-ص. 55-34 .

(3) سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص-ص. 72-73 .

(4) الورتيلاني، المصدر السابق، ص-ص. 699-700 .

هذا النص يتوافق مع النص السادس من نصوص الورتيلاني، وهو يصف لنا قرية زمورة التي مر بها في رحلة الذهاب .

النص التاسع والثلاثون:

"...وبالجملة فالجموع من وطننا رجالا ونساء هذا يتصل بنا وهذا ينفصل عنا، إلى أن وصلنا إلى مقامنا ودارنا ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام (1181هـ/1767م) أحد وثمانين ومائة وألف (1)..."⁽¹⁾ .

- (1) // يجزئنا الورتيلاني في هذا النص عن تاريخ وصول القافلة إلى بني ورتيلان .

من خلال ما أورده من تحليل للنصوص التي جاءت في رحلة الإياب بالخروج من طرابلس مروراً بتونس وصولاً إلى بني ورتيلان، أمكنني أن أستخلص الطريق الذي سلكته هذه القافلة فيكون على النحو التالي:

- قصر الملح - قرية عرام - قابس - صفاقس - سوسة - حمام الأنف - تونس - تستور - تيرسق - الكاف - قسنطينة - زمورة - بني ورتيلان .

3-1 / أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان الكناسي، صاحب كتاب "رحلة الكناسي":

أبو عبد الله بن عثمان الكناسي⁽²⁾ المسطاسي⁽³⁾ ولد بمكناس⁽⁴⁾ المغربية ولهذا يكنى بالمكناسي، لم يحدد في كتب التراجم والسير والأعلام تاريخ ميلاده، لكن المرجح أنه ولد في أواخر الثلث الأول من القرن 12هـ/18م⁽⁵⁾، كان أبوه من الواعظين والمدرسين بأحد مساجد مكناس مما أهله أن ينبع من المعارف العلمية وهو في ريعان شبابه وكذلك من منطلق أن مكناس كانت حاضرة تاريخية للدولة العلوية⁽⁶⁾، فبعد ذلك عاش

(1) // الورتيلاني، مصدر سابق، ص. 704 .

(2) // ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج4، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص. 129 .

(3) // محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج2، منشورات مجلة كلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 52 .

(4) // مدينة تقع شمال المغرب بين الرباط وفاس وإحدى أهم حواضرها الشهيرة، للمزيد ينظر: موريس شربل، مرجع سابق، ص. 574 ، وحول مكان نشأة ومولد المكناسي ينظر: المكناسي، المصدر السابق، ص. 269 .

(5) // للمزيد ينظر: محمد المنوني ومحمد بن عبود، «رحلة ابن عثمان المكناسي إلى القدس الشريف ومناطق من فلسطين»، مجلة المناهل، 39(1990)، ص-ص. 20-43 .

(6) // للمزيد ينظر: محمد الفاسي، «الكاتب الوزير محمد بن عثمان المكناسي»، مجلة تطوان، 5(1960)، ص. 7 .

في وسط بلاط السلطان المغربي محمد بن عبد الله العلوي⁽¹⁾ وعين كاتباً له، وهنا اختلفت المصادر حول اللقب الذي حملته فمنهم من يقول أنه كاتب السلطان العلوي وهناك مصادر أخرى تقول بأنه شغل وحمل لقب الوزير، قام بعدة رحلات أهمها التي قادته كسفير إلى إسبانيا سنة 1193/1779م وأخرج مؤلفاً حول رحلته هذه والموسومة بـ "الإكسير في فكاك الأسير" وأرسل كذلك إلى إيطاليا بنفس الصفة⁽²⁾، وفي الرحلة الثالثة إلى إستانبول ألف أهم مؤلفاته بعنوان "رحلة المكناسي" والموسومة بـ "إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القرس الشريف والتحليل والتبرك بقبر الحبيب" وكانت سنة 1200/1785م⁽³⁾، بعد ذلك بسنوات توفي جراء الطاعون الذي جاء على المغرب الأقصى سنة 1213/1798م⁽⁴⁾.

3-2 / كتاب رحلة المكناسي والمسماة "إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القرس الشريف والتحليل والتبرك بقبر الحبيب" (1200/1785م) :

بعد رحلة حج المكناسي والتي حملت صبغة دبلوماسية دينية من خلال إرساله في مهمتين كسفير للسلطان المغربي إلى الأستانة والتي مكث بها أكثر من سنة فزار العديد من المكتبات والمراكز العلمية الشهيرة وبعد ذلك توجه للحجاز في المهمة الثانية لتبليغ ما تم إرساله من طرف محمد بن عبد الله العلوي⁽⁵⁾ ومن خلال احتكاكه المستمر بالعلماء والفقهاء إكتمل نضجه الثقافي والعلمي⁽⁶⁾، وأثناء رحلته هذه ألف كتاب رحلة المكناسي والموسومة بـ "إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القرس الشريف والتحليل والتبرك بقبر الحبيب" سنة (1200/1785م)، وقد ذكر بن سوادة أن هذا الكتاب هو مخطوطة توجد نسخة فريدة منها في خزانة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان⁽⁷⁾، بالإضافة إلى نسخة أخرى موجودة على مستوى مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم 708 وهي جزء من الرحلة فقط، وهناك نسخة أخرى موجودة على مستوى الخزانة العامة بالرباط برقم 2327، وأخرى بالخزانة الحسينية برقم 5264⁽⁸⁾، وقد كان للرحلة النصيب الوافر من التحقيق من خلال ما قام به الأستاذ محمد بوكبوط، وبعد القراءة والتمعن في مضمون هذه

(1) للمزيد حول هذا السلطان المغربي ينظر: الزياتي، مصدر سابق، ص. 63، وكذلك: المكناسي، مصدر سابق، ص. 17.

(2) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات الجزائر-المغرب الأقصى-موريطانيا-السودان، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص. 518.

(3) المكناسي، المصدر السابق، ص-ص. 48-51.

(4) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص. 518، وكذلك: ابن سوادة، مرجع سابق، ص. 227.

(5) المكناسي، المصدر السابق، ص. 42، وكذلك: ابن سوادة، المرجع السابق، ص. 227.

(6) الزياتي، المصدر السابق، ص. 126.

(7) ابن سوادة، المرجع السابق، ص. 227.

(8) المكناسي، المصدر السابق، ص-ص. 22-24.

الرحلة القيمة سنصنفها في خانة البالغة الأهمية في دراسة تاريخ بلاد المغرب فهي تحمل في طياتها العديد من مميزات فترة المكناسي، ومن خلال كل هذا : هل تناولت هذه الرحلة العلاقات التجارية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م؟ من منطلق الطريق الذي سلكه المكناسي خاصة مروره بالجزائر وتونس فحتمًا سترد بعض الإشارات القيمة في بعض النصوص التجارية حول وجود نشاط وتبادل تجاري بين الإيالتين، والطريقة التي ستوصلني إلى هذه الإستنتاجات هي عملية استنطاق هذه النصوص والروايات .

وفيما يلي سأقوم بعرض النصوص والإشارات التي جاء في مضمونها وجود روابط وعلاقات تجارية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م :

النص الأول:

"...ومدينة تونس مدينة كبيرة مقصودة للمراكب البحرية، مؤسسة في بسيط من الأرض على ساحل بحيرة صغيرة أدخلت إليها من البحر، وهي كبيرة طولها نحو العشرين ميلا، وهي كثيرة الزيتون تحمل زيتها المراكب إلى بر النصارى طول أيام السنة (1)، فقد أخبرني بعض أهلها الذين كانوا على قائمين بمثونتنا، أن أعشار زيت تونس فقط من غير عملها ستة وثلاثون ألف مطر، والمطر فيه قلتان والقلة اثنان وثلاثون رطلا، مستلزم عند من استلزمه بهذا العدد ومعلوم أنه استلزمه ليربح فيه، ومعاصير زيت تونس وما حولها نحو ثلاثمائة (2)...وقد مات من علمائها وطلبته كثير في الوباء الذي كان عندهم في سنة مائتين وألف وما بعدها، وتمادى بها إلى قرب ورودنا عليها وقد وجدناه انقطع، فقد أخبرني أهلها أنهم دفنوا في الوباء زهاء ثمانين ألفا، فقد كانوا يدفنون في اليوم الخمسمائة وما يقرب من الألف لطف الله بالمسلمين (3)..."(1) .

- (1) // يوضح لنا المكناسي أن سلعة زيت الزيتون بتونس كانت أهم ما يتم تصديره عبر موانئ هذه المدينة، وهذه البضاعة اشتهرت بها تونس على مر التاريخ، فأراضيها الزراعية تتوفر على كميات كبيرة من أشجار الزيتون، والواضح أنها مثلت أساس صادراتها إلى الدول الأوروبية⁽²⁾، وبالمقابل تأثرت هذه التجارة المربحة

(1) // المكناسي، مصدر سابق، ص-ص. 325-326 .

(2) // بيسونال، مصدر سابق، ص. 62 .

بالقرصنة البحرية⁽¹⁾ فمن خلالها اضطربت العلاقات الإقتصادية بين ضفتي المتوسط وحتى بين بلدان المغرب خلال العهد العثماني⁽²⁾.

- (2) / يورد لنا المكناسي أن عدد معاصر زيت الزيتون بتونس تقدر بنحو 300 معصرة، وجاء في سياق كلامه أنه يتم تصديرها "بالمطر"، وهو أحد المكاييل الذي كان يتم استعماله في بيع وتصدير زيت الزيتون نحو أوروبا أو بلدان المغرب⁽³⁾، وبعملية بسيطة: (المطر = قلتان)، (والقلة الواحدة = 32 رطلا⁽⁴⁾)، وبما أن تونس تصدر ما يقرب 36 ألف مطر من زيت الزيتون، أي معناه $2 \times 3600 = 72000$ قلة زيت، وبما أن القلة الواحدة = 32 رطلا، إذن: $32 \times 72000 = 2304000$ رطل زيت، فهذا ما يؤكد أنها تجارة مربحة لإيالة تونس، ومن منطلق أن أقرب الموانئ جغرافيا لميناء مدينة تونس هو ميناء القالة بالجزائر، فإنه من المؤكد أن جزءا منها يتم تصديره إليها⁽⁵⁾.

- (3) / نجد في هذا النص انتشار وباء قاتل بتونس خلال سنة 1200هـ/1785م والواضح أن المكناسي يقصد "وباء الطاعون"، فهذا الوضع الصحي ليس بجديد عليها فقد ظهر بالإيالة بين سنتي (1012هـ/1604م) - (1116هـ/1705م)، وخلال هذه المدة الزمنية التي وصلت إلى القرن، هاجم هذا الطاعون سكان تونس وأدى إلى وفاة العديد منهم، وهو ما أدى إلى تراجع نموها الديمغرافي، وقد ربط هذا الوباء بالدرجة الأولى بتلك الأزمات الغذائية (المجاعات) التي ضربت العديد من المناطق التونسية طوال القرن 11هـ/17م⁽⁶⁾، وبالمقابل أيضا عرفت الجزائر خلال القرن 12هـ/18م انتشار أوبئة ومجاعات أزمت الأوضاع المعيشية للسكان خاصة بالأرياف⁽⁷⁾ لكن بالرغم من كل هذا لم تتأثر عملية التواصل التجاري بين الإيالتين⁽⁸⁾.

(1) / قاسم، مرجع سابق، ص-ص. 316-317 .

(2) / التميمي، دراسات في التاريخ العثماني المغربي...، مرجع سابق. 169 .

(3) / الواضح أن فيه بعض المبالغة في قيمة مطر الزيت، فهذا من منطلق ما أورده الأستاذ الصادق بوبكر: أن مطر الزيت يساوي وزنه 40 رطلا أي (20 كلغ)، للمزيد ينظر: بوبكر، مرجع سابق، ص. 7 .

(4) / قلة واحدة = 32 رطلا = 1 وية، للمزيد ينظر: محمد الكردي، مرجع سابق، ص. 160 .

(5) / للمزيد عن تجارة زيت الزيتون بتونس وكميات صادرا لها ينظر:

- Boubaker, op.cit, p-p. 116-119 .

(6) / Ibid, p-p. 49-56 .

(7) / سعيدون والبوعبدلي، مرجع سابق، ص-ص. 54-55 . وللمزيد عن المجاعات والأوبئة التي ضربت الجزائر في أواخر القرن 12هـ/18م ينظر: العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص. 25 وما بعدها .

(8) / Boubaker, op.cit, p-p. 57-58 .

النص الثاني:

"...وسافرنا منها (1) ثالث رجب من سنة اثنين ومائتين وألف، فكان مبيتنا بظاهر بلدة يقال لها تبرية (2) وصلناها على خمس ساعات...ومن الغد سافرنا فسرنا ست ساعات، ونزلنا بظاهر قرية يقال لها مجاز الباب (3)، مؤسسة على وادي يقال لها مجردة (4)...وعليه قنطرة في غاية الإتقان والإحسان...ومن الغد سافرنا من هذه البلدة فزلنا بظاهر قرية يقال لها تستر (5) على أربع ساعات...ومن الغد رحلنا منها فزلنا على قرية يقال لها تبرسق (6) على أربع ساعات...ومن الغد سافرنا منها فزلنا بموضع يقال له القنطرة (7)...وصلناهم على سبع ساعات، ومن الغد سافرنا فزلنا على بلدة يقال لها الكاف على مسيرة أربع ساعات...وهذه البلدة آخر عمل صاحب تونس وحد إفريقية (8)، ومن الغد سافرنا منها فسرنا ثمان ساعات ونزلنا على ماء يقال له الزرقاء (9) اسم عين هناك، وسافرنا من الغد سبع ساعات ونزلنا على عرب أهل بوس بموضع يقال له تفش (10)، ومن الغد سافرنا فسرنا ثمان ساعات، ونزلنا بموضع يقال له مرج كحيل (11) على عرب أهل خيام، ومنه لموضع يقال له مهيرز (12) وصلناه على سبع ساعات، ومنه نزلنا بظاهر قصمطينة (13) (كذا) على أربع ساعات..." (1)

(1)- // يقصد مدينة تونس .

(2)- // تبرية = طبرية: بلدة تونسية قديمة، شيدها الأندلسيون في بداية القرن 11هـ/17م، كانت تسمى قديما "ثوبوربو مينوس" "Thuburbo Minus"، تقع على بعد 21 ميلا غربي مدينة تونس، على ضفاف وادي مجردة، أراضيها خصبة⁽²⁾، تكثر بها الورشات الصغيرة لصناعة الشاشية التونسية⁽³⁾ .

(3)- // مجاز الباب: بلدة تونسية صغيرة، يشقها وادي مجردة، بينها وبين عاصمة الإيالة 36 ميلا، أعاد الموريسكيون ترميمها سنة 1019هـ/1611م⁽⁴⁾، يربطها بالجانب الآخر قنطرة كبيرة، أراضيها الزراعية خصبة⁽⁵⁾ .

(1) // المكتاسي، مصدر سابق، ص-ص. 326-328 .

(2) // بيسونال، مصدر سابق، ص-ص. 70-71 .

(3) // دونان، مصدر سابق، ص. 72 .

(4) // بيسونال، المصدر السابق، ص-ص. 98-100 .

(5) // دونان، المصدر السابق، ص. 72 .

- (4) // يقصد وادي مجردة أو "بقرداس قديما"⁽¹⁾ .

- (5) // تستر = تستور: سبق تعريفها .

- (6) // تبرسق سبق التعريف بها .

- (7) // القنطرة: المعلومات عن هذا القرية قليلة جدا، لكن الواضح أنها تقع بالقرب من مدينة الكاف .

- (8) // سبق وأن أشرنا إلى الصراعات الحدودية بين الجزائر وتونس، وموقع مدينة الكاف من كل هذا، بالإضافة إلى الحد الفاصل بين تونس والجزائر⁽²⁾ .

- (9) // الزرقاء: المعلومات عن هذا المكان الذي نزلت به القافلة شحيحة جدا، لكن حسب ما جاء في كلام المكناسي أنها اسم منطقة تنسب لعين موجودة بها، والواضح أنها تقع على الحدود بين الجزائر وتونس بعد مدينة الكاف .

- (10) // تفش = تيفاش: بلدة قديمة ببلاد إفريقية⁽³⁾، أراضيها خصبة، من أهم منتوجاتها الزراعية القمح والشعير⁽⁴⁾ قال عنها البكري: "...مدينة أولية شامخة البناء وتسمى تيفاش الظالمة وفيها عيون ومزارع كثيرة..."⁽⁵⁾ .

- (11) - (12) // المعلومات عن قريتي مرج كحيل ومهيرز شحيحة لكن من كلام المكناسي يفهم أنهما قريبتين من قسنطينة .

- (13) // قصمطينة: يقصد قسنطينة وقد سبق تعريفها .

النص الثالث:

"...وهي أن قسطنطينة (1) مؤسسة على ربوة...وهي مدينة متوسطة يسقفون أسطحها بيوتها بالقرمود، ولعله من أجل الثلج فهي شديدة البرد، وعليها وارد كثير وعمارة زائدة، فلا يكاد الإنسان أن يمشي في داخلها إلا

(1) // يطلق عليه سابقا اسم "بقرداس"، للمزيد ينظر، بيسونال، مصدر سابق، ص. 93 .

(2) // عن الصراعات الحدودية والعسكرية وتاريخ رسم الحدود بين الإيالتين يرجى العودة للصفحتين 16-17 .

(3) // الحميري، مصدر سابق، ص. 146 .

(4) // ابن حوقل، مصدر سابق، ص. 87 .

(5) // البكري، مصدر سابق، ص. 53 . وكذلك ينظر: الحموي، مصدر سابق، ص-ص. 66-67 .

بمشقة من كثرة الإزدحام، ويمر السوق خارج بابها في سائر الأيام ما رأيت بلدة أكثر واردا منها، وهي منبع البغال فمنها تفرق في البلاد، فلو ترى ما يدخل منها إلى السوق في كل يوم لتقضيت العجب، يأتي العرب بها أي بالبغال يسوقونها كأنها القطيع من البقر، وبها رخاء كثير ومن الأشياء موجودة إلا أنها إلى البادية أقرب (2)، وهي من عمل صاحب الجزائر وبها خليفته ويسمونه باي الشرق (3)، فأقمنا بها نحو سبعة أيام تقضينا فيها ضرورياتنا (4) وسافرنا منها إلى الجزائر فوصلناها على أحد عشر يوما (5)...⁽¹⁾.

- (1) // يقصد قسنطينة .

- (2) // يورد لنا المكناسي وصفا لمدينة قسنطينة والتي يتحدث عن كيفية تشييدها وشكل عمرانها وسكانها، بالإضافة إلى ما يميز أحيائها وشوارعها، أما عن أسواقها فقال عنها بأنها عامرة وأسعارها رخيصة، والمؤكد في هذا المظهر الاقتصادي وجود العديد منها وكان أهمها على الإطلاق "سوق الجمعة" الذي أصبح بمثابة أشهر سوق في هذه المدينة خاصة في عهد صالح باي⁽²⁾، والذي كانت مختلف السلع والبضائع تتوافد عليه من جميع المناطق خاصة عن طريق القوافل التجارية، كما أورد في حديثه أن أغلبها -البضائع- تجلب إليها عن طريق البغال، وهو ما يؤكد أكثر أنها لم تكن فقط عاصمة سياسية لبابلك الشرق، بل تعدت ذلك لتحمل صفة عاصمة إقتصادية للشرق الجزائري، وعلى هذا الأساس كانت تمثل ركيزة المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس .

- (3) // إذا ما أسقطنا تواريخ حكم البايات الذين تداولوا على حكم قسنطينة وتاريخ وصول المكناسي إليها سنة (1200هـ/1785م)، فمن المؤكد أنه يقصد "صالح باي"، والذي حكمها بين سنتي (1184-1206هـ) // (1771-1792م)⁽³⁾ .

- (4) // يورد لنا المكناسي أنه أقام مدة سبعة أيام بقسنطينة بهدف قضاء حاجاته، وهنا السؤال الذي يطرح: هل مكوثه فيها لهذه المدة كانت لأهداف معينة؟. المؤكد من خلال وصفه لأسواقها العامرة كان هدف مكوثه فيها هو التزود بما يلزم القافلة من زاد وتبديل رواحل القافلة أو شراء أخرى لإكمال رحلة عودته إلى المغرب،

(1) // المكناسي، مصدر سابق، ص-ص. 329-330 .

(2) // للمزيد عن "مجمع سوق الجمعة بقسنطينة" ينظر: فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص-ص. 72-76 .

(3) // عن صالح باي قسنطينة ينظر: أوجين فايسيت، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792م-1873م)، تر: صالح نور، قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص. 23 وما بعدها .

ومن منطلق مروره ببعض المناطق التونسية وإقامته فيها لعدة أيام، فإن احتمال جلب قافلته لسلع وبضائع
تونسية جد وارد خاصة وأن ما ركز عليه في كلامه ووصفه لقسنطينة هو مظهر أسواقها العامرة .

- (5) / حدد لنا المكناسي مدة السفر بين قسنطينة ومدينة الجزائر والمقدرة ب 12 يوما .

النص (الرابع):

"...وقد مررنا في بلاد في هذه المسافة يقال لها البيبان (1) ما رأيت أصعب ولا أمتع منها...وأهل هذه البلاد
إباء لا ينقادون إلى الباي أي الحاكم، بل ربما قبضوا منه عند إرادته المرور إلى الجزائر في بعض الأعوام فصار
ذلك عادة لازمة، وكذا القفل والمسافرون لا يقدمون على المسير في هذه البلاد إلا مع رفقة كثيرة، ويرصد
الناس ما يبعث باي قسنطينة من الخراج عند كل ثلاثة أشهر، فيبعث معه العسكر فيمر الناس معهم، وقد اتفق
أن مررنا مع هذا العسكر (2)... (1)".

- (1) / يقصد بها برج بوعريريج حاليا .

- (2) / يحدثنا المكناسي في هذا النص أن الطريق بين قسنطينة والجزائر غير آمنة، وهذا بسبب ما تمارسه بعض
القبائل المنتشرة على طول هذا الطريق من صعلكة لمختلف القوافل التي تمر بها، وأورد أيضا أن ماتنتظره في
الأساس هي تلك القوافل الرسمية التي تحمل ما يسمى بـ "دنوش بايلك الشرق"، وشرط مرورها هو دفع ضريبة
لهذه القبائل، وكثيرا ما يتم الإستعانة ببعض العسكر لتأمينها⁽²⁾، وأوضح لنا كيفية مرور قافلته على هذه المنطقة
والمتمثلة - حسب قوله - في الإندساس ضمن قافلة الدنوش .

النص (الخامس):

"...ولما وصلنا إلى الجزائر (1) خيمنا بظاهرها ولم ندخل إليها، وقد وجدنا فيها الوباء نعوذ بالله، وقد كان
قبل وصولنا إليها قويا، فكان يموت كل يوم على ما حكى لنا نحو الثلاثمائة، وقد خف أمره لما كنا هنالك

(1) / المكناسي، مصدر سابق، ص-ص. 329-330 .

(2) / للمزيد عن كيفية تأمين دنوش بايلك الشرق ينظر: يمينة سعودي، الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، رسالة ماجستير، إشراف:
الربيعي بن سلامة، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص-ص. 47-50 .

فكان يموت في اليوم نحو عشرة... وقد وجدنا بهذه المدينة وأعمالها الطاعون ومات به خلق كثير (2)، ثم سافرنا منها فوصلنا تلمسان (3) على اثني عشر يوماً...⁽¹⁾ .

(1) // الجزائر: مدينة ساحلية كبيرة، كانت تسمى "جزائر بني مزغنة"، عاصمة إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، تقع في الطريق بين إفريقية والمغرب، بينها وبين بجاية أربعة أيام⁽²⁾، بها أسواق عامرة، وموانئ ومراسي هامة⁽³⁾، يتصل بها عدة سهول أهمها: سهل متيجة⁽⁴⁾ .

(2) // يورد لنا المكناسي في هذا النص بأنه وصل إلى مدينة الجزائر ولم يتزل بها، بل بقي على تخومها، لكن لماذا؟ من المؤكد أن السبب يعود أساساً إلى انتشار وباء خطير هلك جراءه العديد من سكانها والواضح أنه من الأوبئة الفتاكة⁽⁵⁾، فقد شكل الطاعون أخطر هذه الأمراض خلال العهد العثماني وأثر كثيراً على الوضع الصحي للسكان والتي ارتبطت بدورها بعوامل أخرى أهمها الزلازل والفيضانات والجفاف واحتياح الجراد للأراضي الزراعية، فعرفت ظهور العديد من الأوبئة الفتاكة خاصة الطاعون خلال القرنين (11-12هـ/17-18م) أهمها سنوات (1010هـ/1601م)، (1026هـ/1617م)، (1141هـ/1728م)، (1162هـ/1749م)، (1200هـ/1785م)، (1207هـ/1793م)⁽⁶⁾، وما يمكن ملاحظته عن هذه الأمراض هو تكرارها تقريباً كل 10 سنوات، والمؤكد أن المكناسي في هذا النص يتحدث عن الوباء الذي ضرب مدينة الجزائر خلال سنة 1200هـ/1785م والذي أتى على أكثر من عشرين ألف نسمة من سكانها⁽⁷⁾، وإذا ما قارنا هذا الوضع الاجتماعي الذي عاشته الجزائر خلال القرن 12هـ/18م مع إيالة تونس فتحتماً سنخلص إلى تشابه في أوضاعهما الصحية⁽⁸⁾، فهل كل هذا سيؤثر على العلاقات التجارية بين الإيالتين؟، أكد الأستاذ سعيدوني أن من أسباب

(1) // المكناسي، مصدر سابق، ص. 330 .

(2) // الحموي، مصدر سابق، ص. 132 .

(3) // ابن حوقل، مصدر سابق، ص-ص. 77-78 .

(4) // الحميري، مصدر سابق، ص. 163 . وكذلك: مجهول، مصدر سابق، ص. 132 .

(5) // للمزيد عن تاريخ الأوبئة بالجزائر ينظر: سمية مزدور، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، رسالة ماجستير، إشراف: محمد الأمين بلغيث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص. 21 وما بعدها .

(6) // عبد الله بن محمد الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)**، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 2006، ص-ص. 141-142 . وكذلك ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء**

العهد العثماني، **المجلة التاريخية المغربية**، (39-40) (1985)، ص-ص. 431-445 .

(7) // سعيدوني، **ورقات جزائرية**...، مرجع سابق، ص-ص. 359-360 .

(8) // مروش، مرجع سابق، ص-ص. 135-152 .

ظهور هذه الأوبئة بتونس والجزائر خلال العهد العثماني هي: "توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من أقطار الشرق الأوسط إلى الموانئ الجزائرية"⁽¹⁾، وهو ما يؤكد أن للتواصل التجاري بين تونس والجزائر دور هام في انتقال هذه الأوبئة، وأن سبب كل هذه الأوبئة في الإيالتين راجع إلى تردي أوضاعهما الإقتصادية خاصة في المجال الزراعي، والذي انعكس سلبا على المجالات الأخرى، وهذا ما يعلل أكثر تراجع مظاهر الحركة التجارية بين الإيالتين .

- (3) // تلمسان: مدينة كبيرة قديمة⁽²⁾، تقع أقصى غرب إيالة الجزائر مع المغرب الأقصى، كانت عاصمة للعديد من الدويلات والممالك السابقة أهمها الدولة الزيانية (632-958هـ) // (1235-1554م)⁽³⁾، بها أراضي زراعية خصبة، كثيرة البساتين والفواكه⁽⁴⁾، بينها وبين تاهرت أربع مراحل⁽⁵⁾، أكسبها موقعها الجغرافي مكانة مكانة اقتصادية هامة وجعل منها محطة بارزة لكل القوافل التجارية والحجيجة القادمة من مدن شمال المغرب الأقصى⁽⁶⁾ .

من خلال ما أوردته من تحليل للنصوص التي جاءت في رحلة إياب المكناسي من المشرق انطلاقا من تونس مرورا بالجزائر وصولا إلى المغرب الأقصى، أمكنني أن أستخلص الطريق الذي سلكته هذه القافلة ويكون على النحو التالي:

- تونس - تربة (طبرية) - تستر (تستور) - تيرسق - القنطرة - الزرقاء - تفش (تيفاش) - مرج كحيل - مهبيرز - قسنطينة - البيبان - الجزائر - تلمسان .

(1) // سعيدوي، الأحوال الصحية...، مرجع سابق، ص. 432 .

(2) // القزويني، مصدر سابق، ص. 172 .

(3) // مجهول، مصدر سابق، ص. 176 .

وللمزيد عن الدولة الزيانية ينظر: ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001.

(4) // الحميري، مصدر سابق، ص. 135 .

(5) // أبو الفداء، مصدر سابق، ص. 137 .

(6) // مارمول، مصدر سابق، ج2، ص-ص. 302-298 .

4-1/ محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القاور بن محمد بن ناصر الراشدي الجليلي الجزائري، صاحب كتاب
"رحلة أبو راس الجزائري":

محمد أبو راس بن ناصر الراشدي الجليلي الجزائري⁽¹⁾، ولد بإحدى نواحي معسكر سنة 1165هـ/1751م⁽²⁾، عاش في صغره حياة قاسية لكنه استطاع أن يأخذ بذور تعليمه الأولى بالمغرب الأقصى ثم بمسقط رأسه، اشتغل بمهنة التدريس فأصبح في وقت قصير من أنشط وأشهر علماء الجزائر في عصره⁽³⁾، بعد سن الخمسين بدأ رحلاته فزار من خلالها أغلب بلدان بلاد المغرب والتقى خلالها العديد من العلماء والمشايخ فأخذ عنهم الكثير منهم: القاضي محمد بن جعدون والفقير الخطيب محمد بن الحفاف والعالم الفاضل الشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي (ت1219هـ/1804م) و محمد بن المحجوب التونسي (ت1243هـ/1827م) والأديب إبراهيم الرياحي (ت1266هـ/1850م)⁽⁴⁾، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 1204هـ/1789م وقام بتدوين ماشاهده وصادفه من أحداث ومجالس شيوخ و عنونها ب "فتح الإله ومنتته في التبحر بفضل ربي ونعمته"، وله مؤلفات أخرى كثيرة تجاوزت المائة منها: "عجائب الأسفار" و "الحلل السنرسية"⁽⁵⁾، توفي أبو راس الجزائري ودفن بمسقط رأسه سنة 1238هـ/1823م⁽⁶⁾.

4-2/ كتاب "فتح الإله ومنتته في التبحر بفضل ربي ونعمته":

يعتبر كتاب "فتح الإله ومنتته في التبحر بفضل ربي ونعمته" من أهم مؤلفات صاحبه أبو راس الجزائري والتي صنفت ضمن الرحلات الحجازية⁽⁷⁾، قسمها إلى خمسة أبواب فالأول منه خصص لصغره وحالته الأسرية وتعليمه، والثاني خصه لشيوخه والعلماء الذين التقى بهم في المغرب الأقصى والجزائر وتونس ومصر والحجاز والشام، أما الباب الثالث فكان لرحلته بالمشرق والخامس خصه للأسئلة والأجوبة التي طرحت

(1) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأنياب ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات، ج1، اعتناء: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص، 150، وكذلك: النازي، مرجع سابق، ص. 455.

(2) للمزيد ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، مرجع سابق، ص-ص. 377-379.

(3) كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص. 768.

(4) أبو راس الجزائري، مصدر سابق، ص-ص. 95-110، وكذلك عبد الحق زربوخ، «أبو راس الناصري الجزائري ومؤلفاته»، مجلة التراث العربي، دمشق، 98(2005)، ص-ص. 230-238.

(5) للمزيد أكثر يراجع: أبو راس الجزائري، مصدر سابق، ص-ص. 5-6، وكذلك: سعد الله، أبحاث وآراء...، مرجع سابق، ص-ص. 185-186.

(6) الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص. 168، وكذلك: النويهض، مرجع سابق، ص-ص. 306-307.

(7) للمزيد ينظر: كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص. 769.

عليه أثناء تنقلاته، وفي الباب الخامس والأخير ذكر فيه مؤلفاته مرتبة، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أنه وجد نسختين لمخطوطه بالمغرب الأقصى⁽¹⁾، وأسلوب تأليف هذه الرحلة فيعود إلى تأثر أبو راس بأسلوب عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ/1505م)⁽²⁾ من خلال ما عاشه في صغره من فقر وحرمان مثله، وتدوين هذا الكتاب جاء في الأيام الأخيرة من حياته⁽³⁾، ومهما يكن من شيء فإنه يعتبر مصدر هام لدراسة تاريخ بلاد المغرب خاصة الإطار السياسي منها، لكن هل قدم لنا هذا الرحالة في رحلته هذه مادة خبرية توحى بوجود نشاط تجاري بين الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م؟. من منطلق أن هذا الكتاب مصنف ضمن خانة الرحلات الحجازية وانطلاقة رحلته سنة (1204هـ/1789م) من الجزائر مرورا بتونس، فالأكيد أنها تحتوي على إشارات وروايات ذات صبغة تجارية تبرز البعض من هذا النشاط الإقتصادي .

والآن سأعرض وأناقش ما جاءت به النصوص الواردة في الرحلة تؤكد وجود حركية تجارية بين الجزائر وتونس :

النص الأول:

"...وإني ليلة جمعة نائم وكأني في سوق، فلقيني رجل أزرق في عباءة و"برنوص" وأحسب أن على رأسه "شاشية" دوم، وفي يديه قفة دوم، فيها عنقودان متاع العنب، أحدهما حلو، والآخر حامض..."⁽⁴⁾ .

الرواية تتضمن بين دفتيها إحدى السلع التي اشتهرت صناعاتها في الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م، وهي " البرنوص " و" الشاشية"، والتي تعتبر من الصناعات النسيجية الصوفية التقليدية، فتطورت صناعاتها خاصة بعد مجيء الأندلسيين، وعرفت تجارتها رواجاً كبيراً فكانت تدخل ضمن أهم السلع المتبادلة بين الإيالتين، وفي هذا الإطار انتشرت عدة ورشات بالجزائر لصناعة البرانيس وأشهرها برانس زمورة ومعسكر،

(1) ينظر : أبوراس الجزائري، مصدر سابق، ص. 7، وكذلك : سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، مرجع سابق، ج2، ص. 380 .

(2) عبد الرحمن السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن المهام الجلال الأسيوطي الأصل الشافعي، من خيرة العلماء الأفاضل المجتهدين بمصر ومن المصنفين المكثرين، للمزيد ينظر : جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1967، ص-ص. 335-336، وكذلك، محمد سالم محيسن، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، مج 2، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص-ص. 124-124 .

(3) أبو راس الجزائري، مصدر سابق، ص. 6 .

(4) نفسه، ص. 21 .

نفس الشيء عرفته الشاشية بالجزائر، لكن مع بداية النصف الثاني للقرن الثامن عشر تراجع صناعيتها وتجارقتها وهذا مقارنة بالشاشية التونسية⁽¹⁾.

النص الثاني:

"...ولما ظهرت بي علامات النفع للطلبة تنافس الأشياخ في أخذني، لتدريس أولادهم، فأثرت شيخنا الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، فذهبت لـ "قيطنة" وقد اجتمعت جموع من الطلبة... وصار الشيخ يعظمي - على صغري - وأعطاني القمح والشعير والدرهم والسمن والزيت والكباش. فجزاه الله خيرا..."⁽²⁾.

في هذا النص إشارة إلى بعض ما اشتهرت به الجزائر من منتوجات زراعية وهي: القمح، الشعير، والزيت، والتي كانت بمثابة محاصيل ذات طابع تجاري، ومن منطلق أن المساحات الزراعية المستغلة خلال العهد العثماني كانت تمد الدولة بإنتاج ضخم من هذه المحاصيل فإن جزء منه يوجه للإستهلاك المحلي وإن حصل اكتفاء ذاتي فيها فالمؤكد هو توجيه الجزء الآخر للتصدير، فمثلا خلال سنة 1708/1120هـ م سمح الإنتاج الوفير للحبوب خاصة القمح بتصدير أكثر من 150 ألف شحنة من مختلف موانئ الإيالة⁽³⁾، فحتمًا جزءا منها كان يصدر إلى تونس، وبالمقابل وردت في النص ثروة حيوانية هامة كانت الجزائر تتوفر عليها خلال العهد العثماني وهي: الكباش، والتي كان يستخلص منها كميات وافرة من الصوف والجلود وبدورها تستعمل في بعض المنسوجات أهمها البرانس والخيام⁽⁴⁾، وقد كان يصدر جزء منها نحو أوروبا وبلدان المغرب العربي، ومن المؤكد أن عائداتها المالية كبيرة، فهي إذن بمثابة تجارة مربحة.

النص الثالث:

"...وفي آخر القرن (الثاني عشر) أكثرت من تدريس "الألفية" بشرح "البهجة المرضية" وغيرها، وفي سنة أربع ومائتين وألف ذهبت إلى الحج فقامت لي علماء المشرق على ساق..."⁽⁵⁾.

(1) // سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص-ص. 69-70.

(2) // أبو راس الجزائري، مصدر سابق، ص. 24.

(3) // سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص-ص. 56-59.

(4) // نفسه، ص-ص. 60-61.

(5) // أبو راس الجزائري، المصدر السابق، ص. 24.

يحدثنا أبوراس الجزائري عن تاريخ رحلته إلى المشرق لأداء فريضة الحج وقال أنها كانت سنة 1204هـ/1789م .

النص (الرابع):

"... ثم عممتنا فتنة "دردقاوة" (1)... مع ما دهمنا من الطاعون، الذي تهرب منه الواعون، فاتصلت علينا صراصر النكبات والبلبات من الخوف والجوع والروع، الذي في الفؤاد مودوع (2)... (1) .

(1)- // فتنة دردقاوة: الواضح أنه يقصد ثورة محمد بن عبد الله الدرقاوي المدعو "ابن الأحرش" والتي كانت سنة 1219هـ/1804م بالشرق الجزائري ضد نظام حكم عثمان باي "حاكم بايلك الشرق" (2)، والتي كانت نتيجتها تردي الأوضاع الاقتصادية فظهرت المجاعات "... حتى صاروا يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك مما لا يباح اقتياته..." (3) وزادت أسعار الحبوب والتي كانت الغذاء الأول للسكان "... فيبيع الصاع الواحد من البر وقتئذ بخمسة عشر أريالة سكة الوقت، والصاع من الشعير بسبعة أريالة..." (4)، كل هذه الأوضاع حتما أثرت كثيرا على التجارة الداخلية والخارجية للجزائر .

(2)- // يقصد به وباء الطاعون واحتياح الجراد للجزائر لسنوات عديدة خلال القرنين (11-12هـ/17-18م) وقد سبق الإشارة إليه وإلى نتائجه ضمن نصوص المكناسي (النص السادس) وقد تمت مناقشته .

النص (الخامس):

"... ولما أردت تجديد تبيضها وترميمها وتقييضها، ذكرت ذلك للباي... السيد محمد بن عثمان (5)... فبعث لي مع ساقيه مائة ريال بوجوهها (1)، قامت أوفى إقامة بترميمها وتبيضها، وذلك قبل أن أحج عنه - رحمه الله! - ولما أبت من الحج سنة سبع وعشرين أعطاني مائة محبوب (2)، جعله الله - يوم القيامة - مقربا محبوبا..." (6) .

(1) // أبوراس الجزائري، مصدر سابق، ص. 24 .

(2) // للمزيد عن فتنة دردقاوة وثورة ابن الأحرش، ينظر: سعيدوني، ورفقات جزائرية...، مرجع سابق، ص. 263 وما بعدها .

(3) // العنتري، مجاعات قسنطينة...، مصدر سابق، ص. 34 .

(4) // نفسه، ص. 34 .

(5) // يقصد به الباي محمد بن عثمان الكردي الملقب بمحمد الكبير حاكم بايلك الغرب (1779م-1797م) .

(6) // أبوراس الجزائري، المصدر السابق، ص-ص. 75-76 .

- (1) // ريال بوجو: عملة نقدية فضية، سكنت في الجزائر خلال العهد العثماني، ويسمى أيضا "ريال صغير الضرب" تراوح وزنه بين 8.2 غ و 10.2 غ، له أجزاء أهمها ربع ريال بوجو، ثم ريال بوجو⁽¹⁾.

- (2) // المحبوب: عملة عثمانية كانت تضرب في القسطنطينية والواحد منها يسمى "محبوب سليمي إسلامبولي"، كانت في بدايتها سالمة من الغش في صنعها، لكن بعد ذلك أنقص من معيارها فسميت "زر محبوب"⁽²⁾، وفي أواخر العهد العثماني أصبحت من العملات المتداولة في الأسواق الجزائرية، ولها أجزاء أهمها نصف المحبوب والذي كان مفقودا بالإيالة⁽³⁾.

(النص (الساوس):

"...ولقيت العلامة الأمين مفتي الجزائر وخطيبها السيد الحاج علي ابن الأمير، فوجدته يدرس في خطبة الامام خليل، وقد ذكر فيها لواء الحمد، فقال: قضيه من "زمردة خضراء"، ففهم أنه من نوع "العقيق"، فقلت: أيها السيد؟! ليس الأمر كما عبرت، وإنما المراد به "الزبرجد"، لأن الأخضر من "الياقوت". يقال له: "زبرجد"، والأحمر يقال له: "البرهان"، والأبيض يقال له: "النميط"، لأن أمور الآخرة أجمل من نفائس الدنيا، من ياقوت وجوهر، وذهب وفضة، وسندس..."⁽⁴⁾.

في هذه الرواية يورد لنا أبوراس حضوره لدرس حول لواء الحمد لمفتي الجزائر الإمام علي بن الأمير، فورد فيها بعض من أنواع الأحجار الكريمة منها: ("العقيق"، "الزبرجد"، "الياقوت"، "النميط" و"البرهان") - كما جاء في النص - فهي من المعادن النفيسة والغالية الثمن والسؤال المطروح: هل معرفة أهل الجزائر لهذه الأحجار الكريمة للدليل على وجودها ضمن ممتلكاتهم؟ من المؤكد أن هذه المعادن الغالية تجلب من المشرق في مواسم الحج أو من بلاد السودان من طرف القوافل خاصة ذات الطابع التجاري منها، فرغم ثمنها الغالي، إلا

(1) // للمزيد أكثر عن هذه العملة ينظر: يمينة درياس، مرجع سابق، ص-ص. 244-245 . وكذلك ينظر: مروش، مرجع سابق، ص-ص.

60-57 . وأيضا: سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص. 205 .

(2) // الشرباصي، مرجع سابق، ص. 407 .

(3) // سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص-ص. 200-204 .

(4) // أبوراس الجزائري، مصدر سابق، ص. 92 .

أن أغنيائها كانوا يقتنونها كسلعة بهدف بيعها في أسواق بلاد المغرب، فمن المرجح أن تجارها مربحة جدا، وهذا دليل كبير على الغنى والرفاهية المالية التي كان يتمتع بها بعض سكان بلاد المغرب خاصة تجار الذهب⁽¹⁾.

النص السابع:

"... ثم ذهبت إلى تونس أم البلاد، ومثوى الطارق والتلاد، هي التي على عمل أهلها في القدم بهذا الإقليم كان العمل، والمصر الذي له في خطة المعمور الناقة والحمل، يقضي منها نفثه العاكف والبادي، والرائح والغادي..."⁽²⁾.

هذا النص يتوافق مع النص الثالث والثلاثون من نصوص الورتيلاني وكذلك النص الثاني من نصوص المكناسي والذي يظهر فيه أبوراس الجزائري وصفا لتونس وقد تمت مناقشة ذلك سابقا .

النص الثامن:

"... ثم ركب البحر إلى مصر، البلد الذي ليس لعمر ولا لزيد، والفرا الذي في جوفه، كل الصيد..."⁽³⁾.

يورد لنا المؤلف في هذا النص انتقاله من تونس إلى مصر عبر البحر وهو ما يؤكد أن تونس كانت إحدى محطاته نحو المشرق لأداء فريضة الحج .

النص التاسع:

"... وسئلت بمجلس علماء الجزائر بالجامع الأعظم المعتاد، يوم الخميس، وذلك سنة أربعة عشرة ومائتين وألف، عن " القهوة " و " الدخان " وعما يسف منه أو يشم، فأجبت: ذكر الشيخ علي الأجهوري عن الخطاب أن الشراب المتخذ من قشور " البن " المسمى ب " القهوة "، اختلف الناس فيه، فمنهم متغال في الحال يرى أن ذلك قرية ومنهم متغال في التحريم، يراها كالخمر، والحق أنه في ذاته لا إسكار فيه، وإنما في

(1) // للمزيد عن تجارة الذهب ببلاد المغرب ينظر: بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988، ص. 328 وما بعدها .

(2) // نفسه، ص. 108 .

(3) // أبوراس الجزائري، مصدر سابق، ص. 115 .

تنشيط للنفس، ويحصل من مداومته ضرورة تؤثر في البدن عند تركه، كاعتیاد أكل اللحم بالزعفران... ومنها أن بعض بائعيها يخلطها بشئ من المفسدات على ما قيل...⁽¹⁾.

يعالج أبوراس الجزائري في هذا النص مسألة فقهية تتمثل في حكم شرب القهوة وتدخين الدخان وأحكامها من الناحية الشرعية فقال بأن حكمهما مختلف في العلماء، لكن ما مصدر هذه السلع التي ظهرت بالجزائر؟ من المؤكد أنها سلع مشرقية (هندية خاصة) أو سودانية جلبتها مختلف القوافل التجارية عبر ما يسمى بالتجارة الصحراوية⁽²⁾.

النص العاشر:

"...والبن أصله في بلاد "زيلغ" و "الجبشة"، ثم ظهر باليمن أواخر القرن التاسع، ثم انتشر، قال الشيخ إبراهيم بن جمعان: " إذا كان البن في بلد، ذهب منه الجان المختطف للأولاد... وأما الدخان وسفه وشمه... وذلك أن أهل السودان قدموا لمراكش على السلطان أحمد الذهبي بالزرافة والفيل، فجالسوا الناس، فتعاطوا منهم الشرب والشم، ففشى ذلك وانتشر كما هو شأن البع الخبيثة..."⁽³⁾.

محتوى هذا النص يؤكد ما جاء في النص العاشر من نصوص أبوراس الجزائري أن كل من البن و الدخان هي إحدى السلع المحلوبة من المشرق وبلاد السودان وقد تمت مناقشة ذلك سابقا .

5-1/ أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياتي، صاحب "الرحلة الزياتية":

ولد أبو القاسم الزياتي بمدينة فاس⁽⁴⁾ عام 1147هـ/1734م⁽⁵⁾، من قبيلة "زيان"⁽⁶⁾، نشأ بفاس وتعلم

(1) أبوراس الجزائري، مصدر سابق، ص-ص. 159-160.

(2) للمزيد عن التجارة الصحراوية ينظر: صباح إبراهيم الشخلي، «النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري»، *تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر*، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص-ص. 46-29.

(3) أبوراس، المصدر السابق، ص. 160.

(4) إحدى حواضر المغرب الأقصى تشتهر تاريخيا بأنها إحدى أهم المراكز التجارية، ينظر: مورييس شربل، مرجع سابق، ص. 402، وكذلك: الزهري، مصدر سابق، ص. 162.

(5) أبو القاسم الزياتي، مصدر سابق، ص. 12.

(6) أبو القاسم الزياتي، *تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب*، تح: رشيد الزاوية، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008، ص. 19.

بالقرويين على يد كبار علمائها وفقهائها⁽¹⁾، وقد كان من نوابغ طلابها وأنبه رجالها وعلمائها، وقد حج الزياني مع والده، وبعد عودته من الديار المقدسة دخل في خدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي عينه كاتباً بالقصر الملكي بفاس، ولقد لعب هذا الأخير دور كبير في حياة أبو القاسم الزياني⁽²⁾، سافر مع أسرته إلى الحجاز سنة 1169هـ/1755م⁽³⁾، بعدها عاد إلى المغرب سنة 1171هـ/1758م، تقلد مناصب سياسية وإدارية في البلاط الأميري فتولى الكتابة والسفارة والوزارة والقيادة فلقب بذي الوزارتين⁽⁴⁾، ألف العديد من المؤلفات وتفقه على يد العديد من الشيوخ الكبار منهم الفقيه أحمد بن الطاهر الشرقي و أبو حفص سيدي عمر الفاسي وكذلك الشيخ التاودي وآخرين⁽⁵⁾، أما رحلته الثانية فكانت في إطار مهمة دبلوماسية لإستانبول في سنة 1200هـ/1786م، و مكث بها أكثر من ثلاثة أشهر، ثم عاد إلى المغرب الأقصى ماراً بتونس والجزائر، بعد عودته عرف المغرب الأقصى دوامة مشاكل داخلية أدت إلى فقدانه كل ما يملك، بعدها توفي الزياني سنة 1249هـ/1833م وخلال هذه المسيرة الطويلة لهذا الكاتب والرحالة خلف العديد من المؤلفات منها "الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمور برابرا وبحرا...." وكذلك "الترجمان المعرب عن وول (المشرق والمغرب)"⁽⁶⁾.

5- 2 / كتاب الرحلة الزيانية والموسومة بـ "الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمور برابرا وبحرا...":

يعتبر هذا المصدر التاريخي الهام، من أهم ما جاء به أبو القاسم الزياني، والذي انتهى من تأليفه سنة 1233هـ/1818م⁽⁷⁾ وقد بلغ حينها من العمر 86 سنة، وجاء فيها وصفه لما شاهده أثناء رحلاته الثلاثة خاصة رحلته إلى استانبول سنة 1200هـ/1786م⁽⁸⁾، وقد ورد في الموسوعة المغربية ليعبد الله أن نسخا منها موزعة كمايلي: "نسخة من مخطوطها موجود بالخزانة الملكية بالرباط برقم 4262/9523/3252/287 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط (د 659) وأخرى موجودة بخزانة جامعة القرويين (د 658) وأخرى بخط المؤلف في

(1)/ الزياني، الترجمة الكبرى...، مصدر سابق، ص. 58 .

(2)/ أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة مولاي علي الشريف، تح: رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، المغرب، 1991، ص. 9 .

(3)/ الزياني، الترجمة...، المصدر السابق، ص. 58 .

(4)/ أسية الهاشمي البلغيثي، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريف، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996، ص. 32، وكذلك: الزياني، الترجمة...، المصدر السابق، ص. 60 .

(5)/ الزياني، الترجمة...، المصدر السابق، ص-ص. 56-58 .

(6)/ للمزيد أكثر يراجع: بلحميسي، مرجع سابق، ص-ص. 20-22 .

(7)/ الزياني، الترجمة...، المصدر السابق، ص. 4، (و ينظر كذلك: مقدمة تحقيق الأستاذ فيلاي).

(8)/ كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص. 771 .

مجلدين توجد بمعهد الأبحاث الإسلامية بباكستان⁽¹⁾، وقد قام بتحقيقها وعلق عليها الأستاذ عبد الكريم الفيلاي سنة 1387هـ/1967م وهي الطبعة الأولى، أما الثانية منها فصدرت عن دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع سنة 1411هـ/1991م⁽²⁾، ومن منطلق ما جاء به متن رحلة الزباني حول تاريخ بلاد المغرب والمشرق، ومن خلال الطريق الذي سلكه في مرحلتي الذهاب والعودة من المشرق والذي كانت الجزائر وتونس أحد مراحلها، فإنه من المرجح أن تحتوي هذه الرحلة على إيجاعات وروايات مختلفة حول وجود تواصل تجاري بين الإيالتين خلال عصر هذا الرحالة، وهو المطلوب مني في هذه الدراسة والتي سأحاول استنتاجها واستخراج مظاهر الحركية التجارية بينهما خلال القرن 12هـ/18م

أما نصوص رحلة الزباني وإشاراتها المتعلقة بالتجارة بين الإيالتين فسأناقشها على النحو التالي:

النص الأول:

"...وعلى سمت الجزائر بأرض الصحراء مدينة ورغلة (1)، مدينة أزلية لها سبعة أبواب، ولها سور حصين ومحيط به خندق ممتلىء بالماء خلف سورها... وبالقرب منها في غربيها مدينة بسكرة من حساب عمالة الجزائر (2)، وهي من أحسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين التل والصحراء..."⁽³⁾.

(1) - ورغلة = ورقلة: مدينة صحراوية قديمة، تقع في الجنوب الشرقي لإيالة الجزائر، يشتهر أهلها بالجوهر والكرم وحسن الضيافة⁽⁴⁾، كثيرة النخل والتمور، كانت مركز تجاري هام يتم فيها بيع وشراء وتبادل السلع والبضائع القادمة من الشمال خاصة المجلوبة إليها من طرف تجار قسنطينة وتونس وبلاد السودان⁽⁵⁾، مما أهلها بأن تكون محطة تجارية هامة لمختلف القوافل التجارية خاصة بينها وبين غدامس الليبية⁽⁶⁾.

(2) // يقصد إيالة الجزائر .

(1) // ينظر : عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج3، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976، ص-ص، 52-53 .

(2) // للمزيد ينظر : مقدمة تحقيق الترجمة الكبرى للزباني .

(3) // الزباني، الترجمة...، مصدر سابق، ص. 149 .

(4) // العياشي، مصدر سابق، ص-ص. 114-173 .

(5) // مارمول، مصدر سابق، ص-ص. 166-167 .

(6) // الزبيري، مرجع سابق، ص-ص. 157-158 .

النص الثاني:

"...ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا، فنزلت خارجها وبنيت مضاربي ووجهت من حاشيتي من يأتيني باللوازم من لحم وحطب وعلف دواب، فما رجعت إلا وأنا مصاب بالحمى، فأيقضني للعشاء فلم أقدر، ولما أصبح رأيت المحل الذي أصبت فيه متورما فعالجته بما عرفت، فأقام ثلاث أيام وانفجر، وصرت أعالجه بالمراهم إلى أن حصلت على الراحة..."⁽¹⁾.

يحدثنا المؤلف في هذا النص حول انتشار وباء بمدينة الجزائر سنة 1206هـ/1792م، والذي كما قال هلك جراهه العديد من سكانها، وهذا النص في معناه يتوافق مع النص الثاني والنص السادس من نصوص المكناسي والرابع من نصوص أبوراس الجزائري وقد تمت مناقشتها سابقا .

النص الثالث:

"...وتوجهنا من الجزائر لقسنطينة وكان فصل الشتاء، وكنت قدمت وقت إقامتي بالجزائر مكتوبا لصاحب لنا من تلمسان من أصحاب باي قسنطينة، يكتبني لنا منزلا نستقر به إلى أن يخرج فصل الشتاء، فبلغنا قسنطينة على اثنتي عشرة مرحلة ونزلت خارجها في خبائي، وخدامي في آخر..."⁽²⁾.

يورد أبو القاسم الزياني في هذا النص انتقاله من مدينة الجزائر إلى قسنطينة ومروره على اثني عشر محطة نزل بها، فلو تمعنا في معنى هذا النص نجد أنه يتوافق مع النص الخامس من نصوص المكناسي وقد تمت مناقشته سابقا، لكن الاختلاف يكمن في مسار العودة للمكناسي من قسنطينة - الجزائر أما الزياني فقدم من الجزائر إلى قسنطينة .

النص الرابع:

"...وأقمت بقسنطينة خمسة عشر يوما، وقدم الباي من حركته فساعة دخوله للبلد قدم أحد الطلبة المذكورين، وخبرني أن الباي بلغه خبر قدومك، وكتب لخليفته أن يكرمك ويحسن نزلك، وهو الذي وجهني الآن للسلام عليك فقم للسلام عليه...فتوجهت معه إلى أن دخلنا الدار وصعدنا في المداخل إلى محل جلوسه في محكمته...ودخلت القبة وسلمت عليه وهو جالس على الأرض وهو يحسب مالا بين يديه، فرد السلام وقال:

(1) // الزياني، الترجمة...، مصدر سابق، ص. 151 .

(2) // نفسه، ص-ص. 151-152 .

هذا فلان، فقلت: نعم، فقال: مرحبا بك وأهلا وسهلا ومد يده لمصافحتي بظاهرها لأن باطنها ملطخ بوسخ الفضة التي كان يعدها، ولحقه من ذلك حياء، فأمر بالأبريق والطست والصابون فغسل يده، وقام من محله... ووجه لي كاتبه الكبير محمد بن كشك علي، فأدخلني عليه وأتى بالقهوة فشربت، وسار كاتبه أن يتزلي بداره... فأسعفني وتوجه لبيته وتوجهت لمحلي الذي أنا فيه... (1) .

تتضمن هذه الرواية بين دفتيها إحدى السلع التي من المؤكد أنها جلبت من تونس وهي "الصابون" والتي وجدت إشارة عنها ضمن نصوص الورتيلاني (النص الرابع والعشرون)، أما السلعة الثانية فهي "القهوة" والمرجح أنها من بلاد المشرق أو السودان، وقد وجدت إشارة عنها في النص العاشر من نصوص أبو راس الجزائري، وقد تمت مناقشة ذلك سابقا .

النص الخامس:

"... ولما قدمت عليه (1) سألتني عن أحوال الغرب ومملكته، وعن السلطان مولاي سليمان... وبعد العشاء وجه لي رسوله فقدمت عليه فوجدته في مقصورة جديدة هيأها بالفراش والأثاث والأواني الفضية والذهبية، وفي كل روشن ساعة تضرب كل ساعة الآلة، وسلاح كثير معلق بجدرانها (2)، وأصحاب الموسيقى جلوس أمامه... (2) .

(1)- يقصد به صالح باي بن مصطفى حاكم بايلك الشرق الجزائري وقد سبق الإشارة إليه آنفا .

(2)- من خلال النص يتضح وجود حالة من الرفاهية والغنى بلغها بايلك الشرق الجزائري (قسنطينة)، فالباي صالح بن مصطفى لما استقبل أبو القاسم الزياني في دار البايك كانت مقصورته مؤثثة بأواني فضية وذهبية؟ . ومن دون شك فهذه المصنوعات كانت تجلب من تونس في إطار التواصل التجاري بين الإيالتين، فمن منطلق أن أقرب الأسواق الخارجية إلى قسنطينة هي مدن تونس الغربية⁽³⁾، فقد كانت القوافل التجارية تحمل إليها الصوف والجلود وتمور الواحات...، وتستورد منها بعض المصنوعات ذات الطابع التجاري ومنها الأواني الفضية والذهبية والتي برع في تصنيعها فئة الأندلسيين واليهود بتونس أكثر منها بالجزائر⁽⁴⁾، وبالمقابل كانت

(1) /الزياني، الترجمة...، مصدر سابق، ص-ص. 156-155 .

(2) /نفسه، ص. 156 .

(3) /الزيري، مرجع سابق، ص-ص. 153-151 .

(4) /سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص-ص. 73-72 .

الأتاوات والضرائب المفروضة على بعض المناطق التونسية الغربية خاصة في بداية عهد الدايات أثر كبير في زيادة مداخيل بايلك الشرق الجزائري، كل هذا وأكثر جعل من قسنطينة أغنى بايلكات الجزائر خلال العهد العثماني⁽¹⁾، ولا يمكننا استنطاق هذا النص بأكثر مما يحمله من هذه معلومات .

النص (الساوس):

"...ولما جلس بعد رجوعه استنشقت منه رائحة الخمر، فعاد للحديث معي ساعة، ثم قام ودخل من محله الأول والمملوك معه... ثم قال للملوك: هات يدك وقبضها وقام ودخل فلبس عليه كركا من السمور (1) وخرج وعاد لموضعه وقال: لم لا تعتنون بهذه الأكراك، فإنها نافعة في زمن البرد، فقلت: نحن أهل المغرب أهل بادية، لا يعرفون هذا وأشباهه، وبعد أن تأتي هذه الأكراك في هدايا الملوك من المشرق ومن الإصطنبول للسلطان يعطيها لرؤساء البحر وقواد الطبجية، ثم قال للملوك: هات تلك الزوجة من الكوايس أشار لها، فناوله إياها، فقال: كم تساوي هذه عندكم؟ فمسكتها ونظرت إليها فقلت كذا، فوضعها وقال للملوك: هات الأخرى، فناوله إياها، وقال لي: وهذه؟ فنظرتها، وقلت: كذا، فوضعها وقال: هات ذلك السيف ومدّه إلي، وقال: وهذا؟ فقلت: كذا... ثم قال لي: أما هذه فثمنها ألف ريال (2)، وهذه ألف وخمسمائة، وهذه ألفان، وهذا السيف كذا، وهذا كذا، وهذا كذا، وتبين لي في وجهه كراهة ما ذكرت له من الثمن..."⁽²⁾ .

- (1) // في هذا النص ما يؤكد وجود سلع مشرقية الصنع بقسنطينة وهي "الأكراك جمع كرك" والتي كما يفهم من كلام الزياني أنها ألبسة شتوية، فمن المرجح أنها جلبتها قوافل قادمة من بلاد المشرق والواضح أنها كانت تجارة راجحة، والمؤكد في كل هذا أن الطريق البري لهذه القوافل إلى الجزائر كانت بالمرور عبر تونس .

- (2) // الريال سبق تعريفه .

النص (السابع):

"...وكان يوجه لي كل ليلة جمعة لحضور أنسه ومسامرته، إلى أن تعين سفر المراكب من تونس وتهيأ الحجاج من قسنطينة للسفر، وكنت وجهت مكتوبا لبعض أهل فاس بتونس يكتبون منزلا أنزل به إذا قدمنا لها، ويوم الجمعة توجهت له بعد الصلاة لأوادعه فقال لي: لا تسافر إلى يوم الخميس إن شاء الله، بعد هؤلاء المتوجهين

(1) // سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص-ص. 242-243 .

(2) // الزياني، الترجمة...، مصدر سابق، ص-ص. 157-158 .

في الإثنين، ويوم الأربعاء نوادعك، فتوجهت لوداعه في اليوم المذكور، ولما دخلت عليه قام وعانقني وجلست على " شلية " وضعها لي وتكلم مع كاتبه سرا، فقال لي الكاتب سرا: كم تحتاج من البهائم؟ فقلت: لا أحتاج لبهائم عندي ما يكفي، فقال له ذلك وبعد ساعة قام لوداعي... ولما بلغت للبيت جاءني حاجبه ومعه كبير الحمارين، ودفع لي قرطاسين من كاغد محيظ وقال: أن سيدنا الباي يقول لك تتفضل بقبول هذا، وناولني زماما وقال تتسلم ما في هذا الزمام من أمين الحمارين بتونس، فإنه حامل له على عشرة بغال مخلص كراؤها، يتوجه في صحبتك، فقبضت الزمام من يده، وقال لي الحمار: أردت منك أن أقيم غدا لقضاء أغراض، وبعد غد أبيت معكم حيثما يتم وأصحابي يتوجهون معك بالبهائم، فأنعمت له بذلك (1)، ولما توجهنا فتحت القرطاسين المخيطين، فوجدت فيهما ثلاثمائة محبوب (2)... فحمدت الله على نعمه وعلمت أن ذلك من زهري... (1) .

(1)- هذه الرواية تتضمن بين دفتيها نوع من الكرامة والجود الذي تميز به حاكم قسنطينة "الباي صالح بن مصطفى"، وقد أورد لنا الزباني أنه بعد قراره التوجه من قسنطينة إلى تونس جهز له الباي بهائم وصل عددها عشر بغال تم كراءها له، وهنا يؤكد الأستاذ الزبيري "أن -كراء البغال - كان بمثابة أحد أهم أسس التواصل التجاري بين قسنطينة وتونس، وحدد سعر كراء الواحد منها ما بين (15-25 فرنكا) للبغل الواحد في الذهاب وما بين (30-40 فرنك) في رحلة العودة ويضيف في هذا الأمر أنه من البديهي أن يكون سعر الإياب أعلى لأن التاجر يجلب معه سلعا من تونس تعود عليه بالفائدة"⁽²⁾، وما أريد أن أوضحه في هذا كله ليس عملية كراء البغال في حد ذاتها، بل ماهو الهدف من وراء ذلك؟ . من المؤكد أن العشرة بغال التي تم كرائها للزباني تحمل سلعا وبضائع سيتم جلبها من قسنطينة إلى تونس بهدف بيعها، والطريق الذي تسلكه هذه القافلة هو لا محالة الذي يربط بين قسنطينة وتونس مرورا بالخروب وسوق أهراس والكاف وصولا إلى مدينة تونس وقد سبق الإشارة إلى هذا الطريق آنفا .

(2)- عملة المحبوب سبق التعريف بها .

(1) // الزباني، الترجمة...، مصدر سابق، ص-ص. 158-159 .

(2) // الزبيري، مرجع سابق، ص. 152 .

النص الثامن:

"...وخبر ما مررنا به من الجزائر إلى قسنطينة من المدن، فكله خراب غير مدينة بجاية فقد أسست على عهد الروم، وكذلك قسنطينة..."⁽¹⁾.

هذا النص يتوافق مع النص الثالث من نصوص الزياني السابقة والنص الخامس من نصوص المكناسي، والذي يحدثنا فيه عن الطريق بين مدينتي الجزائر وقسنطينة وقد سبق مناقشة ذلك سابقا .

النص التاسع:

"...ولما أصبح وحملت على بهائي أتاني، أمين الحمّارين و أخبرني أن أصحابي خرجوا، فكلفته أن يأتيني معه بشيء من البصل للطريق، وتوجهنا من القسنطينة، وعلى عشرة أيام بلغنا تونس، فبتنا قريبا منها... فدخلت على باب المدينة وسرت في سوق وأنا أسأل عن جامع الزيتونة، فبينما أنا أسير في سوق العطارين، إذ رأيت أحد الذين كتبت لهم على المنزل، ولما رأني اختفى في وسط المارة وهرب مني..."⁽²⁾.

هذا النص يتوافق مع النص (السابع) من نصوص الزياني والنص (الثلاثون والثالث) من نصوص الورتيلاني، والذي يحدثنا فيه عن الطريق بين قسنطينة وتونس وعملية كراء البهائم وقد تمت مناقشة ذلك .

النص العاشر:

"...ولما دخلت لتونس في سفارتي للأصطنبول عام مائتين وألف، وجدته بها رئيس مركب، وكان خليفة باشا الجزائر بتونس، وأدرك منصبا عظيما ومالا كثيرا وعقارا في أقرب مدة، فلما تراءينا حجل مني وحجلت منه، وسلمت وكل منا لا يرفع بصره للآخر، لأني كنت أعرفه على حالة ويعرفني على أخرى، فتبدل الأمر وانعكس الحكم..."⁽³⁾.

يتحدث أبو القاسم الزياني في هذا النص عن وكيل الجزائر بتونس والمعين من طرف حاكم الجزائر والذي بلغ درجة كبيرة من الرفاهية والغنى خاصة ما وأورده لنا عنه أنه من معارفه السابقة والواضح أنه كان

(1)/ الزياني، الترجمة...، مصدر سابق، ص. 163 .

(2)/ نفسه، ص. 164 .

(3)/ نفسه، ص. 165 .

فقيرا، ولما عين بتونس بهذه الصفة الدبلوماسية تغير وضعه الإقتصادي إلى الأفضل، وهو ما يؤكد لنا التبعية غير المباشرة لإيالة تونس وارتباطها اقتصاديا بالجزائر .

النص (الحاوي) عشر:

"...فقام بنا إلى المتزل معنا أهل فاس فدخلنا دارا معتبرة فيها خدامنا وأثاننا، وصعد بنا إلى أعلى مستقل عنها، فوجدناه مفروشا وفيه كل ما تحتاج إليه من الأواني النحاسية والودعية وأواني الأتاي والقهوة والشمع والسكر، ورتب لنا ما يكفيننا من كل شيء، وأكرمنا إكراما كليا رحمه الله..."⁽¹⁾ .

يظهر في هذا النص مرة أخرى جود أهل تونس من خلال إكرامها للزياني ومرافقيه وهو أمر عادي وغالبا ما تتضمنه متون كتب رحلات المغاربة الذين توافدوا على مدينة تونس .

النص (الثاني) عشر:

"...فأبيت وأقمت بتونس خمسا وأربعين يوما إلى أن تيسر لنا السفر، فأكترى لنا قامرة المركب ودفع لنا من الزاد مثل ما قدمنا من قسنطينة وزاد من الدجاج مائة طير ومن الغنم خمسة عشر رأسا..."⁽²⁾ .

يورد لنا الزياني مدة إقامته بتونس والتي وصلت إلى الشهر ونصف (45 يوما)، لكن ما سبب إطالة مدة إقامته بها؟ . من المؤكد أن من بين دوافعه إلى ذلك كانت التجارة، فتلك البغال التي تم كراؤها له من طرف باي قسنطينة من الواضح جدا أنها كانت محملة بسلع جلبت إلى الأسواق التونسية بهدف إعادة بيعها وهذا دون إغفال ما تحتويه من زاد لها في طريقها نحو تونس .

النص (الثالث) عشر:

"...ولم يزل أهل تونس في زماننا هذا يستخرجون الرخام والمرمر ويجعلونه في بيوتهم..."⁽³⁾ .

هذا النص يتوافق مع النص الواحد والعشرون من نصوص الورتيلاني والذي ورد فيه احدى السلع التي يتم استخراجها من تونس وهي "الرخام" وقد تم مناقشة ذلك سابقا .

(1)/الزياني، الترجمة...، مصدر سابق، ص. 165 .

(2)/نفسه، ص. 165 .

(3)/نفسه، ص. 166 .

النص الرابع عشر:

"...ثم أصاب الجارية الوباء وماتت بعد ثلاث، وتركت الولد ولم أجد من يرضعه، فطلبت جارية مرضعة اشتريها فلم توجد، إلا أن الله فتح في امرأة مات لها صبي وزوجها مغربي (1)... واشتغلت بتجهيز ما لا بد منه للسفر في البر للجزائر، فسهل الله أمره واكتريت البهائم إلى قسنطينة بخمسين محبوبا (2)... بعث فيها نسخة من صحيح سيدي مسلم في سفر، كنت اشتريتها من مصر بمائة، وما كان معي من كتبي غيرها وأخرى مثلها في سفر من صحيح البخاري" (1).

(1)-// يورد لنا الزياني انتشار وباء بمدينة تونس بعد عودته من المشرق وقد وجدت إشارات عن ذلك في النص الثالث من نصوص الدرعي، والنص الثاني والسادس من نصوص المكناسي، والنص الثاني من نصوص الزياني وقد تم مناقشة ذلك فيما سبق .

(2)-// سبق وأن ناقشت قضية كراء البهائم من طرف القوافل بين الجزائر وتونس في النصين السابع والتاسع من نصوص الزياني السابقة .

النص الخامس عشر:

"...ولما دخلت قسنطينة، لم أجد صاحبها حسن باشا المتقدم الذكر، وما وجدت إلا خليفته، فأنزلنا وأكرمنا وأقمنا عنده عشرة أيام حتى تعينت الرفقة، واكتري لنا بهائمنا واشتريت لنفسي بغلة ركبتهابعت ساعة ذهب بقسنطينة خلصت نصف الكراء والنصف إلى الجزائر..." (2) .

هذا النص يتوافق مع النص السابع والتاسع من نصوص الزياني السابقة ويحدثنا فيه عن عملية كراء البهائم من طرف القافلة للتنقل من قسنطينة إلى مدينة الجزائر .

(1)/ الزياني، الترجمة...، مصدر سابق، ص. 373 .

(2)/ نفسه، ص. 374 .

النص (الساوس) عشر:

"...ولما جن الليل شغل بالي بالفكر في أمر الكراء الذي علي، فإذا أصبح وجاء الحمار يطلبه فكيف المخرج وما أبيع؟، فتعين بيع نسخة البخاري التي ليس لي غيرها، ففوضت الأمر لله..."⁽¹⁾.

ورد في النص وقوع الزياني في مشكلة تتمثل في عدم توفره على مبلغ تخليص الحمار الذي قام بكراءه، فكيف حل هذه المعضلة؟ . من منطلق أن الكتب تعتبر من السلع التي كان يتم تسويقها بين إيالتي الجزائر وتونس، فإن المؤلف جلب معه نسخة من كتاب البخاري وما كان عليه إلا بيعها بهدف دفع ثمن كراءه للحمار، والواضح أن للتواصل الثقافي خلال العهد العثماني دور كبير في الحركة التجارية بينهما .

النص (السابع) عشر:

"...ثم أني بقيت مقيما بالجزائر سبعة أشهر إلى أن فتح الله علينا في رد بضاعتنا، وسبب الرد أن الرجل الجزيري الذي أتى بالعسكر من أزمير أصله تونسي، ولما أسره الكفار جنس النبطان ودخلوا بهم لبلادهم، ادعى الرجل أنه تونسي وأنه اكترى المركب من أزمير، ووسق فيه أرزاق التجار من تونس، واكترى للعسكر الجزيري وتحاكم معهم بهذه الحجة فغلبهم، لأن أهل تونس مع هذا الجنس بينهم عقد مهادنة، فدفعوا للرجل بضائع الناس واكترى عليها مركبا آخر لتونس في الظاهر، وفي الباطن يبلغ البضائع للجزائر، وخرج قاصدا مرسى تونس إلى أن دخلها، وأقام بها يومين ورجع إلى الجزائر، وأما العسكر الجزيري والمركب فأخذه النبطان لأهم محاربون مع الأتراك، فلما بلغ المركب لمرسى الجزائر قبضت ما كان لنا من الحرير والأثاث والصنادق بالقامرة، حتى المكاتب التي كنت دفعت لرئيس المركب يبلغهم للجزائر دفعهم النصراني للآخر وكلمه أن يقبض خط يده الذي عندنا، ولما فتحنا صنادقنا وحوائجنا وجدناهم على حالهم لم يفقد منهم قلامة ظفر بعد النهب والإنتقال، فانظر إلى هذا الإحتراز وهذا الصدق الذي هو من شأن المسلمين صار للكفار، ولو كان هذا الحادث وقع من عساكر المسلمين وتبين فيه الخليط، وأمر ولاتهم برده ما بلغ على حله، بل لم يرجع نصفه ولا ربعه، ويأخذ منه الحاكم والرئيس والمباشر لقبضه لرده والمباشر لرده والحامل له والمتكلم فيه، ولا يحصل صاحبه إلا على التافه منه..."⁽²⁾.

(1) /الزياني، الترجمة...، مصدر سابق، ص. 374 .

(2) /نفسه، ص. 379 .

يحدثنا الزباني في هذا النص عن حادثة وقعت له بعد وصوله إلى مدينة الجزائر متمثلة في رد بضاعة لقافلته كانت سرقت لهم في عرض البحر قبالة أزمير التركية من طرف بعض القراصنة الأروبيين، لكن بفضل حنكة تاجر جزائري ادعى للقراصنة بأنه تونسي تم ارجاع هذه البضاعة -خاصة وأنه جاء في سياق كلامه هدنة موقعة بين تونس وهؤلاء القراصنة- وأوهمهم بأنه سيدخل بها إلى تونس، إلا أن الأمر الذي حدث فيما بعد هو نقل هذه البضائع من مرسى مدينة تونس إلى مرسى مدينة الجزائر، وبعد استرجاعها وجدها كاملة وغير ناقصة، والمغزى من كل هذا هو أنه بالفعل هناك تواصل تجاري بحري بين الإيالتين خلال العهد العثماني.

الفصل الثالث :

قراءة في معطيات النصوص التجارية الواردة في رحلات المغاربة

- 1- /توظيف النصوص التجارية .
- 2- /واقع التواصل التجاري بين الإيالتين خلال القرن 12/هـ 18م .

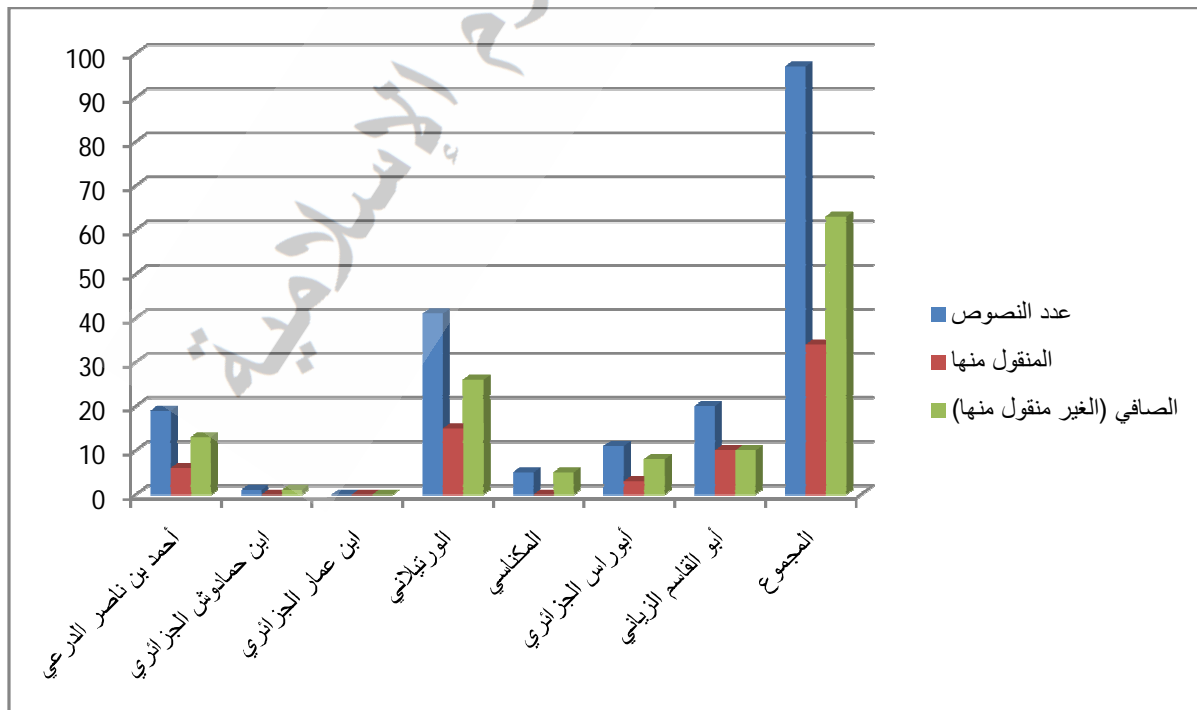
1- /توظيف النصوص التجارية :

بعد عرض النصوص التجارية الواردة في كتب رحلات المغاربة والتعليق عليها، تأتي مرحلة تسجيل الملاحظات واستثمار معطياتها وتحليلها قدر الإمكان لبناء صورة واضحة عن الحركة التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م .

1-1/ مشكلة النقل (الحرني للنصوص في رحلات المغاربة) ظاهرة تكرر (النصوص):

الرحلة	عدد النصوص	المنقول منها	الصافي (الغير منقول منها)
أحمد بن ناصر الدرعي	19	06	13
ابن حمادوش الجزائري	01	00	01
ابن عمار الجزائري	00	00	00
الورتيلاي	39	15	24
المكناسي	05	00	05
أبوراس الجزائري	11	03	08
أبو القاسم الزباني	17	10	07
المجموع	92	34	58

التمثيل البياني:



من خلال الجدول الإحصائي والتمثيل البياني أجريت مقارنة بين النصوص التجارية الواردة في كتب رحلات المغاربة والمنقول حرفيا منها حيث ألاحظ مايلي:

- النقل الحرفي في رحلات المغاربة لنصوص سابقة لعصرها ظهر بصورة واضحة وجليّة في رحلة الورتيلاني، حيث أحصيت 15 نصا منقول حرفيا أو ذو معنى توافقي من أصل 39 نصا ليست من تأليفه الخاص أي نقلها عن سبقه، فبعد إسقاط هذه العملية على هذه النصوص سنجد أن أغلب النصوص المكررة عند الورتيلاني نقلها عن أحمد بن ناصر الدرعي وأبو سالم العياشي، أما الزياني فقد أحصيت له 07 نصوص منقولة من أصل 17 نصا، كما سجلت 06 نصوص منقولة أو معناها توافقي مع نصوص سابقة من أصل 19 نصا عند الدرعي، وكذلك لم تخلو رحلة أبو راس الجزائري من التكرار فقد سجلت بها 03 نصوص مكررة من أصل 11 نصا .

- غياب ظاهرة النقل الحرفي من نصوص رحلة ابن حمادوش والتي سجلت فيها نصا واحدا فقط .

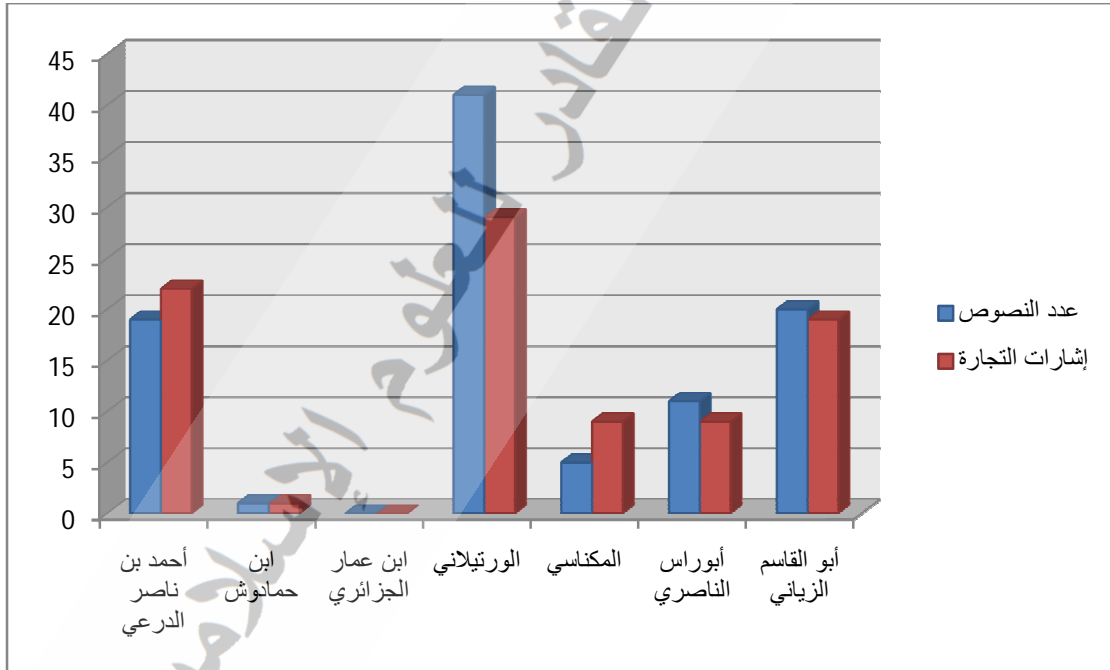
- غياب النصوص التجارية من رحلة ابن عمار الجزائري وبالتالي غياب ظاهرة النقل الحرفي بها .

- ما أود أن أوضحه في كل هذا هو أنه من الضروري أن نطرح مشكلة الأمانة العلمية الواجب اتخاذها أمام ظاهرة انتقال المعارف التاريخية بين المؤرخين، إذ لا بد من الإشارة إلى المصادر المنقول عليها أثناء تدوين الرحلات ونقل الروايات، وهذا ما نفتقده إطلاقا في أغلب كتب الرحلات الحجازية مثل رحلة ناصر الدرعي والورتيلاني، فغالبا ما يفتتح رواياتهما بالقول: " وروي، وذكر، وقيل، وحدثني، وعنه يحكى...."، فمن هذا المنطلق يتأكد لنا أن رواياتهم مبنية للمجهول، صحيح أن قسم لا بأس به ما قدموه لنا في كتب رحلاتهم مبني على الرواية الشفوية، لكن العيب في كل هذا هو النقل الحرفي لبعضها عن رحلات سابقة فهذا ما اعتبره أنا بمثابة إجحاف في حق جهود سابقه من الرحالة، فلو تمنعنا مثلا في وصف أغلب المدن والقرى والمسالك التي اشتركوا في المرور بها سنجد أن من يأتي من الرحالة بعد سابقه سيورد لنا نفس الوصف سواء أكان مقتبس حرفيا أو ذو معنى توافقي، ولهذا على الباحثين في متون هذه المصادر التاريخية أخذ بعض الحيلة من المعلومات التي تتوفر عليها .

2-1/ إشارات التجارة :

إشارات التجارة	عدد النصوص	الرحلة
22	19	أحمد بن ناصر الدرعي
01	01	ابن حمادوش
00	00	ابن عمار الجزائري
29	39	الورتيلاي
09	05	المكناسي
09	11	أبوراس الناصري
19	17	أبو القاسم الزياني
89	92	المجموع

التمثيل البياني:



بعد استخراج إشارات التجارة من النصوص السابقة وتصنيفها في جدول وترجمة ذلك بيانيا خلصت

إلى الملاحظات الآتية:

- من خلال 19 نصا من نصوص رحلة الدرعي سجلت 22 إشارة للتجارة .
- تضمنت رحلة ابن حمادوش الجزائري نصا واحدا بالرغم من أنها ليست حجازية بل مغاربية .

- غياب النصوص التجارية من رحلة ابن عمار الجزائري مما يؤكد غياب إشارات التجارة بها .
- ومن 41 نصا تجاريا تتعلق برحلة الورتيلاني سجلت 29 إشارة تتعلق بالتجارة مما يؤكد أنها مصدر هام في دراسة النشاط التجاري بين الإيالتين خلال القرن 12هـ/18م .
- سجلت في رحلة المكناسي 09 إشارات للتجارة من 05 نصوص واردة في رحلة المكناسي .
- ورود 09 إشارات لوجود نشاط تجاري في رحلة أبوراس الناصري من خلال 11 نصا واردا فيها.

- تضمنت رحلة أبو القاسم الزياني 19 إشارة للتجارة .

ومن خلال هذه الملاحظات أخلص إلى النتائج الآتية:

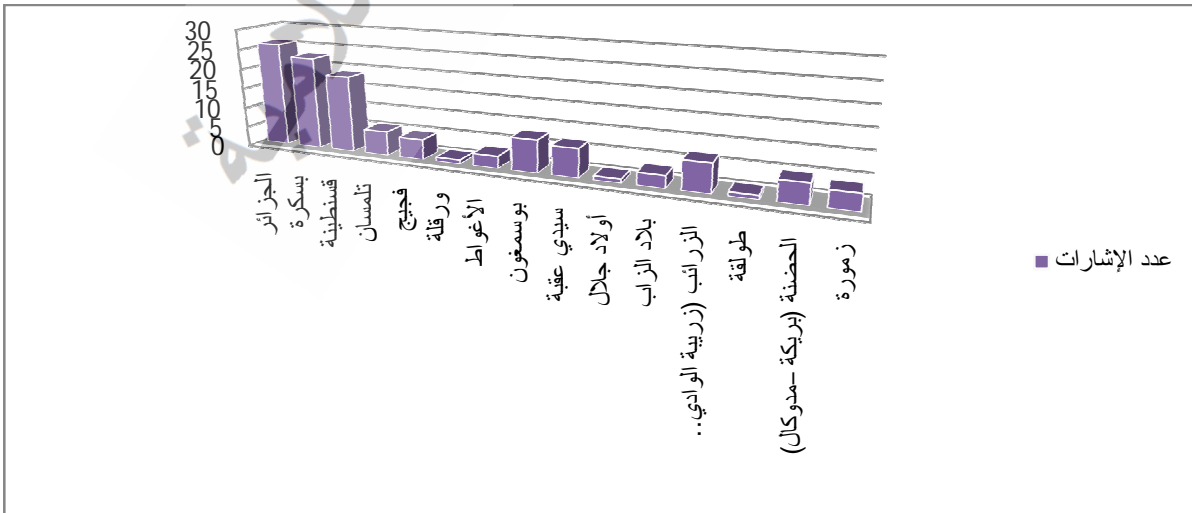
- من 92 نصا الواردة في رحلات المغاربة حول وجود حركية تجارية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12هـ/18م سجلت 89 إشارة حول التجارة .
- من منطلق ماورد في رحلات المغاربة من نصوص، فإن النشاط التجاري - مع قلته - كان مقرونا بتنقل القوافل المختلفة وغير واضح في هذه الرحلات، فالمرجح في كل هذا أن النشاط التجاري كان هامشيا ولم يكن مقصودا في ذاته .
- من المؤكد أن عدم ورود نشاط تجاري واضح في هذه الرحلات بين الإيالتين خلال القرن 12هـ/18م راجع أساسا إلى التوتر السياسي والعسكري بينهما كما ذكرت سابقا، بالإضافة إلى الطابع الذي أخذته هذه الرحلات بين دينية (حجية) وجغرافية (استكشافية) وعلمية مما سهل من عملية غياب الأنشطة التجارية بين الجزائر وتونس في هذه الرحلات بشكل واضح وهذا بالرغم من أن جلها رحلات حجازية وضرورة التوجه إلى المشرق يستلزم عليها المرور بين الجزائر وتونس .

2- / واقع التوصل التجاري بين الولايتين خلال القرن 12/هـ 18م :

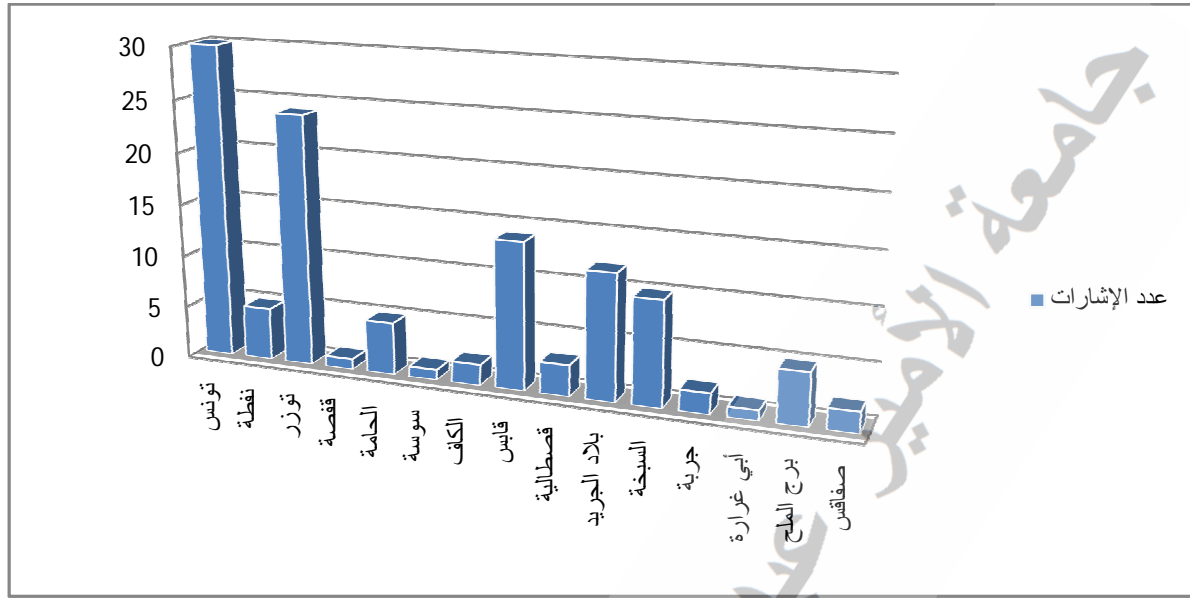
2-1 / مناطق الأنشطة التجارية في الجزائر وتونس:

عدد الإشارات	المناطق التجارية بتونس	عدد الإشارات	المناطق التجارية بالجزائر
30	تونس	26	الجزائر
05	نفطة	23	بسكرة
24	توزر	19	قسنطينة
01	قفصة	06	تلمسان
05	الحامة	05	فجيج
01	سوسة	01	ورقلة
02	الكاف	03	الأغواط
14	قابس	08	بوسمغون
03	قسطالية	07	سيدي عقبة
12	بلاد الجريد	01	أولاد جلال
10	السيبحة	03	بلاد الزاب
02	جربة	07	الزرائب (زربية الوادي وزربية حامد)
01	أبي غرارة	01	طولقة
05	برج الملح	05	الحضنة (مسيلة-بريكة - مدوكال)
02	صفاقس	04	زمورة

التمثيل البياني لعدد إشارات المناطق التجارية بالجزائر (الواردة في نصوص الرحلات :



التمثيل البياني لعدد إشارات المناطق التجارية بتونس (الواردة في نصوص الرحلات :



بعد قراءة متأنية في النصوص المتعلقة بالتجارة الواردة في رحلات المغاربة خلال القرن 12/هـ 18م واستخراج المراكز التجارية النشطة بين إيالتي الجزائر وتونس وتصنيفها في جدول وتمثيلها بيانيا أخلص إلى الملاحظات التالية:

- إيالة الجزائر:

- هناك مراكز نشطة وأخرى أقل نشاطا، فالنشطة منها مثل قسنطينة والجزائر، فقد سجلت 26 إشارة للجزائر و19 إشارة لقسنطينة لأسباب عديدة منها كونها مقرات لبايلكات دار السلطان وبايلك الشرق الجزائري، والتي كما سبق وأن أشرنا إلى وجود طريق تجاري نشط بينهما، خاصة وأن قسنطينة تعتبر أقرب الأسواق الخارجية لمدن تونس الغربية، وسجلت أيضا 23 إشارة لبسكرة والتي هي قاعدة بلاد الزاب وأهم مدنه فهي إذن مركز تجاري هام يربط الجنوب الشرقي لإيالة الجزائر بمدن بلاد الجريد التونسي، كما سجلت بعض الإشارات لمناطق قليلة النشاط مثل بوسمغون (08 إشارات)، (فجيج 05 إشارات)، سيدي عقبة والزرائب (07 إشارات).

- إيالة تونس:

- شكلت كل من مدينة تونس وتوزر أهم المراكز التجارية النشطة بإيالة فقد سجلت 30 إشارة لتونس و24 إشارة لتوزر، فهي إذن محطات تجارية هامة للتجار القادمين من مدن الشرق الجزائري، وكما سجلت

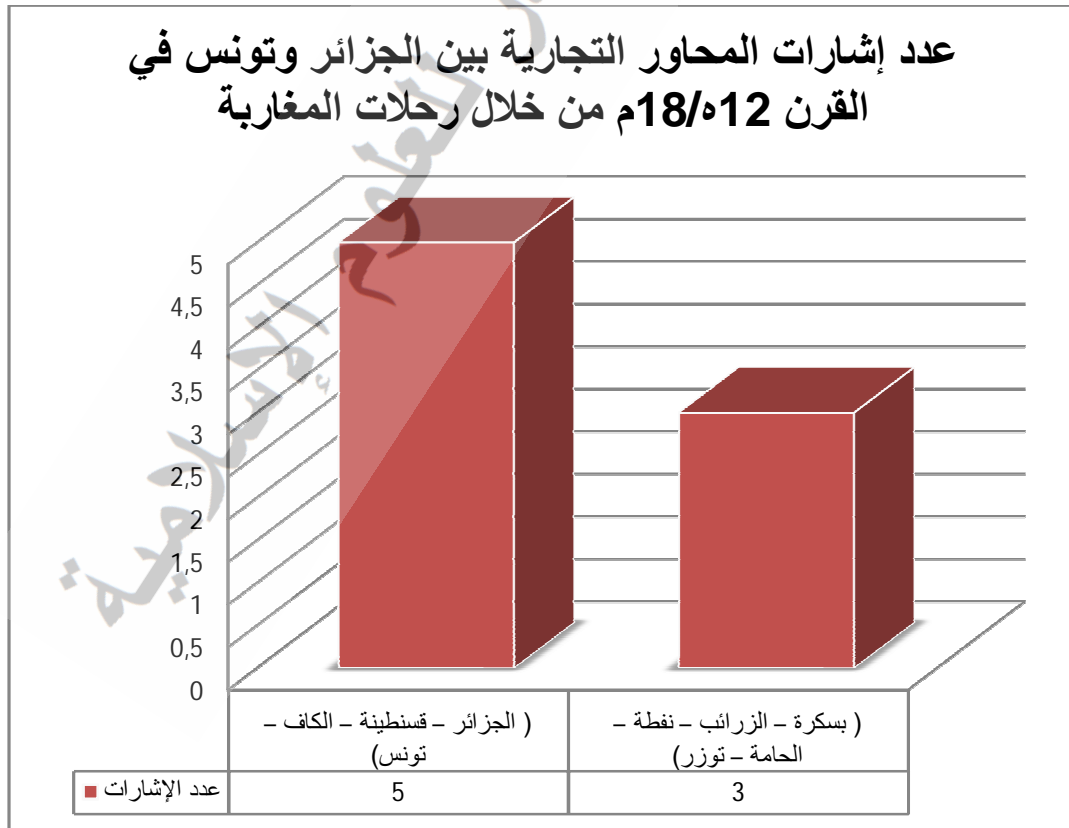
وجود مراكز ومناطق تجارية قليلة النشاط مقارنة بالسابقة منها 14 إشارة لقياس و12 إشارة إلى بلاد الجريد التونسي و05 إشارات إلى الحامة ونفطة وهناك مراكز أخرى يمكن اعتبارها ثانوية من حيث نشاطها ولم تنل حظا وافرا في نصوص رحلات المغاربة السابقة مثل مدينة الكاف .

- إذن ما يمكن التوصل إليه من خلال هذا هو وجود مناطق حدودية بين الإيالتين (شرق الجزائر وغرب تونس) لها دور كبير في تنشيط عملية التواصل التجاري بينهما وهذا كله ينصب في وجود طرق تجارية نشطة لتبادل السلع والبضائع .

2-2/ الطرق التجارية بين الجزائر وتونس :

المحاور	عدد الإشارات
(الجزائر - قسنطينة - الكاف - تونس)	05
(بسكرة - الزرائب - نفطة - الحامة - توزر)	03

التمثيل البياني:



من خلال الجدول وتمثيله البياني أسجل الملاحظات التالية:

- ظهر المحور الأول والمتمثل في الطريق الذي يربط مدينتي الجزائر وتونس مرورا بمراحل عديدة أبرزها قسنطينة والكاف جد نشط في أغلب الرحلات المدروسة، وقد سجلت أن هذا الطريق ورد 05 مرات وهو ما يؤكد أنه أبرز المسالك الذي تعتمد عليه مختلف القوافل بهدف تصريف سلعتها وبضائعها في إطار عملية التواصل التجاري بين الإيالتين وقد أشرت إلى ذلك آنفا .

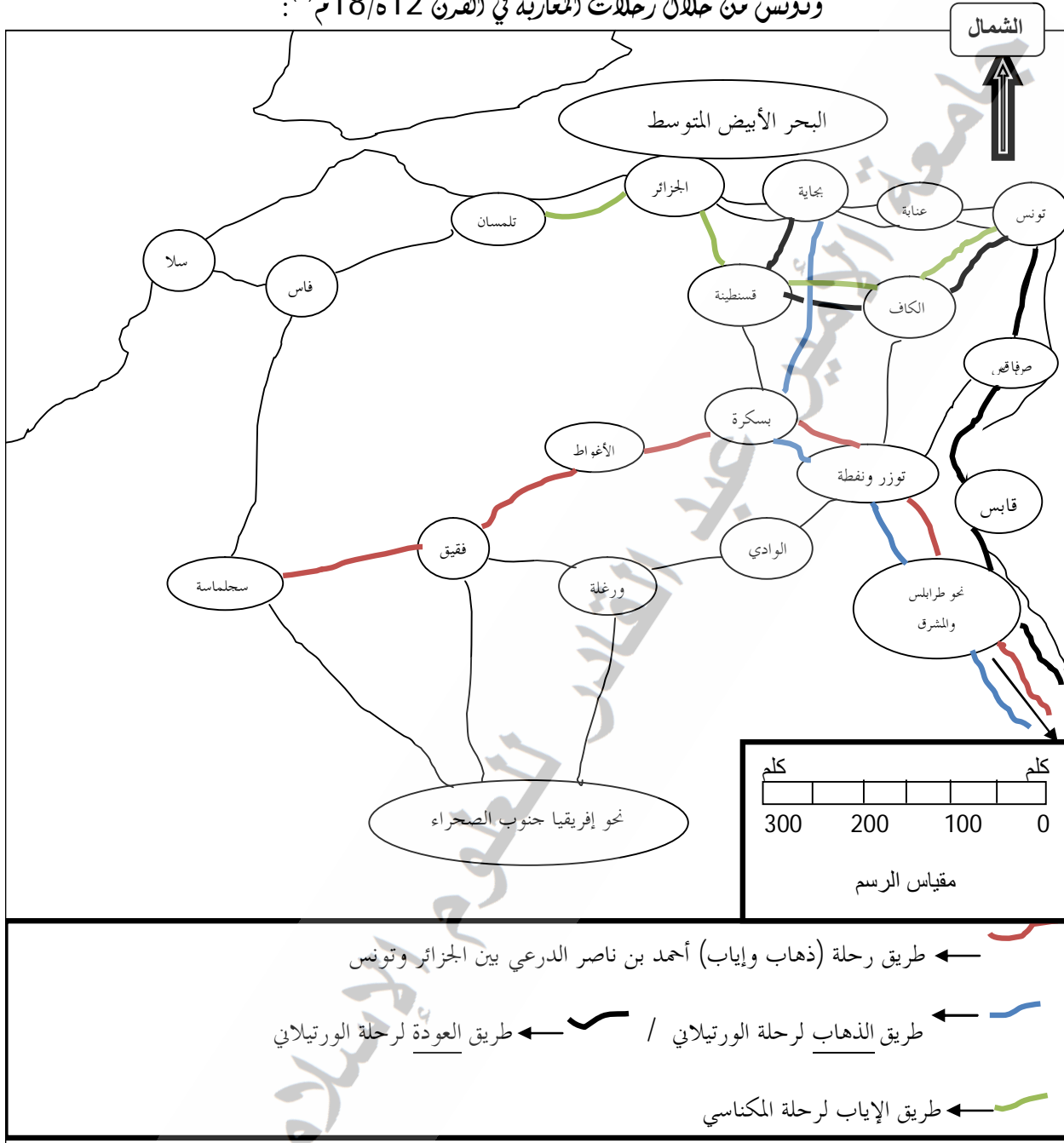
- بالنسبة للمحور الثاني والمتمثل في الطريق الذي يربط مدن الجنوب الشرقي للجزائر (خاصة بسكرة قاعدة بلاد الزاب) ومدن الغرب الجنوبي لتونس (بتوزر قاعدة بلاد الجريد) فقد سجلت 03 إشارات عنه فقط .

ومجمل القول في كل هذا:

- بالرغم من انتشار ظاهرة السلب واللصوصية من طرف قطاع الطرق (اللامن في المسالك) من الجانبين والأزمات السياسية والعسكرية الحدودية المتعاقبة بين الإيالتين - كما ذكرت سابقا- لم تقف حاجزا أمام عملية التواصل التجاري بين الإيالتين، فيفهم من كل هذا أن العلاقات الإقتصادية أكبر من الصراعات والأزمات التي عرفتها الجزائر وتونس خلال القرن 12/هـ 18م .

- أغلب طرق الرحلات الحجازية وصفت لنا الطرق البرية التي سلكتها، لكن بالمقابل ما يمكن ملاحظته هو عدم وجود وصف لطرق بحرية تربط الإيالتين تجاريا .

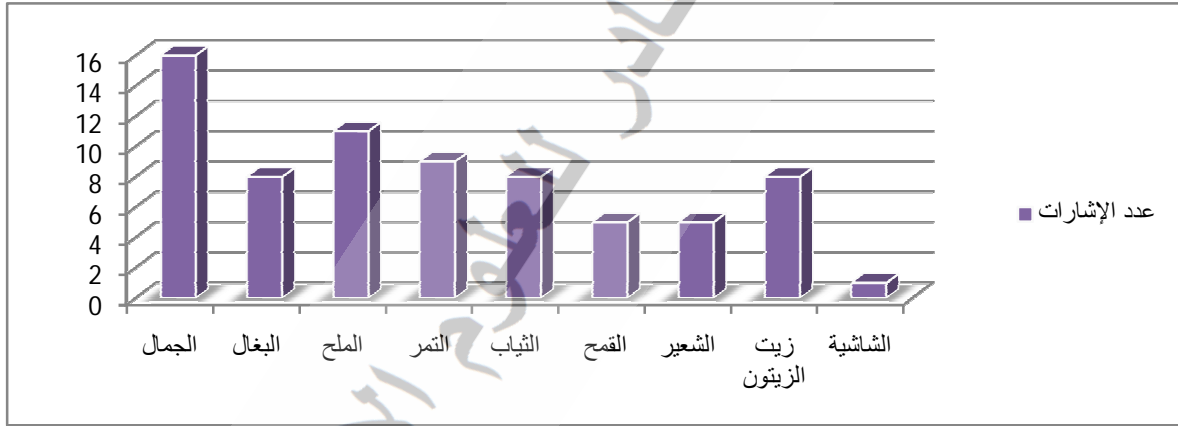
خريطة توضح أهم الطرق التجارية ببلد المغرب وفيها المجاور الرئيسية بين إيالتي الجزائر وتونس من خلال رحلات المغاربة في القرن 12/18م⁽¹⁾:



(1) هذه الخريطة هي نتيجة لما تم التوصل إليه من معلومات حول الحركة التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس من خلال ماورد في نصوص رحلات المغاربة المدروسة، ورسمها جاء بعد قراءات عديدة ومتأنية لاستخراج الإشارات المتعلقة بالأماكن الجغرافية والتعريف بما ووضعها ضمن المحاور التجارية وهذا كله بهدف رسم شبكة للطرق التجارية التي تربط المراكز التجارية بالجزائر ونظيرتها بتونس .

السلع	عدد الإشارات
الجمال	16
البغال	08
الملح	11
التمر	09
الثياب	08
القمح	05
الشعير	05
زيت الزيتون	08
الشاشية	01

التمثيل البياني:



من خلال الجدول والتمثيل البياني أسجل الملاحظات التالية:

- شكلت الجمال (إبل وبعير) سلعة هامة جدا في الأنشطة التجارية لمختلف القوافل - خاصة فيما يخص عملية كرائها - إذ سجلت 16 إشارة حول تجارتها وهذا من منطلق أنها أهم وسيلة تعتمد عليها في ارتحالها، وفي نفس الإطار سجلت 08 إشارات للبغال (فرس)، وقد أشرت في السابق إلى أهميتهما في نظام القوافل .

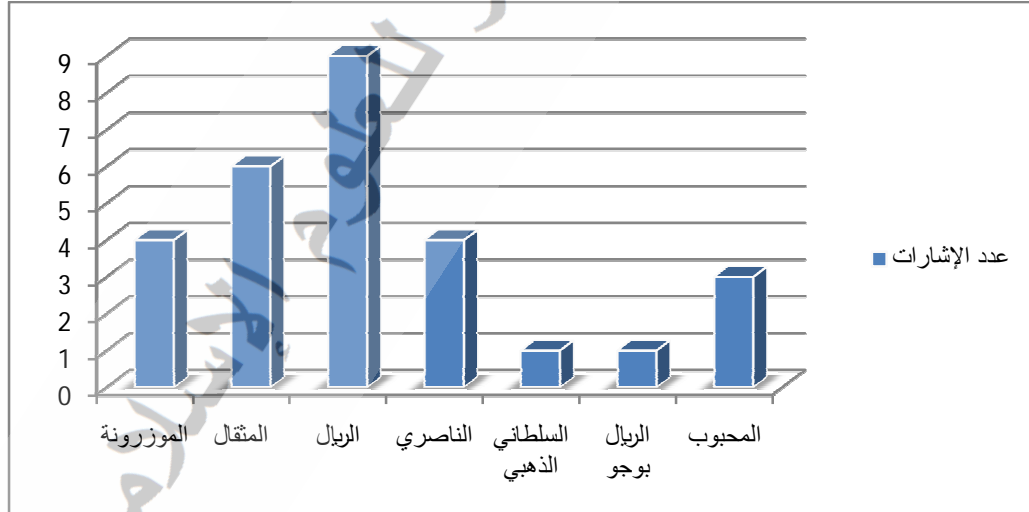
- تأتي بعد الجمال والبغال سلع أخرى مهمة كذلك وهي: السمن واللحم والتي سجلت 11 إشارة للتجارتهما، و09 إشارات حول التمر، وأيضا 08 إشارات لكل من الثياب وزيت الزيتون، وبخصوص الشعير والقمح فقد سجلت وجود 05 إشارات، أما تجارة الملح فوردت في 04 مرات من خلال نصوص رحلات

المغاربة المدروسة، لكن سجلت غياب تجارة الشاشية بالرغم من أهميتها فوردت مرة واحدة في كامل النصوص.

2_4/ العملة:

العملة	عدد الإشارات
الموزرونة	04
المتقال	06
الريال	09
الناصرى	04
السلطاني الذهبى	01
الريال بوجو	01
المحبوب	03

التمثيل البياني:



- من خلال الجدول وتمثيله البياني أقدم الملاحظات التالية:

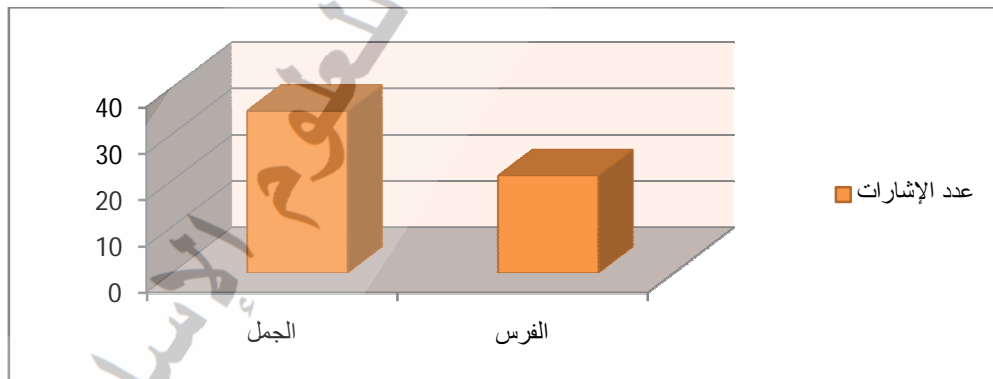
- شكلت عملة الريال أساس المعاملات التجارية في الإيالتين إذ سجلت 09 إشارات حول التعامل بهذه العملة خاصة وأنها كانت تمثل عملة مشتركة للبيع والشراء في المناطق الحدودية للجزائر وتونس وقد أشرت إلى ذلك في السابق .

- يأتي بعد الريال عملة المتقال والتي كانت أساس المعاملات التجارية بين الجزائر والمغرب الأقصى وقد سجلت 06 إشارات لها فوردت أغلب إشاراتها برحلة الدرعي التي انطلقت من درعة المغربية .
- بالنسبة للموزونة والناصرى فقد سجلت 04 إشارات لكل منهما و03 إشارات لعملة المحبوب، وهذا لا ينفي غيابها عن بعض المعاملات التجارية من بيع وشراء لمختلف السلع والبضائع في الإيالتين .
- بخصوص عمليتي الريال بوجو والسلطاني الذهبي كان نصيهما إشارة واحدة فقط، وهذا ما يؤكد أنها من العملات القليلة التي تدخل في إطار المعاملات التجارية لكن رغم ذلك فهي تبقى وسيلة للتعامل التجاري بين التجار .

2-5/ وسائل الرحلة:

الوسائل	عدد الإشارات
الجمال	35
الفرس	21

التمثيل البياني:



من خلال الجدول والتمثيل البياني أسجل الملاحظة التالية:

- من الطبيعي تسجيل 35 إشارة للجمال مقابل 21 فقط للفرس وهذا من منطلق أن الجمال هي أساس القوافل التجارية، والتي كما أشرت في السابق أنها أهم وسيلة للتنقل خاصة في الطرق الصحراوية وأبرزها لحمل أحمال وزاد القوافل، ويرتبط نجاح الرحلة بتوفر عدد كاف من الإبل، لكن كل هذا لا يمكن إلغاء وإغفال الدور الذي يلعبه الفرس في القافلة .

جامعة الأمير عبد القادر العظم الإسلامي

خاتمة

خاتمة:

امتد هذا البحث على مدار القرن 12/هـ18م، حاولت فيه استخدام معطيات رحلات المغاربة المتاحة، فكان منها سبعة رحلات رأيت فيها أنها تستخدم هذه الدراسة في جانبها التجاري، أما عن النصوص فقد رصدت فيها 97 نصا فيه إشارات متعلقة بالتجارة من حيث الأماكن الجغرافية (المحطات التجارية)، الطرق والمسالك، العملات، السلع والبضائع، الأسواق، وسائل النقل....، فمن هذه المعطيات أخلص للنتائج التالية:

باستثناء بعض الأحداث التاريخية، توحى رحلات المغاربة بوجود نفوذ عثماني واحد لبلاد المغرب خلال القرن 12/هـ18م، وهذا من منطلق تأثير التزايدات التي عرفها هذا المجال الجغرافي بين المغرب الثلاث من صراعات سياسية وعسكرية حدودية، فهذا ما يؤكد وجود ثغرات وتباعد بين هذه الإيالات وهو ما تم تسجيله في متون بعض الرحلات المدروسة، مما أثر على علمية ودقة النصوص المتعلقة بالتجارة .

تميزت نصوص رحلات المغاربة بقصورها عن تصوير الجانب التجاري الذي يربط الإيالتين خلال القرن 12/هـ18م وهذا لطغيان الطابع الديني (الحج)، الإستكشافي (الجغرافيا)، الثقافي (العلمي)، وما تم تسجيله من إهمال لبعض التفاصيل التجارية - في رأيي - لا يتعدى وصف للأماكن الجغرافية وإشارات إلى عمليات البيع والشراء في بعض أسواق الإيالتين، وإن التعامل مع هذه النصوص يدرك صعوبة تحديد نوعية الحركة التجارية بينهما، خاصة في ظل التعتيم الشبه الكامل الذي تميزت به عن وجود تواصل حقيقي وواضح في متون هذه الرحلات وما تم التوصل إليه هي اجتهادات واستنتاجات، فطبيعة هذه النصوص وما تحتويها من أسماء لشخصيات وأماكن جغرافية وردت بها صعبت من مهمتي في البحث عن تعريف وترجمة كاملة لها، وما توصلت إليه في هذا الإطار جاء بعد جهد كبير من خلال البحث في كتب التراجم والجغرافيا المتوفرة لدي، وحقيقة كل هذا فرض علي الدخول في مقاربات وترجيحات غير محمودة العواقب وغير مضمونة النتائج، من أجل رسم صورة عن وجود نشاط تجاري بين الإيالتين .

وفي جانب آخر، تبقى مشكلة النقل الحرفي للنصوص أو تكرار النصوص - دون مراعاة الأمانة العلمية - سمة غالبية في متون هذه الرحلات المدروسة، وفي الحقيقة ذلك أمر لا بد منه لتغطية بعض الفراغات التي ترد فيها، خاصة في ظل عدم معرفة المؤلف لبعض الأماكن الجغرافية، لكن في الواقع حسب رأيي هذا ليس بمشكلة لو تمت الإشارة إلى المصدر المأخوذ عنه وتبنيته مع النص المقتبس منه ويتجلى هذا الأمر خاصة عند الدرعي - "الرحلة الناصرية" - والورتيلاني - "الرحلة الورتيلانية" -، ولا يتوقف الأمر عند التكرار فقط، فأحيانا

يوجد تناقض ملحوظ إما النص في حد ذاته يتناقض مع معطياته أو يتناقض مع غيره من نصوص رحلات أخرى وهذا حسب رأيي يرجع لعدم تدقيق بعض المؤلفين لمعلوماتهم ما أوقعهم في أخطاء جسيمة كان من الممكن تفاديها .

إن دراسة نصوص هذه الرحلات أوصلتني إلى نتيجة مفادها أن التعامل التجاري بين الإيالتين خلال القرن 12/هـ 18م كان واضحا ورسميا، فرغم الصراعات السياسية والعسكرية التي كانت بينهما في بدايات التواجد العثماني لم تمنع من وجود حركية تجارية واضحة المعالم، ويفهم من كل هذا أن العلاقات التجارية أكبر من هذه الصراعات، وقد كان لمختلف القوافل المشتركة بين الجزائر وتونس والتي أعطت لبعض التجار من الطرفين فرصة الاندماج السريع في المنظومة التجارية القائمة بينهما، فأصبحت بعض القوافل أسيادا لمختلف الطرق التي تصل بين الإيالتين، وبالتالي شهدت المسالك التجارية تغيرا ملحوظا في حركيتها الاقتصادية، وأغلب الرحلات المدروسة قدمت لنا تفاصيل كثيرة عن مراحل الطرق والمحطات التي نزلت بها وما يمكن ملاحظته فيها- أي النصوص- هو ذكر مكان وتاريخ انطلاق ووصول الرحلة مع ذكر مختلف المراحل التي مرت بها وهو ما سهل لي مهمة رصد الطرق التجارية بين الإيالتين وما جاءت به هذه النصوص أيضا هي حالات اللامن التي تميزت بها بعض المسالك، فجل قطاع الطرق وبالأخص القبائل الحدودية المتمردة على السلطة الحاكمة ومن الجانبين يقتفون أثر هذه القوافل ويمارسون عليها مختلف أنواع السلب والنهب والسرقة، ومن هذا المنطلق أمكنني التوصل إلى أنه من أهم العوامل المؤثرة في تنشيط الحركية التجارية بين البلدين .

لاحظت في بعض الرحلات وبشكل واضح تغييب السلع التجارية المتبادلة بين الإيالتين وما تم التوصل إليه هي عمليات ربط واستنباط وتحليل وبحث عن مصدرها، فأحيانا يحس القارئ لمتنها أنها مالت عن هدفها الأولي فنجدها بمثابة رحلة استكشافية سياحية وليست حجية أو علمية أو تجارية .

وكخلاصة عما سبق فيما تم التوصل إليه من نتائج خلال هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن واقع الحركية التجارية الجزائرية-التونسية بقدر ماهي نتائج محققة مما جات به نصوص رحلات المغاربة، ولا عجب في أن تكون بمثابة مصادر تؤرخ للتجارة بين الإيالتين .

فائنة المصادر والمرآجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- /المصادر باللغة العربية:

- 01/ القرآن الكريم.
- 02/ ابن أبي الضياف (أحمد، ت 1291هـ/1874 م)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999 .
- 03/ ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعييني القيرواني، ت بعد 1110هـ/1698م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1869 .
- 04/ ابن الأحمر (محمد بن يوسف بن نصر، ت 671هـ/1273م)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001 .
- 05/ ابن الخوجة (محمد بن البشير)، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 .
- 06/ ابن المجدوب (عبد الكبير بن عبد الرحمن الفاسي)، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، "موسوعة أعلام المغرب"، ج6، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 .
- 07/ ابن المفتي (حسين بن رجب شاوش، ت 1144هـ/1732م)، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، 2009 .
- 08/ ابن حمادوش (عبد الرزاق بن محمد بن محمد الجزائري، ت 12هـ/18م)، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، المسماة: "رحلة ابن حمادوش الجزائري"، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007 .
- 09/ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ج7، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983 .
- 10/ ابن زيدان (عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، ت 1365هـ/1946م)، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج4، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008 .

- 11/ ابن عمار (أبو العباس أحمد، ت 1205هـ/1790م)، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة بيبير فوتانا، الجزائر، 1902 .
- 12/ ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن علي القسنطيني، ت 810هـ/1408م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968 .
- 13/ ابن ميمون (أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحميمة، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981 .
- 14/ أبو الفداء (إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر "صاحب حماة"، ت 732هـ/1331م)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850 .
- 15/ أبو راس (محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي الجليلي الجزائري، ت 1238هـ/1823م)، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982 .
- 16/ الإدريسي (أبو عبد الله بن محمد، ت 560هـ/1165م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج 1، تح: مجموعة من المحققين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت .
- 17/ الأندلسي (أبو عبد الله محمد، ت 1149هـ/1736م)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها الحميمة، تونس، 1870 .
- 18/ الأنصاري (أحمد بك بن حسين النائب الأوسي، ت بعد 1300هـ/1883م)، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، د.ت .
- 19/ البصري (محمد بن سعد بن منيع، ت بعد 230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، ج 3، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990 .
- 20/ البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ت 739هـ/1339م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مج 1، تح: علي محمد البحايوي، دار الجليل، بيروت، 1992 .

21/ البكري (أبو عبيد، ت 487/هـ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، "المسالك والممالك"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت .

22/ التيجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد، ت 717/هـ 1317م)، رحلة التيجاني، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980 .

23/ الحفناوي (أبو القاسم محمد بن إبراهيم، ت 1360 هـ/1942م)، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906 .

24/ الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، ت 574/هـ 1178م)، معجم البلدان، مج2، دار صادر، بيروت، 1977 .

25/ الحميري (محمد بن عبد المنعم، ت 900م/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 .

26/ الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت 670/هـ 1272م)، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974 .

27/ الدرعي (أبو العباس بن أبي عبد الله محمد بن ناصر، ت 1129/هـ 1717م)، الرحلة الناصرية (1121/هـ 1709م)، ج1، المطبعة الحجرية، فاس، 1320 .

28/ الزهار (أحمد الشريف، ت 1289/هـ 1872م)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974 .

29/ الزهري (أبو عبد الله محمد بن سليمان الأندلسي، ت ق 6/هـ 12م)، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س .

30/ الزياني (أبو القاسم بن أحمد بن علي، ت 1249/هـ 1833م)، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا...، تح: عبد الكريم الفيلاي، ط2، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1991 .

31/ السملالي (العباس بن محمد بن إبراهيم، ت 1378/هـ 1959م)، الإعلام بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام، ج2، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 .

- 32/ السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر الخضير، ت 1505/911م)، لب اللباب في تحرير الأنساب، ج2، تح: محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991 .
- 33/ نفسه، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1967 .
- 34/ الشماخي (أبو العباس أحمد بن أبي عثمان، ت 1522/928م)، كتاب السير، ج1، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2009 .
- 35/ الشويهد (عبد الله بن محمد)، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117/1695-1705م)، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006 .
- 36/ العبدري (أبو عبد الله محمد، ت بعد 1301/700م)، رحلة العبدري، ط2، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005 .
- 37/ العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله، ت 1348/749م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002 .
- 38/ العتري (محمد الصالح بن محمد بن أحمد، ت 1874/1291م)، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تقديم ومراجعة: يحي بوعزيز، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005 .
- 39/ نفسه، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974 .
- 40/ العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد، ت 1679/1090م)، الرحلة العياشية (1661-1663م)، ج2، تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006 .
- 41/ الفكون (عبد الكريم بن محمد القسنطيني، ت 1663/1073م)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 .

- 42/ القادري (محمد بن الطيب، ت 1187هـ/1773م)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني المعروفة بـ "موسوعة أعلام المغرب"، ج4، تح : محمد حجي و أحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.
- 43/ القزويني (أبو عبد الله بن زكرياء بن محمد، ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، دت .
- 44/ الكرخي (أبو اسحاق إبراهيم الإصطخري، ت 346هـ/957م)، مسالك الممالك، ، مطبعة بريل، ليدن، 1927 .
- 45/ المسعودي (محمد الباجي بن محمد، ت 1298هـ/1880م)، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، ط2، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، 1915 .
- 46/ المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله، ت 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906 .
- 47/ المكناسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان، ت 1213هـ/1798م)، إحرار المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب" المسماة "رحلة المكناسي"، تح: محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003 .
- 48/ الورتيلاني (الحسين بن محمد السعيد، ت 1193هـ/1779م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، "الرحلة الورتيلانية"، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908 .
- 49/ الوزان (الحسن بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 .
- 50/ الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان، ت بعد 557هـ/1162م)، السير، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985 .
- 51/ بربروس (خير الدين)، مذكرات خير الدين بربروس، تر : محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 .

52/ بيرم الخامس (محمد بن مصطفى بن محمد الثالث)، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المطبعة الإعلامية، القاهرة، 1884 .

53/ بيسونال (أندريه)، الرحلة إلى تونس، تر: محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

54/ خوجة (حمدان بن عثمان، ت بعد 1255هـ/1840م)، المرأة، تح: محمد العربي الزبير، ش.و.ن.ت، الجزائر، 2005 .

55/ دونان (هنري)، الإيالة التونسية، تر: محمد فريد الشريف، المطبعة العصرية، تونس، 2012 .

56/ كرنخال (مارمول)، إفريقيا، 3 ج، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1989 .

57/ مجهول (ت ق 12/6م)، الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985 .

2/ المراجع باللغة العربية:

01/ ابن سودة (عبد السلام)، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ضبط واستدراك: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997 .

02/ ألتز (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989 .

03/ الأرقش (دلندة) وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003 .

04/ البلغيثي (أسية الهاشمي)، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريف، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996 .

- 105/ التازي (عبد الهادي)، رحلة الرحلات ... مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، 2005 .
- 106/ التميمي (عبد الجليل)، دراسات في التاريخ العثماني المغربي خلال القرن السادس عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، 2009 .
- 107/ الحمروني (أحمد) ، تستور وثائق ودراسات، ميديا كوم، تونس، 1999 .
- 108/ الخوند (مسعود)، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج7، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994 .
- 109/ الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 و1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .
- 110/ الزركلي (خير الدين)، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1، ط15، دار العلم للملايين لتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 2002 .
- 111/ السيد (أبو مصطفى كمال)، جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار العرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996 .
- 112/ الشامي (يحيى)، موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1993 .
- 113/ الشرباصي (أحمد)، المعجم الإقتصادي الإسلامي، دار الجيل، بيروت، 1981 .
- 114/ الشريف (محمد الهادي)، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993 .
- 115/ الصلابي (علي محمد)، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 1998 .
- 116/ الكردي (محمد نجم الدين)، المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها (كيل-وزن-مقياس) منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتقويمها المعاصر، ط2، مطبعة السعادة، القاهرة، 2005 .

- 17/ المرزوقي (محمد)، قابس جنة الدنيا، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962 .
- 18/ المنوني (محمد)، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج2، منشورات مجلة كلية الآداب، الرباط، 1989 .
- 19/ الملي (مبارك)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد بن مبارك الملي، ج3، مكتبة النهضة العربية، الجزائر، 1964 .
- 20/ بالحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981 .
- 21/ بن حموش (مصطفى أحمد)، المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني"، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دبي، 1999 .
- 22/ بن خروف (عمار)، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 16/10م، ج2، دار الأمل لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 .
- 23/ بنحادة (عبد الرحيم)، المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1998 .
- 24/ بنعبد الله (عبد العزيز)، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج3، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976 .
- 25/ بوبكر (الصادق)، إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر الأبيض المتوسط (مرسيليا وليفورنة)، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية-الموريسكية، زغوان، 1987 .
- 26/ بوعزيز (يحيى)، الموجز في تاريخ الجزائر (1-2) الجزائر القديمة والوسيطه والجزائر الحديثة، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 .
- 27/ نفسه، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995 .

- 28/ بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988 .
- 29/ حلاق (محمد صبحي بن حسن)، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2008 .
- 30/ حللمي (عبد القادر)، دراسة في جغرافية المدن، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972 .
- 31/ حماش (خليفة)، كشف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010 .
- 32/ نفسه، كشف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني وأحمد باي والأمير عبد القادر في الأرشيف الوطني التونسي، منشورات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، د.ت .
- 33/ درياس (يمينة)، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .
- 34/ سبنسر (وليم)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2006 .
- 35/ سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 .
- 36/ نفسه، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 .
- 37/ نفسه، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 .
- 38/ سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 - 1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .
- 39/ نفسه، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 .
- 40/ نفسه، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحماية -الفترة الحديثة-، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001 .
- 41/ سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .
- 42/ شدياق (ك)، قاموس نوبل المزدوج (عربي-فرنسي، فرنسي-عربي)، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2011 .

- 43 / شربل (كمال موريس)، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجليل، بيروت، 1998 .
- 44 / شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926-1246/1519-1830م)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2009 .
- 45 / ضيف (شوقي)، عصر الدول والإمارات الجزائر-المغرب الأقصى-موريطانيا-السودان، دار المعارف، القاهرة، 1995 .
- 46 / عزي (عبد الرحمن)، التواصل القيمي في الرحلة الورتيلانية الموسومة بزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 .
- 47 / عطا الله الجمل (شوقي)، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977 .
- 48 / عقاب (محمد الطيب)، مساكن قصر القنادسة الأثرية، دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر، 2007 .
- 49 / عميرواي (احميدة)، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002 .
- 50 / غريب (مأمون)، أبو الحسن الشاذلي حياته..تصوفه.. تلاميذه وأوراده، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000 .
- 51 / غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2007 .
- 52 / فايسيت (أوجين)، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792م-1873م)، تر: صالح نور، قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 .
- 53 / فيلاي (مختار)، رحلة الورتيلاني عرض ودراسة، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، 1978 .
- 54 / قاسم (أحمد)، إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600م)، تقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004 .
- 55 / قشي (فاطمة الزهراء)، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005 .
- 56 / كحالة (عمر رضا)، معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993 .
- 57 / كراتشكوفسكي (إغناطيوس يوليانوفتش)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج2، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963 .
- 58 / كوران (آرجمنت)، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970 .

59/ لقبال (موسى)، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية "منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)"، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979 .

60/ محيسن (محمد سالم)، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، مج 2، دار الجيل، بيروت، د.ت .

61/ مروش (النور)، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار والمداخيل، ج 1، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009 .

62/ نواب (عواطف محمد يوسف)، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996 .

63/ وولف (جون.ب)، الجزائر وأروبا (1500-1830)، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 .

64/ ياغي (إسماعيل أحمد)، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995 .

3- الرسائل الجامعية:

01/ الإمام (رشاد)، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)، أطروحة دكتوراه، دائرة التاريخ، الجامعة الأمريكية، بيروت، د.ت .

02/ البياتي (بان علي محمد)، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-5/9-11م)، رسالة ماجستير، إشراف: صباح إبراهيم الشينخلي، كلية التاريخ، جامعة بغداد، 2004 .

03/ الدهيشي (أيمن بن عبد الله بن عبد العزيز)، الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسافة في غير العبادات، رسالة ماجستير، إشراف: محمد بن جبر الألفي، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2005 .

04/ بيرم (كمال)، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية، فترة الإحتلال الفرنسي (1840-1954)، أطروحة دكتوراه، إشراف: صالح لميش، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011 .

- 105 / بيلامي (وداد)، **النفوذ الإقتصادي - السياسي ليهود الجزائر (1516-1830)**، رسالة ماجستير، إشراف: احميدة عميراي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسنطينة، 2004 .
- 106 / حمّاش (خليفة)، **العلاقة بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830)**، رسالة ماجستير، إشراف: خليل عبد الحميد عبد العال، كلية الآداب، الإسكندرية، 1988 .
- 107 / دحمون (مضى)، **قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية تحليلية**، رسالة ماجستير، إشراف: علي حملاوي، معهد الآثار، الجزائر، 2005 .
- 108 / سعودي (بمينة)، **الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)**، رسالة ماجستير، إشراف: الربيعي بن سلامة، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006 .
- 109 / فرج (محمود فرج)، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية**، أطروحة دكتوراه، إشراف: أبو القاسم سعد الله، دائرة التاريخ، معهد العلوم الإجتماعية، الجزائر، 1977 .
- 110 / قدور (عبد المجيد)، **هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين 16 و17م**، رسالة ماجستير، إشراف: محمد أمين محمود بدوي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1994 .
- 111 / مزدور (سمية)، **المجمعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ)/(1192-1520م)**، رسالة ماجستير، إشراف: محمد الأمين بلغيث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009 .

4- / المقالات باللغة العربية:

- 101 / أبو بكر علي (جبريل)، «**طرق القوافل وأثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء**»، **ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، تنقلات العلماء**، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1995، ص-ص. 81-88 .
- 102 / التميمي (عبد الجليل)، «**رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سنة 1519م**»، **المجلة التاريخية المغربية**، 6(1976)، ص-ص. 116-120 .
- 103 / نفسه، «**رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م**»، **المجلة التاريخية المغربية**، 3(1975)، ص-ص. 37-46 .

- 04/ الشيخلي (صباح إبراهيم)، «النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري»، *تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر*، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص-ص. 29-46 .
- 05/ الغاشي (مصطفى عبد الله)، «طرق الحج خلال القرن التاسع عشر من الصحراء إلى بوغاز جبل طارق»، *مجلة التاريخ العربي*، 38(2006) .
- 06/ المنوني (محمد) و محمد بن عبود، «رحلة ابن عثمان الكناسي إلى القدس الشريف ومناطق من فلسطين»، *مجلة المناهل*، 39(1990)، ص-ص. 20-43 .
- 07/ المودن (عبد الرحمن) وبنحادة (عبد الرحيم)، «العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطة»، *سلسلة ندوات ومناظرات رقم 123*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005 .
- 08/ الهاشمي (رضا جواد)، «تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم»، *تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر*، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص-ص. 7-28 .
- 09/ بوجلة (عبد المجيد)، «ملخص رحلة الورتيلاني إلى مصر»، *مجلة المركز العربي للأدب الجغرافي-ارتياح الآفاق-*، ندوة الجزائر الأولى، 2004 .
- 10/ تاوشينخت (حسن)، «"سجل ماسة" محطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء»، *ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء*، كلية الدعوة الإسلامية، تطوان، 1998 .
- 11/ زريوخ (عبد الحق)، «أبو راس الناصري الجزائري ومؤلفاته»، *مجلة التراث العربي*، دمشق، 98(2005)، ص-ص. 230-237 .
- 12/ سامعي (إسماعيل)، «الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل القرن 10هـ/م»، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، قسنطينة، 20(2006)، ص-ص. 171-188 .
- 13/ سعيدوني (ناصر الدين)، «الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني»، *المجلة التاريخية المغربية*، 39(1985)، ص-ص. 431-445 .
- 14/ سيدهم (فاطمة الزهراء)، «موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر»، *دورية كان التاريخية*، 13(2011)، ص-ص. 21-28 .

15/ عبد الرحمن (عبد الرحيم)، «الطرق التجارية بين مصر وبلاد المغرب العربي وغرب إفريقيا في العصر العثماني»، "البحرية والطرق التجارية العثمانية"، أعمال المؤتمرات عن الولايات العربية خلال العهد العثماني رقم 12، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 2000، ص-ص. 127-139 .

16/ عوض الله (الأمين)، «تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي»، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص-ص. 69-106 .

17/ كيرلانسكي (مارك)، «تاريخ الملح في العالم (الإمبراطوريات، المعتقدات، ثورات الشعوب، والإقتصاد العالم)»، تر: أحمد حسن مغربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 320 (أكتوبر 2005) .

5- /المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- 01/ Accardo (F), *Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie, dressé d'après les documents officiels sous la direction de M. le Myre de Vilers*, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1879.
- 02/ Boubaker (Sadek), *La Régence de Tunis aux XIII^e siècle : ses relations commerciales avec les ports de L'Europe méditerranéenne, Merseille et Livourne*, publications de la R.H.M et de C.E.R.O.M.A, Zaghouan, 1987 .
- 03/ Daumas (I.C), *Le Sahara Algérien, études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements Français en Algérie*, Paris, alger, Fortin Masson et Cie, 1845 .
- 04/ De La Rive (Abel Clarin), *Histoire générale de la Tunisie, depuis l'an 1590 avant Jésus-Christ jusqu'en 1883*, Tunis, Librairie .E.Demoflys, Librairie Challemel Aixé, Paris, 1883 .
- 05/ Gramment (H.D.DE), *Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515-1830)*, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1887 .
- 06/ Haédo (F.D), *Histoire des Rois D'Alger*, traduite :Grammont, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger, 1881 .

- 07/ Létolle (René) et Bendjoudi Hocine, ***Histoires d'une mer au Sahara : utopies et politiques***, Montréal, l'Harmattan, Paris, 1997 .
- 08/ MacGill (Thomas), ***Nouveua Voyage a' Tunis*** ,Publié en 1811, Traduit : M***, Imprimerie de C.L.F.Panckoucke, Paris, 1815 .
- 09/ Masqueray (E), **Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algerie**, *Thèse présentée a' la Faculté des Lettres*, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1886 .
- 10/ Payssonnel (Jean André), ***Voyage dans La Régence de Tunis (1724)***, édition annotée: Mohamed Larbi Snoussi, Centre de publication Universitaire, Tunis, 2003 .
- 11/ Roy (J.J.E), ***Histoire de L'Algérie depuis les temps les plus anciens jusqu'a nos jours***, Alfred Mame et Fils-Editeurs, Tours, 1880.
- 12/ Saidouni (Nacereddine), **Le Waqf en Algérie a'lépoque Ottomane XVIIe-XIXe siècle**, *Ouvrage publié par la Fondation des AWqaf du kuwait*, kuwait, 4(2007) .
- 13/ Shaw (Thomas), ***Voyage dans la régence d'Alger au XVIIIe siècle***, Traduit : E.Mac Carthy, éditions Grand-Alger Livres, Alger, 2007 .
- 14/ Temimi (A), ***La Marine et les routes commerciales Ottomanes, Actes des symposiums sur les provinces Arabe à l'Epoque Ottomane***, N° 12, Série 1 (A), Publications de la fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et L'Information, Zaghouan, 2000 .

- 01/ Berbrugger (A), "Des frontières de L'Algérie", *R.A, Vol n°4*, Alger, 1860, p-p, 401-438 .
- 02/ Despois, (J), "La Bordure Saharienne de l'Algerie orientale", *R.A, Vol n° 86*, 1942, p-p, 197-219 .
- 03/ Féraud (Ch), "Les Harars Seigneurs Des Hanancha", *R.A, Vol.n° 18*, Alger, 1874, p-p, 11-32 .
- 04/ Lancel (Serge), " Études sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin", *Recherches de topographie ecclésiastique, Mélanges de l'école française de Rome*; 2(1984), p, 1085-1113 .
- 05/ Monchicourt (Ch), "La Frontière Algéro-Tunisienne dans le Tell et dans la Steppe", *R.A, Vol.n°82*, 1938, p-p, 31-59 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	7
مدخل إلى العلاقات بين الجزائر وتونس في بدية العهد العثماني :	14
1- الصراع السياسي والعسكري بين الإيالتين	15
1-1/ التواجد العثماني في الجزائر وتونس	15
1-2/ الصراعات والخلافات بين الإيالتين	17
2- أثر الصراعات على العلاقات التجارية	20
2-1/ الأوضاع الاقتصادية في الإيالتين في بدايات التواجد العثماني .	
2-1-1/ الجزائر	21
2-1-2/ تونس	24
2-2/ تأثير الخلافات الحدودية والصراعات العسكرية على الحركة التجارية	27
الفصل الأول: رحلات المغاربة تؤرخ للعلاقات التجارية بين الجزائر وتونس :	
1- نصوص الرحلات المتعلقة بالتجارة.....	32
2/ الأصول الجغرافية للرحالة المغاربة	35
3- النصوص التجارية الواردة في رحلات النصف الأول من القرن 12هـ/18م.....	37
3-1/ أبو العباس سيد أحمد الدرعي	38
3-2/ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري	69
الفصل الثاني: الرحالة المغاربة وكتبهم خلال النصف الثاني من القرن 12هـ/18م :	
1- أبو العباس أحمد بن عمار الجزائري	75
2- الحسين بن محمد الورتيلاني	77
3- أبو عبد الله بن عثمان المكناسي	107
4- محمد أبو راس بن ناصر الجزائري	117
5- أبو القاسم الزياني	123
الفصل الثالث: قراءة في معطيات النصوص التجارية الواردة في رحلات المغاربة .	
1- توظيف النصوص التجارية:.....	136
1-1/ مشكلة النقل الحربي للنصوص في رحلات المغاربة	136
2-1/ إشارات التجارة	138

2- واقع التواصل التجاري بين الإيالتين خلال القرن 12هـ/18م.:

- 140..... 2-1/ مناطق الأنشطة التجارية في الجزائر وتونس
- 142..... 2-2/ الطرق التجارية بين الجزائر وتونس
- 145..... 2-3/ السلع
- 146..... 2-4/ العملة
- 147..... 2-5/ وسائل الرحلة
- 149..... خاتمة
- 152..... قائمة المصادر والمراجع
- 169..... فهرس المحتويات